كشف الأسرار والأنوار

عن

إمام الأبرار

الشيخ علي سليمان

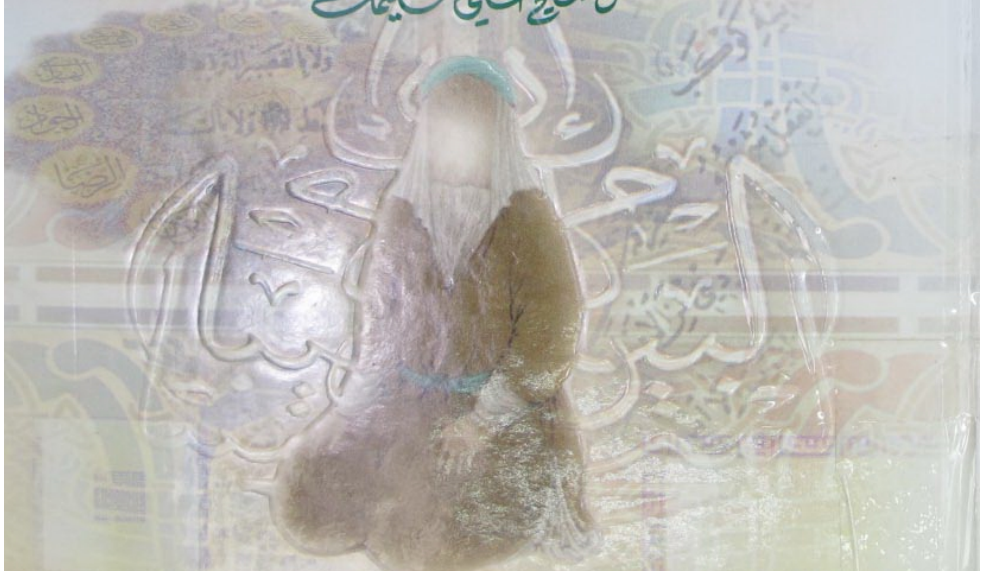

دار المحجة البيضاء

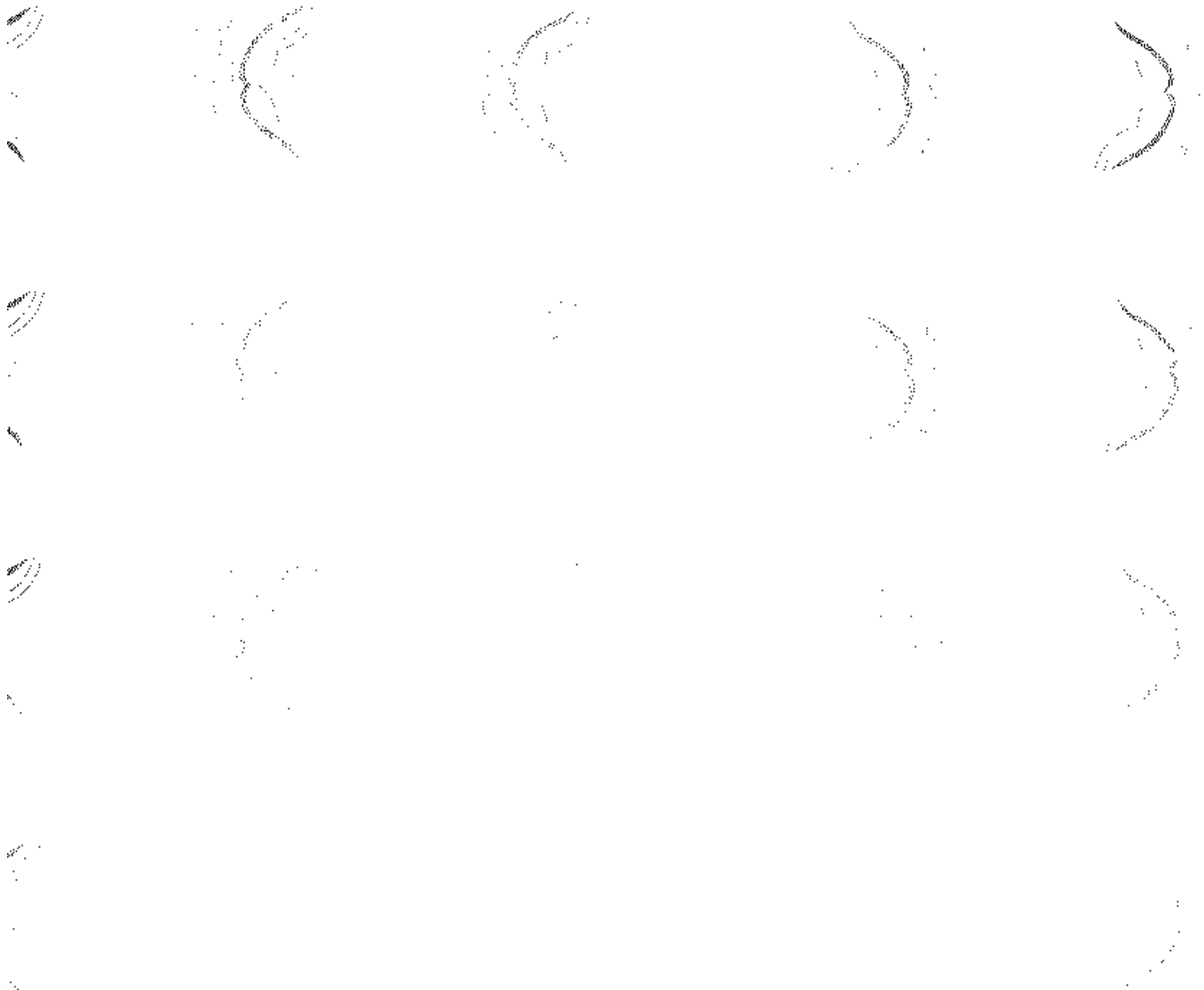

كشف الأسرار والأنوار
من
إمام الأبرار

بسم الله الرحمن الرحيم

كشف الأسرار والأنوار

عن

إمام الأبرار

الشيخ علي سليمان

دار المحجة البيضاء

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م

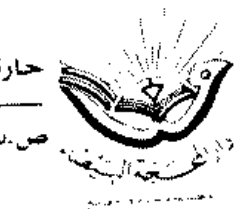

حارة حريك - شارع الشيخ راغب حرب - قرب نادي السلطان
ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧
E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com
info@daralmahaja.com

آية وهيئة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الخالق من غير منصبة والرازق من غير منقصة، والفاتق إسمه من نوره من غير تجزئة، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق حجة على الخلق ودلالة على وحدانيته وأرسل أنواره بنطق أسراره ليبلغوا حكمته من دون حاجة له بل لحاجة الخلق، لأن العجز من جهتهم، فسبحانه على نعمه ومظاهره وصلاته على النبي محمد بن عبد الله وعلى آل بيته الغرر الميامين هيولى النفوس، المعصومين من الظن والأوهام، والسهو والنسيان وعوارض الأبدان وسلم تسليما.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة ٢٠٧].

نزلت هذه الآية في حق علي عليه السلام حينما تسجى على فراش رسول الله، ليفتديه بنفسه من أذى المشركين. وكذلك آية الولاية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [سورة المائدة، الآية ٥٥].

نزلت بحق علي بن أبي طالب إذ تصدق بالخاتم وهو راكع في المسجد، والناس في ذلك الزمان لايتدبرون الفقه ولا المسائل المستجدة إلاّ بالعودة إلى الرسول، فأعظم بالإمام كيف ينساب التشريع منه راكعا

ساجداً ومتحركاً، والأبصار يبهرها فعله بالكثير من الآيات التي نزلت في حقه، ففي ذكرى ولادة الإمام وظهوره في الثالث عشر من رجب الأصب، وفي ذكرى ليلة القدر لاحت غيبته وتمّت شهادته، فغاب الكمال بسيف الوهن فانفلق الرأس يدبّ نحو الفناء الذي قال فيه الرسول: علي مني بمنزلة رأسي من جسدي، يبقى الميثاق المعهود علينا أن نبرّ بولائنا ونتحمل مسؤولية الولاء، قال ﷺ: إن أولى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جاءوا به، ثم تلا: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٦٨]

ثم قال: إنّ وليّ محمد من أطاع الله ولو بعدت لحمته، وأن عدو محمد من عصى الله ولو قربت قرابته.

وبديهة ان الدين لايقوّم ولايقاس بضعف المنتمي إليه وإنما يقاس بتعاليمه ومبادئه. وبإرشاد الإنسان وتوجيهه. إنّ ضعفنا كمسلمين عموماً ـ وكمذهب خصوصاً ـ لايرجع إلى قيمة ديننا كدين؛ وإنما يرجع إلى عوامل كثيرة، النقص في التربية، الضغط الأجنبي، والجهل في القوة التي تتمرس على فهم الدين وغرضه، فإذا أردنا أن نحيي تعاليم الإسلام فعلينا أن نعمل للقضاء على النفوذ الخارجي، الذي يحركنا بخيطان خفية بلبوس السياسة والمصالح من خلال متنفذيه وآلانه. وتصفية التربية وتنقيتها من كل شائبة. ونعرض الدين عرضاً سليماً كما كان في عهد الرسالة: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الروم، الآية: ٣٠]

وعلينا أن نتبين من يعمل للحرية ولصالح الناس وتوحيد كلمتهم، ومن يعمل للكسب بإسم الطائفية التي خلّفها الإستعمار، وأدخلها في صلب القوانين والدساتير، ليشتت شمل المسلمين، ويجعلهم فرقاً متناحرة

فأوجدها واعتمد عليها، وخوّف الناس من الإثنين ـ فرّق تسد ـ واليوم (معتدل ومتطرف). فعلينا أن نتمثل شخصية الرسول في تبليغ دينه واحكامه وأن نقرّب ولا نبعّد ونبشّر ولا ننفّر، وأن لا نلقي القنابل الطائفيّة والمتفجرات العصبية، ونرتكب الحماقات ضد أنفسنا وضد المجتمع، إن الّذي لا يجد موضوعاً لكلامه إلاّ الطعن في عقائد الناس ومقدساتهم فهو إمّا جاهلٌ منحطٌّ وإمّا خائنٌ مستأجرٌ لبثّ السموم والانشقاق بين أبناء الدين الواحد والوطن الواحد والأمة الواحدة.

و قد ظهر لكل ذي عينين أن الاستبداد السياسي هو قتال الإسلام واغتيال قدسيته وتصفية رجاله ومع ذلك فإن عصابات كبيرة من المنتمين للدين باردة الشعور بإزائه، أو جبانة في التصدي له، ربّما استرسلت في حديث عن حمل المسبحة هل تُلهي عن ذكر الله؟ أم مستحبة في الدعاء؟

أو هل من السنّة حمل العصا، أو تقصير الجلباب ورفع السروال فوق الكاحل وكم المقدار؟ وتنهال الاجتهادات وربما التهبت المشاعر عن تحديد المظاهر والأشكال وعن كيفية وضع اليدين ...ومن نماذج المخالفة التي ارتكبت عمداً كسنّة نبوية: هل يسطح القبر أم يسنّم، وكذلك التختم في اليمين، ولكن المخالفين جعلوه في الشمال. إلى غير ذلك من القضايا الثانوية أو الثالوثية أو الرابوعية، أو أو...

وقد انتشرت بدع الحكّام في أغلب الأرجاء وأمكن تغطية أظافره وحوافره بقفّازات من المظاهر كالمساواة والديمقراطية الكاذبة، ودخلت الجماهير في صراع رهيب مع حكام يرنون بعيونهم إلى الصهاينة والصليبية، ويطوون صدورهم على كره للإسلام وأهله، وبهذا الاستبداد الجديد القديم زاد التأخر للمسلمين، كما ازداد التفلّت من قيود العقائد والأخلاق، فتضاعفت العلل في كياننا عاملةً، وجاءت نجدات من الخارج لدعم إقتصاد منهار أوتخلّف مخز ؛ كما نراه في ساحتنا (ولكن شرط إستمرار هذه النجدات هو الإستمرار في سحق الإسلام والبعد عن

مناهجه، أما حقوق الإنسان وضمان القضاء العادل وتوفير الحرية وكسر كبرياء الجبابرة، ومراقبة المال العام تحصيلاً وإنفاقاً، مما يضبط العلاقات الودية بين الحاكم والمحكوم فهذا شيء وكأنّه خارج عن نطاق الفقه الإسلامي وهكذا أورثنا جيلاً يقفوه جيل إحتوى أسباب الإنحراف وندّ عن الصراط.

فشيعة عليّ عليه السلام لهم سيماء يعرفون بها ويمتازون بها لقول الصادق عليه السلام: شيعتنا أهل الورع والاجتهاد وأهل الوفاء والأمانة وأهل الزهد والعبادة أصحاب إحدى وخمسين ركعة في اليوم والليلة، القائمون بالليل الصائمون بالنهار يزكون أموالهم ويحجون البيت ويجتنبون كل محرّم.

وأطاع الله وعرف بصدق الحديث وأداء الأمانة والورع عن محارم الله....

إنّ مبايعة مولانا نجددها في كل صلاة وذكرى له فتلزم أعناقنا الوفاء والإلتزام بنهجه، للفوز بدرجة الكمال وطاعة الرحمن، إذاً عظمة الإمام بأخلاقه وسيرته هي حجة على شيعته إذا لم تَسْتَنَرْ به، وبهذا يكون الولاء ومشايعة الإمام فارغة من مضمونها لعدم التمسك بأفعاله، فالذكرى تنفع من يخشى وداب بطاعة مولاه ووطن نفسه لبلوغ الكمال ودرجة الصفاء. وعن ابن عباس قال سمعت رسول الله يقول: يا علي طوبى لمن أحبك وصدق فيك وويل لمن أبغضك وكذب فيك.

يامن يعاند من جهل أبا حسنٍ ... أوقعك غيّك بعد الرشد بالتيه
فتى جميع المعاني فيه قد جمعت ... وليس في الخلق معنى من معانيه
فضائلاً كالنجوم الزهر مشرقة ... تخسا الحسود وتخزي من يعاديه
كن واثقاً بعلي واتبع سببا ... ينجيك من حر نارٍ أنت صاليه
والله لا فاز إلاّ اللاذون به ... وكل من بات يدعى من مواليه

ولقد تمثل الإصلاح وارتبط المفهوم الصحيح والتقليد القريب بالمنبع الإمامي والتطبيق الراشد المأثور عن أمير المؤمنين عليه السلام:

قال له بعض اليهود :ما دفنتم نبيكم حتى إختلفتم فيه؟ فقال عليه السلام: إنما إختلفنا عنه لافيه، ولكنكم ما جفّت أرجلكم من البحر حتى قلتم لنبيكم: إجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة فقال إنكم قوم تجهلون. لقوله تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٣٨].

نسبة وموضع

الاسم: علي

الأب: عبد مناف بن عبد المطلب بن عبد مناف.

الام: فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف.

كنيته: أبو الحسن، أبو شبر، أبو تراب، أبو النور . . .

لقبه الذاتي: أمير المؤمنين، وقد أمر الرسول أصحابه أن يسلموا عليه بأمير المؤمنين.

الاسم الخاصي: أمير النحل، الانزع البطين.

تاريخ الولادة: سنة ستمائة ميلادية أو سنة ثلاثين من عام الفيل، في شهر رجب الأصم.

مكان الولادة: في مكة المكرمة داخل الكعبة الشريفة في بيت الله الحرام

عمره الشريف: ٦٣ سنة.

خصوصيته: قسيم الجنة والنار.

ماهيته: معصوم

أولاده من الزهراء: الحسن (شبر) والحسين (شبير) ومحسن الخفي (مشبر) وزينب، وأم كلثوم.

إخوته: طالب وجعفر وعقيل وأخته أم هاني واسمها فاختة

بابه: سلمان الفارسي، وسفينة أبو عبد الرحمن ذو اليدين.

موقع الشهادة: مسجد الكوفة ضرب في الليلة السابعة عشرة من رمضان المبارك زمن الوفاة وإرتفاع اللطف: في العام الأربعين من الهجرة، لإحدى عشرة ليلة بقين من شهر رمضان المبارك.

مشهده: في الذكوات البيض بالغريين غربي الكوفة.

البقيعة: التي توارى واضطجع فيها، حيث إضطجع آدم بتابوته ونوح بسفينته ﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة هود، الآية: ٤٤].

زوجه :

١ ـ فاطمة الزهراء

٢ ـ **خولة الحنفية**: له منها محمد بن الحنفية

٣ ـ أم البنين جعدة ابنة خالد بن زيد الكلابية له منها: عبد الله والعباس وجعفر وعثمان.

٤ ـ أسماء بنت عميس الخثعمية له منها: يحيى.

٥ ـ أم عمر التغلبية له منها: عمر، ورقية، ويقال لها (أم حبيب التغلبية) إسمها: الصهباء بنت ربيعة.

٦ ـ ليلى بنت مسعود النهشلية له منها: أبو بكر وعبيد الله استشهدا مع أخيهما الحسين في كر بلاء.

٧ ـ أم ولد إسمها رملة له منها: محمد الأصغر.

٨ ـ أم شعيب المخزومية أو (أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفية). له منها: رملة وأم الحسن.

٩ ـ أمامة ابنة زينب بنت رسول الله ﷺ وهي التي أوصت الزهراء عليها السلام أمير المؤمنين أن يتزوج بها بعد وفاتها، وقالت: إنها تكون لولدي مثلي وكانت الزهراء خالتها.

وقد ورد في الهداية :

ومضى أمير المؤمنين عليه السلام وخلف منهن: أمامة ابنة الرسول ﷺ وليلى التميمية، وأسماء بنت عميس، وأم البنين، وثمانية عشر ولداً ولم يكن رسول الله ﷺ تزوج أو تمتع بحرة ولا أمة في حياة خديجة عليها السلام إلا بعد وفاتها. وكذلك أمير المؤمنين عليه السلام لم يتزوج ولا تمتع بحرة ولا أمة في حياة فاطمة عليها السلام إلا بعد وفاتها.

أسرار في ولادته واصطفاء في تربيته

في شهر رجب الأصم، الشهر المعروف بالفردانية والأصمية حيث الرتق الكامل لا حس ولا همس، بينما الشخصية الكاملة الرسول الأعظم ﷺ وهو في مسير ه حتى بلغ بسيره مجمع الحروف ياء النهاية، وهو يترقب ألف البداية في أركان كعبة العقول ومطا مح الأبصار، ففي يوم الجمعة تطوف فاء بنت أسد في فناء الكعبة فبصرها يتجه بأن قوة غيبية تأذن بالتجلي والظهور، والنبي ﷺ وعبد المطلب وأبو طالب ﷺ، يشيمون ألف البداية وكأنهم على موعد سابق يتهيأون لاستقبال هذا المولود حول البيت فإذ بباب الكعبة يصم انفتاحه والمخاض يضطرب بها، وإذا بحائط المستجار المرتتق، ينفتق وتدخل فاطمة بمادة في جوف الكعبة، ثم تظهر من الكعبة بمادة وصورة، وإذا برجب الفرد يتطابق مع هذا الوليد الفرداني في الكعبة، ما ولد أحد قبله في الكعبة ولا يولد فيما بعد غيره في جوف الكعبة. والرواية في ذلك: عن يزيد بن قعنب: كنت جالساً مع العباس بن عبد المطلب وفريق من بني عبد العزى بإزاء بيت الله الحرام، إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين ﷺ وكانت حاملاً به لتسعة أشهر، وقد أخذها الطلق فقالت: يارب اني مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب واني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل وانه بنى البيت العتيق فبحق الذي بنى هذا البيت والمولود الذي في بطني ألا ما يسرت علي ولادتي. قال يزيد بن قعنب: فرأيت البيت قد انشق عن ظهره ودخلت فاطمة فيه وغابت عن أبصارنا وعاد إلى

حاله، فرمنا أن ينفتح لنا قفل الباب فلم ينفتح فعلمنا أن ذلك من أمر الله تعالى. ثم خرجت في اليوم الرابع وعلى يدها أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام. فعمت البشرى في أرجاء مكة فأسرع البشير إلى أبي طالب وأهل بيته فبادروا مهللين والبشر يعلو وجوههم وتقدمهم المصطفى صلى الله عليه وآله وهو على قدر في المعرفة والظهور لأمير المؤمنين فضمه إلى صدره وحمله إلى بيت أبي طالب، وبات علي عليه السلام في بيت والديه يتقلب في أحضانهم والرسول دوماً يتعاهده ويتردد إلى ذلك البيت وينظر إلى هذا المولود المبارك بإحاطة فيضعه في حضنه ويحرك لطيفه فيبتسم له أمير المؤمنين ويحدق نظره عليه والرسول كذلك وكأنها لغة الوحي تهتز إيماءً ولحاظاً، إلى أن بلغ الإمام ستة أعوام على رواية فأخذه رسول الله إلى داره وقال: قد اخترت من اختاره الله لي عليكم.

وقد ذكر الإمام عليه السلام ما حظي من تربية استاذه ومعلمه في خطبة القاصعة قال: وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا ولد يضمني إلى صدره، ويكنفني إلى فراشه، ويمسني جسده ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه. وما وجدلي كذبةً في قول، ولا خطلةً في فعل، ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة.

عاش أمير المؤمنين عليه السلام مع الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وهو يرى إرهاصات النبوة فتنعكس في قلبه حيث يدرك أن السماء ستمخض وتكشف عن أمر عظيم.

قال أمير المؤمنين عليه السلام كنا مع رسول الله فخرج في بعض نواحيها، ما استقبله شجر ولا جبل إلا قال له: السلام عليك يا رسول الله.

ورد في الصحاح: انه كان صلى الله عليه وآله يجاور بحراء في كل سنة شهراً وكان يطعم الطعام في ذلك الشهر من جاءه من المساكين فإذا قضى جواره، انصرف إلى مكة وطاف بها سبعاً قبل أن يدخل بيته حتى جاءت السنة التي أكرمه الله فيها بالرسالة، فجاء في حراء في شهر رمضان ومعه أهله، خديجة وعلي وخادم. هذه الإرهاصات تملّى منها أمير المؤمنين، فكان إعداده وتربيته من نوع خاص.

وكان يتبع محمداً صلى الله عليه وآله في ساعات اختلائه في غار حراء.

وعن الإمام الصادق قال: كان علي عليه السلام يرى مع النبي صلى الله عليه وآله قبل الرسالة الضوء، ويسمع الصوت..

هذا الاكتناف من الرسول على علي عليه السلام واصطحابه معه حيث اتجه وانفرد يدل على سبب متقدم على هذا العالم البشري. كما ورد في الهداية

قال صلى الله عليه وآله: وقد علمتم جميعاً خلقني من نوره وأن علياً من نوري ونوري ونوره نور واحد، وكنا كذلك نسبح الله ونقدسه ونمجده ونهلله ونكبره قبل أن يخلق الملائكة والسماوات والأرضين والهواء ثم عرش العرش وكتب أسماءنا بالنور عليه ثم أسكننا صلب آدم ولم نزل ننتقل في أصلاب الرجال المؤمنين وفي أرحام النساء الصالحات يسمع تسبيحنا في الظهور والبطون في كل عهد وعصر إلى زمان أبي عبد المطلب فانه كان يظهر نورنا في بلجات وجوه آبائنا وأمهاتنا حتى ثبتت أسماؤنا مخطوطة بالنور على جبهاتهم، فلما افترقنا نصفين في عبد الله نصف، وفي أبي طالب عمي نصف كان تسبيحنا في ظهورهما فكان عمي وأبي إذا جلسا في ملأ من الناس ناجى نوري من صلب أبي ونور علي من صلب أبيه

إلى أن خرجنا من صلبي أبوينا وبطني أمينا ولقد علم جبريل في وقت ولادة علي وهو يقول لمحمد ﷺ: هذا أول ظهور نبوتك واعلان وحيك وكشف رسالتك إذ أيدك الله بأخيك ووزيرك وصنوك وخليفتك ومن تشد به أزرك وتعلي به ذكرك (علي بن أبي طالب).

إن الوقوف بالبصيرة على هذه الرواية وتدبرها برؤية تكشف السر الذي اتبعه أمير المؤمنين بتصديق دعوة النبي والتسليم له بكل ما أتى به، وهذا يفسر معنى الفطرة للإمام وأنه لم تصبه الجاهلية ولا دنسته الوثنية، ولم يتفاعل مع شيء من سفاسفها، فقد قال ﷺ: فاني ولدت على الفطرة وسبقت إلى الإيمان والهجرة..

وكذلك أشار الإمام إلى سابق نوره لهذا العالم الممزوج إذ قال ﷺ:

إن الله تبارك وتعالى طهرنا وعصرنا وجعلنا شهداء على خلقه وحججاً على عباده، وجعلنا مع القرآن وجعل القرآن معنا، لا نفارقه ولا يفارقنا.

وهذا يدل على أن الإمام علي ﷺ لم يباغت في الأمر حينما فاتحه الرسول بأمر الدعوة الإلهية لأنه على اطلاع على عبادة أخيه رسول الله وممارساته الروحية فكان يتعبد معه وينهج نهجه ويسلك سبيله في تلك السن المبكرة من عمره، إن هذا المعنى يصعب تصديقه، ويتعاظم على الذين لا يرون الأمور إلا من جهة قياسهم النفسي ولمسهم الحسي، إذ هم بهذه المقاييس المادية الصرفة يقدمون ظنهم وخيالهم على الحقائق، فينشأ من بين ذينك الشك والإنكار أن يكون لهذا العالم اصل متقدم وغاية وآخرة يعدّ لها عدّتها وينتهي أن يقف عندها، فلذلك يجب أن يتقدم الإيمان على العلم وأن نبتعد عن الرأي والقياس فما رشح من فضائل ومعاجز لأمير المؤمنين ﷺ لم تكن جراء تحصيله واجتهاده

ورياضته لأن هذا يساويه ويقارنه بأهل الغفلة والمزاج الذين يكدون في إصلاح أنفسهم واجتهادها، فالإمام حجة إلهية ووجه واحد غير متفاوت لئلا تبطل حجته وطاعته على الخلق وهذه العبارة تزيل عنك وجه الاستغراب وتعلم أن الإرادة الإلهية لاسبيل للعقل أن يحيط بها أو يحصرها...

عن محمد بن سنان عن ابن عباس قال:

كنا عند رسول الله فأقبل علي بن أبي طالب فقال له النبي ﷺ: مرحباً بمن خلقه الله قبل أبيه آدم بأربعين ألف سنة. فقلنا: يا رسول الله أكان الابن قبل الأب؟ فقال نعم، إن الله خلقني وعلياً من نور واحد قبل خلق آدم بهذه المدة ثم قسمه نصفين، ثم خلق الأشياء من نوري ونور علي. وقد صاغ ظلال هذا اللطف لسان عبد الباقي أفندي العمري في قصيدته لأمير المؤمنين علي ﷺ

إن لله في معاليك سراً ... أكثر العالمين، ما علموه
أنت ثاني الآباء في منتهى الـ ... ـدور وأباؤه تعد بنوه
خلق الله آدماً من تراب ... فهو ابن له وأنت أبوه

أول المسلمين والمؤمنين

حتى ندرك معنى أول المسلمين لا بد من إيراد الأدلة لأنها تعطي المفهوم والمدركية الصحيحة لمعنى أول المسلمين، لأنّ العول على المفردات تفسيرياً لا تخرج عن نطاق الحرفية والمفاهيم المحصورة، وبهذا يكون الشرح ظنياً وتقليدياً مستنداً للطبيعة البشرية، وهو ما يبعد عن تناول الحقائق المنزهة عن كثائف الظنون والأوهام.

الدلالة من كتاب مجمع الزوائد:

١ ـ عن أبي ذر وسلمان قالا: أخذ النبي ﷺ بيد علي فقال: إن هذا أول من آمن بي، وهذا أول من يصافحني يوم القيامة. وهذا الصديق الأكبر، وهذا فاروق الأمة يفرق بين الحق والباطل، وهذا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الظالمين.

قال الحموي في فرائد السمطين:

٢ ـ عن أبي أيوب قال: قال رسول الله ﷺ لقد صلت الملائكة علي وعلى علي سبع سنين، لأنا كنا نصلي وليس معنا أحد يصلي غيرنا.

٣ ـ عن أبن عباس، عن النبي ﷺ قال: السبق ثلاثة: السابق إلى موسى يوشع بن نون، والسابق إلى عيسى صاحب ياسين، والسابق إلى محمد علي بن أبي طالب.

من هذه الدلالات يتضح ما معنى (أول المسلمين) هذه الأولية

ليست بمعنى الترتيب العددي لأن ذلك يسبقه من عاش الجاهلية ثم صار مسلماً، وهذا يتعارض مع الإرهاصات التي دلت على إيمانه قبل الولادة حينما كان في بطن أمه وحين ولادته وترعرعه.

فهذه الأولية وردت في القرآن: لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٣].

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٤٣].

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٤].

ما نستشفه من هذه الآيات: أن النبي إبراهيم، وكذلك موسى، والرسول الأكرم ﷺ وهذا ينسحب على جميع الأنبياء والمرسلين بأ نهم كلٌّ أقرّ بلفظة وأنا أول المسلمين، ليعرفوا الناس ويعلموهم بأن الإظهار بالدعوة يدل على الاستبطان الإيماني، والاتصال بالله منذ نشأته، فلذلك تحمل كلمة (أول) على الأزلية الإيمانية، وفي الكون البشري تحمل على الفطرة وأنه لم يفصله الزمان عن حالة دون حالة لأن الزمان الجاهلي والزمان الإسلامي جرى على الذين أسلموا بعد أن كانوا في وثيقة وصحيفة وحين الدعوة أسلموا، فالترتيب الزماني والعددي يدخل فيه هؤلاء لأنهم تلوثوا بالجاهلية ودنستهم الوثنية، أما أهل البيت فقد ذكرهم سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٣٣].

وقال أمير المؤمنين ﷺ: الإمامة ميراث الأنبياء، ومنزلة الأصفياء، وخلافة الله، وخلفة رسل الله، فهي عصمة وولاية.

علي في القرآن والقرآن في علي

إن الإيمان بالله سبحانه يلزم الإنسان الإيمان بكتابه ورسله، فالرسول ﷺ كثيراً ما ترجم بعض الآيات بأنها نزلت بأمير المؤمنين علي ﷺ، وقد أجمع أهل الإيمان والإسلام بأن القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ [سورة البروج، الآية: ٢٢].

فالثناء على أمير المؤمنين في الرسالة الإسلامية وحثها على تعظيمه وانتهاج سبيله لم يحظ به أحد من المسلمين، حتى قال أحمد بن حنبل:

(ما ورد لأصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل ما ورد لعلي ﷺ).

وقد صرح القرآن على ذكر الإمام علي ﷺ بالصفة والفعل حتى قيل نزل في حقه ثلاثمائة ونيّف من الآيات الكريمة.

ومن ذلك ما رواه ابن عباس قال: لما نزلت الآية: وكل شيء أحصيناه في إمام مبين. قام رجلان فقالا: يا رسول الله، أهي التوراة؟ قال: لا. قالا فهو الإنجيل؟ قال: لا. قالا: فهو القرآن؟ قال: لا. فأقبل أمير المؤمنين فقال: هو هذا الذي أحصى الله فيه علم كل شيء. وإن السعيد من أحب علياً على حياته وبعد وفاته، والشقي من أبغض هذا في حياته وبعد وفاته. قال تعالى:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ

النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٣]

عن أبي جعفر عن أبيه عن جده قال: جاء رجل في هيئة أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما معنى: واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا؟ فقال له النبي ﷺ: أنا نبي الله وعلي بن أبي طالب حبله.

فخرج الأعرابي وهو يقول: آمنت بالله وبرسوله واعتصمت بحبله.

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [سورة المائدة، الآية: ٣]، قال: بعلي بن أبي طالب. عن أبي الجارود قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول حين أنزل الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ قال: فكان كمال الدين بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام.

هذه الآية أجمع المفسرون بأنها نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٥٥]

عن ابن عباس لما نزلت هذه الآية (إنما وليكم الله ورسوله إلى آخر الآية جاء النبي ﷺ إلى المسجد فإذا سائل فدعاه ﷺ فقال: من أعطاك في هذا المسجد؟ فقال: ما أعطاني إلا هذا الراكع والساجد - يعني علياً - فقال النبي ﷺ: الحمد لله الذي جعلها فيّ وفي أهل بيتي. قال: وكان في خاتم علي الذي أعطاه للسائل: سبحان من يأتي له عبد.

عن زيد بن أرقم، قال: لما نزلت هذه الآية في ولاية علي بن أبي طالب ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٦٧]. قال: فأخذ رسول الله ﷺ بيد علي بن أبي طالب في

يوم غدير خم ثم رفعها وقال: اللهم من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصر واخذل من خذله. ثلاث مرات.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٠٧].

عن ابن عباس نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام حين بات على فراش رسول الله ﷺ حيث طلبه المشركون. قال رسول الله ﷺ: يا علي أنت مني بمنزلة السمع والبصر والرأس من الجسد، والروح من البدن، حببت إليّ كالماء البارد إلى ذي الغلة الصادي.

ثم قال: يا أبا الحسن تغشَّ ببردتي فإذا أتاك الكافرون يخاطبونك؛ فإن الله يقرن بك توفيقه وبه تجيبهم، فلما جاء أبو جهل والقوم شاهرون سيوفهم قال لهم أبو جهل: لا تفعلوا به وهو نائم لا يشعر، ولكن ارموه بالأحجار ليتنبه بها ثم اقتلوه، فرموه بأحجار ثقال أصابته فكشف عن رأسه وقال: ماذا شأنكم؟ وعرفوه فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام!. فقال لهم أبو جهل: أما ترون كيف محمد أبات هذا ونجى بنفسه؛ لنشتغل به فينجو محمد لا تشتغلوا بعلي المخدوع لينجو بهلاكه محمد، وإلا فما منعه أن كان ربه يمنع عنه كما يزعم. فقال علي عليه السلام: إليّ تقول هذا يا أبا جهل؟ بل الله قد أعطاني من العقل ما لو قسم على جميع حمقاء الدنيا ومجانينها لصاروا به عقلاء، ومن القوة ما لو قسم على جميع ضعفاء الدنيا لصاروا به أقوياء، ومن الشجاعة ما لو قسم على جميع جبناء الدنيا لصاروا به شجعاناً، ومن العلم ما لو قسم على جميع سفهاء الدنيا لصاروا به حكماء، ولولا أن رسول الله ﷺ أمرني أن لا أحدث حدثاً حتى ألقاه، لكان لي ولكم شأن ولأقتلنكم قتلاً، ويلك يا أبا جهل! إن محمداً ﷺ قد استأذنه في طريقه السماء والأرض والبحار والجبال في إهلاككم، فأبى إلا أن يرفق بكم ويداريكم؛ ليؤمن من في

علم الله أنه يؤمن منكم ويخرج مؤمنون من أصلاب وأرحام كافرين وكافرات أحب الله تعالى أن لا يقتطعهم عن كرامة باصطلاحهم، ولولا ذلك لأهلككم ربكم، إن الله هو الغني وأنتم الفقراء، لا يدعوكم إلى طاعته وأنتم مضطرون بل مكنكم مما كلفكم فقطع معاذيركم. فغضب أبو البختري بن هشام فقصده بسيفه فرأى الجبال قد أقبلت لتقع عليه، والأرض قد انشقت لتخسف به، ورأى أمواج البحار نحوه مقبلة لتغرقه في البحر، ورأى السماء انحطت لتقع عليه، فسقط سيفه وخرّ مغشياً عليه واحتمل، ويقول أبو جهل دِيرَ به لصفراء هاجت به يريد أن يلبّس على من معه أمره.

فلما التقى رسول الله ﷺ مع علي قال: يا علي، إن الله رفع صوتك في مخاطبتك أبا جهل إلى العلو، وبلغه الجنان، فقال من فيها من الخزان والحور الحسان: من هذا المتعصب لمحمد إذ قد كذبوه وهجروه؟ قيل لهم: هذا البائت عنه على فراشه، يجعل نفسه لنفسه وقاء وروحه لروحه فداء، فقال الخزان: يا ربنا فاجعلنا خزانه، وقالت الحور الحسان: فاجعلنا نساءه، فقال الله تعالى: أنتم له ولمن يختاره هو من أوليائه ومحبيه يقسمكم عليهم بأمر الله على من هو علم به من الصلاح أرضيتم؟ قالوا: بلى ربنا وسيدنا.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ [سورة المجادلة، الآية: ١٢].

عن مجاهد قال: قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: إنّ لفي كتاب الله آيةً ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي آية النجوى. كان لي دينار فبعته بعشرة دراهم فجعلت أقدم بين يدي كل نجوة أناجيها النبي ﷺ درهماً. قال تعالى: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ

ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة المجادلة، الآية: ١٣]

فهذه الآية، لم يعمل بها أحد بعدي.

قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [سورة الانسان، الآية: ٨] ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [سورة الانسان، الآية: ٩].

وهذه بإجماع المفسرين نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

وسبب نزول هذه الآية. لما مرض الحسن والحسين فنذر الإمام علي وفاطمة وفضة جارية فاطمة ـ إن شفي الحسنان، فان علي وفاطمة وفضة يصومون لله تعالى ثلاثة أيام. وبعد شفاء الحسنين صام أهل البيت عليهم السلام وعند غروب شمس أول يوم طرق الباب عليهم مسكين يشكو جوعه فأعطوه ما عندهم من خبز الشعير.

وفي اليوم الثاني: استطعمهم يتيم فأطعموا.

وفي اليوم الثالث من أيام النذر سألهم أسير فقدموا له طعامهم. وهكذا بقي أهل البيت ثلاثة أيام لم يذوقوا فيها غير الماء، فكان هذا العمل الخالص لوجه الله والغناء بالله ولأن أفعالهم قدوة لغيرهم وليكونوا المثال والأسوة فتنزلت هذه الآية الكريمة عليهم تعظيماً لشأنهم ودلالة على وجوب (ولا يتهم).

وعن ابن عباس قال: ليس من آية في القرآن يا أيها الناس (آمنوا) إلا وعلي على رأسها وأميرها، وشريفها، فلقد عاتب الله أصحاب محمد في القرآن وما ذكر عليّاً إلا بخير.

علي في السنّة النبوية

السنة هي الطريق والسيرة. وهذه الكلمة حينما تورد سرعان ما يشخصها العقل للدلالة الإلتزامية بالرسول الأكرم ﷺ قولاً وفعلاً وتقريراً هذا الترابط لعلي في السنة، لم يكن إضافياً ولا تعليقياً، بل كان جوهراً من جوهره، محصول ذلك أن الرسالة والرسول متلا زمان حقيقيان، وكذلك سنة الرسول هي محدثه وفرعه الذي تشبّح وامتد ويمتد في الكائنات، وبما أن الإمامة فرع النبوة من حيث الناس والأمة، كانت الشجرة النبوية دوماً تهدل أثمارها لتنالها أيدي المسلمين، فكان النبي ﷺ لا يدع مناسبة إلا ويشير إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام وينوه بذكره ويدل على عظمته. وبعد أن استعرضنا بعض الآيات التي نزلت في حق أمير المؤمنين عليه السلام لثبوت العلقة بين الرسالة والسنة والإمامة، وهذه مظاهر صفاتية أكثر منها حرفية وحدودية. قال النبي ﷺ عند المباهلة مع نصارى نجران: وقد ذكرها سبحانه: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٦١].

اللهم هذا نفسي وهو عندي عدل نفسي، اللهم هذه نسائي أفضل نساء العالمين، وقال عليه السلام: اللهم هذان ولداي وسبطاي، فأنا حرب لمن حاربوا، وسلم لمن سالموا.

ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما أنهزم الناس يوم أُحُد عن النبي انصرف بوجهه إليهم وهو يقول:

أنا محمد أنا رسول الله، لم أقتل ولم أمت؛ فألتفت إليه فلان وفلان فقالا: الآن يسخر بنا وقد هزمنا، وبقي معه علي وسماك بن خرشة أبو دجانه، فدعاه النبي ﷺ فقال: يا أبا دجانة انصرف وأنت حل من بيعتك، فأما علي فهو أنا وأنا هو.

ـ وقال ﷺ: يا علي أنت مني كروحي من جسدي. وقوله ﷺ: أنت مني كالضوء من الضوء.

ـ عن زادان عن سلمان قال: سمعت رسول الله يقول: كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله مطيعاً، يسبح ذلك النور ويقدسه قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عاماً. فلما خلق الله آدم ركز ذلك النور في صلبه، فلم يزل في شيء واحد حتى افترقنا في صلب عبد المطلب فجزء أنا وجزء علي.

ـ وقال ﷺ يوم المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار مخاطباً علياً عليه السلام: أنت أخي وأنا أخوك فان ذكرك أحد فقل أنا عبد الله وأخو رسول الله لا يدعيهما بعدك إلا كذاب.

ـ وأخرج ابن المغازلي من طرقه عن النعمان بن بشير عن رسول الله ﷺ قال: إنما مثل علي في هذه الأمة مثل قل هو الله أحد في القرآن.

ـ عن النبي ﷺ أنه قال لعلي عليه السلام: يا علي إن الله تعالى قال لي: يا محمد، بعثت علياً مع الأنبياء باطناً ومعك ظاهراً.

وقال ﷺ: بعث مع كل نبي سراً ومعي جهراً.

ـ روي عن النبي ﷺ قال: لو وضع أعمال أمتي في كفة، ووضع عملك يوم أحد في كفة أخرى لرجح عملك، وان الله باهى بك يوم أحد الملائكة المقربين، ورفعت الحجب من السموات، وأشرفت الجنة إليك وما فيها، وابتهج بفعلك رب العالمين.

ـ وعن النبي ﷺ: ياعلي أنت أمير من في السماء، وأمير من في الأرض، وأمير من مضى، وأمير من بقي، ولا أمير قبلك ولا أمير بعدك، ولا يجوز أن يسمى بهذا الاسم من لم يسمه الله به.

عن أبي رافع قال: لما قتل علي أصحاب الألوية يوم أُحد، قال جبريل: يا رسول الله، إن هذه لهي المواساة، فقال له النبي ﷺ: إنه مني وأنا منه، فقال جبريل: وأنا منكما يا رسول الله.

وقال العلامة الحافظ الشافعي: عن جابر بن عبد الله. قال: كنا عند النبي ﷺ فأقبل علي بن أبي طالب فقال النبي ﷺ: قد أتاكم أخي، ثم التفت إلى الكعبة فضربها بيده، وقال: والذي نفسي بيده، إن هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة ثم انه أولكم إيماناً، وأوفاكم بعهد الله وأقومكم بأمر الله، وأعدلكم في الرعية وأقسمكم بالسوية، وأعظمكم عند الله مزية. قال: ونزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [سورة البينة، الآية: ٧].

قال: وكان أصحاب الرسول إذا أقبل علي فقالوا: جاء خير البرية.

ـ سليم بن قيس قال: قال رسول الله ﷺ: أعطى الله علياً من الفضل لو قسم جزء منه على أهل الأرض لو سعهم، وأعطاه من الفهم لو قسم على أهل الأرض لو سعهم، شبّهتُ لينه بلين لوط، وخلقه بخلق يحيى، وزهده بزهد أيوب وسخاؤه بسخاء إبراهيم. وبهجته ببهجة سليمان بن داوود، وقوته بقوة داوود، ولو أوحى الله إلى أحد بعدي لأوحى إليه، فزين الله به المحافل وأكرم به العساكر وأخصب به البلاد وأعز به الأجناد، مثله كمثل البيت الحرام يزار ولا يزور، ومثله كالقمر إذا طلع أضاء الظلمة. وكمثل الشمس إذا طلعت أنارت الدنيا.

في المناقب: عن ابن شاذان من طريق المخالفين عن ابن عباس

قال: قال رسول ﷺ لعبد الرحمن بن عوف: ياعبدالرحمن: أنتم أصحابي وعلي بن أبي طالب منّي وأنا من علي، فمن قاسه بغيره فقد جفاني، ومن جفاني فقد أذاني ومن أذاني فعليه لعنة الله ربي، يا عبد الرحمن إن الله تعالى أنزل علي كتاباً مبيناً وأمرني أن أبين للناس ما نزل إليهم ماخلا عليّ بن أبي طالب فإنه لم يحتج إلى بيان لأنّ الله تعالى جعل فصاحته كفصاحتي ودرايته كدرايتي، ولو كان الحلم رجلاً لكان عليّاً، ولو كان العقل رجلاً لكان الحسن، ولو كان السخاء رجلاً لكان الحسين، ولو كان الحُسْنُ شخصاً لكان فاطمة بل هي أعظم، إن فاطمة إبنتي خير أهل الأرض عنصراً وشرفاً وكرماً.

شيخ البطحاء

قال تعالى: ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ [سورة البلد، الآية: ٢].

في ذلك البيت الشامخ الرفيع العمد الممتد بالنور تخرّج أبو طالب وضّاح السنى لامع النور احتجبت فيه صفات عبد المطلب الهاشمي الذي ظهرت معجزته، يوم قال لأبرهة الجبار الذي سار نحو بيت الله الحرام ليهدمه: أعطني إبلي فأنا ربها وللبيت ربٌّ يحميه. فما كانت إلا سحابة من وقت السماء تحركت فعصفت غاضبةً، وإذْ بطيور الأبابيل تفلّ جيش الفيل صرعى في الوُدي، هنا أدرك العرب والأعداء للبيت الحرام أنّ عبد المطلب مؤيدٌ من السماء، ولما ورث أبو طالب عظمة الإيمان وشموخه إتجهت إليه العيون والقلوب، لأنه كان مرهوب الجناب، وعزيز المقام، فهو شيخ مكة وبيضة البلد، أوصاه أبوه عبد المطلب بالقول:

انظر ـ يا أبا طالب! ـ أن تكون حافظاً لهذا الوحيد، الذي لم يشمّ رائحة أبيه ولم يذق شفقة أمه. انظر أن يكون ـ من جسدك ـ بمنزلة كبدك. فإني قد تركت بنيّ كلهم وخصصتك به، لأنك من أم أبيه، واعلم

فان استطعت أن تتبعه فافعل، وانصره بلسانك، ويدك، ومالك. فإنه والله سيسودكم، ويملك ما لا يملك أحد من آبائي. هل قبلت؟

فأجابه: «قد قبلت. والله على ذلك شاهد!».

ومدَّ يده إليه، فضرب بها على يد ابنه ـ أبي طالبْ ـ وأرسل كلمته المنبثقة من عميق قلبه، وقد استراح من عناء هذه المهمة الثقيلة، واستقبل الموت بطمأنينة ضميرٌ وقال له:

«الآن خفف عليَّ الموت! ».

وراح يغمره بفيضٌ من قبلات الحنان، تحمل شفقة الوالد الحدب، ويقول:

«أشهد أني لم أرَ أحداً ـ في ولدي_ أطيب ريحاً منك، ولا أحسن وجهاً».

إنّ نور عبد المطلب سرى في نور إبنه عبد مناف، ودليل ذلك إحتضانه لرسول الله وتصديقه لرسالته، واشتهر بأنه كافل اليتيم، وحامي الرسالة،

ولكن الإيمان بالدعوة، والإطمئنان إليها، يفرضان عليه هذا الموقف العظيم، ليمدّ ابن أخيه بقوةٍ وثباتٍ وشجاعةٍ. فالمهمة التي ألقيت على كاهله بهيظة المحمل. فعليه: أن يؤازرها، ويدافع عنها، وينصرها نصراً مبيناً، وهو العليم بأنها رسالة السماء، والتي بشرت بها الكتب المقدسة، مما قرأ عبد المطلب.

ففي يوم الإنذار ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، وإذ انتهى الرسول من دعوته، بادره عمه أبو طالبْ، بالقول:

[ما أحب إلينا معاونتك، وأقبلنا لنصيحتك، وأشدّ تصديقنا لحديثك. وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون، وإنما أنا أحدهم غير أني أسرعهم

إلى ما تحب. فامض لما أمرت به. فو الله لا أزال أحوطك وأمنعك، غير أن نفسي، لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب].

فعارض أبو لهبٍ أبا طالبٍ، في المقال :

«هذه ـ والله! السوأة!. خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم».

وإذا بأبي طالبٍ، يجيبه :

«والله لنمنعنه ما بقينا».

ثم يلتفت لابن أخيه، ليقول له :

[قم يا سيدي! وتكلم بما تحب وبلغ رسالة ربك، فأنت الصادق الصديق.] وقد ورد في التاريخ: قحط الناس في مكة وحواليها سنة من السنين، ومنعت السماء والأرض بركاتها عنهم بشكل عجيب، فمشت قريش باكية إلى أبي طالب تطلب منه بإلحاح أن يستسقي لهم وأن يذهب إلى المصلى ويدعو ربه لينزل عليهم المطر وينقذهم من تلك المحنة الصعبة. فخرج أبو طالب وقد أخذ بيد غلام كأنه شمس دجن تجلت عنها غمامة فأسند ظهره إلى الكعبة ورفع وجهه نحو السماء وقال: يا رب بحق هذا الغلام أسقنا غيثاً مغيثاً دائماً هاطلاً. وأنشد :

وأبيض يُستسقى الغمامُ بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشمٍ فهم عنده في نعمة وفوا ضل

وكانت السماء صافية لاغيم فيها أبداً، وما انتهى أبو طالب من دعائه الاّ وأقبلت السحاب في الحال وغطّت سماء مكة وما حولها وأرعدت السماء وأبرقت ثم جرى الغيث وسالت به الأودية وروّت القريب والبعيد وسُرّ به الجميع ورضوا.

هذا هو أبو طالب كافلٌ لليتيم حامي الرسول والمدافع عنه كيف صار في التاريخ وحاولوا النيل من هاشميته العلوية، في الآمالي:

بالإسناد عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام كان ذات يوم جالساً في الرحبة والناس حوله مجتمعون، فقام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين: أنت بالمكان الذي أثرك الله فيه وأبوك يعذب بالنار، فقال له فضّ الله فاك، والذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحق نبياً لو شفع أبي في كل مذنب على وجه الأرض لشفعه الله فيهم أبي يعذب بالنار وإبنه قسيم الجنة والنار، ثم قال والذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحق أن نور أبي طالب يوم القيامة ليطفئ أنوار الخلق إلا خمسة أنوار نور محمد ونوري ونور فاطمة ونور الحسن والحسين ومن ولده الأئمة لأنه من نورنا الذي خلقه الله من قبل خلق آدم بألفي عام.

وقال ابن أبي الحديد :

ولولا أبو طالبٍ وابنُه لما مثل الدين شخصاً وقاما
فذاك بمكة آوى وحامى وهذا بيثرب جسَّ الحماما

وقد ذكر أبو نواس في شعره النسب العلوي الطاهر :

قيل لي أنت أشعر الناس طراً في فنون من الكلام النبيه
لك من جوهر الكلام بديعٌ يثمر الدرّ في يدي مجتنبه
فعلامَ تركت مدح ابن موسى والخصال التي تجمعنَّ فيه
قلت لا أستطيع مدح إمامٍ كان جبريل خادماً لأبيه

ومدح أيضاً هذا البيت المتقادم بالشرف والأثيل بالطهارة بصورة الرضا عليه السلام :

مطهرون نقياتٌ ثيابهمُ تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا
من لم يكن علوياً حين تنسبهُ فما له في قديم الدهر مفتخر
فالله لما بدا خلقاً و أتقنه صفاكم واصطفاكم أيها البشرُ
وأنتم الملأ الأعلى وعندكمُ علم الكتاب وما جاءت به السورُ

هذه الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة تثبت إيمان أبي طالب

المتوغل في البلد والحاضن للرسول الأعظم، والذي أورث ابنه أمير المؤمنين الشجاعة والدفاع عن ابن عمه وملازمته حتى كان ظهيره كما أبوه الذي عرّض نفسه للأذى في سبيل الرسول، ومقارعة جبابرة مكة وتهديدهم، فلا عجب أن ترى الفجور كيف ينال من الشجرة المباركة، حيث إستفّ العناد والحسد حتى تنال بحقدها بنو أمية من الإسلام ولكن بالتهجم على أمير المؤمنين عليه السلام، وذلك بالشتم والسبّ لعليّ عليه السلام بأمرٍ من معاوية، واستمر الذمُّ بينهم وقتل كل من ظهر ولاؤه لآل البيت الطاهر، وعملوا على لبس الفرو مقلوباً، لعل الناس تأخذ بالإسلام مقلوباً وعندها فقط لا فائدة من مثل ذلك الفرو، بل سيصبح مضحكاً ومثيراً للسخرية، وكذلك اشتغلوا على طمس حقائقهم وتزويرها، إلى أن آلت نوبة الإمارة إلى عمر بن عبد العزيز الذي تفكر في معاوية وأولاده ولعنه علياً عليه السلام وقتل أولاده من غير استحقاق، فلما أصبح، أحضر الوزراء فقال: رأيت البارحة أن هلاك آل أبي سفيان بمخالفتهم العترة، وخاطر ببالي أن أرفع لعنهم، وقال وزراؤه: الرأي رأي الأمير، فلما صعد المنبر يوم الجمعة، قام إليه ذمّيّ متمول، واستنكح منه بنته، قال عمر: إنك عندنا كافر، لا تحل بناتنا للكافر، فقال الذمي: فلِمَ زوج نبيكم بنته فاطمة من الكفر علي بن أبي طالب؟ فصاح عليه عمر فقال: من يقول إن علياً كافر؟

فقال الذمّيّ: إن لم يكن علي كافراً فلِمَ تلعنونه؟ فتخجّل عمر ونزل، وكتب إلى قاضي بلاد الإسلام: إن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رفع لعن عليّ عليه السلام لأن ذلك كان بدعة وضلالة وأمر من القواد خمسمائة من الشجعان حتى لبسوا السلاح تحت ثيابهم في جمعة أخرى وصعد المنبر، وكان عادتهم لعنه عليه السلام آخر الخطبة، فلما خرج من الخطبة قال: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

[سورة النحل، الآية: ٩٠] مقام اللعن ونزل، وصاح القوم من جوانب المسجد: كفر أمير المؤمنين، وحملوا عليه ليقتلوه، فنادى القواد فصاح بهم حتى أظهروا الأسلحة وخلصوه من أيديهم والتجأ بإغاثة القواد إلى قصره؛ فصارت قراءة هذه الآية سُنّة في آخر الخطبة؛ وتفرق الناس قائلين: غُيرت السنّة، وابدلت السنّة».

الإمام علي عليه السلام عند الصحابة

الصحابة هو من شاهد الرسول وجالسه واستمع حديثه وهو مأخوذ من الصحبة للرسول صلى الله عليه وآله. وبعد أن استعرضنا الآيات المباركة والأحاديث النبوية الدالة على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ووجوب الطاعة له، نستدل كذلك بأقوال الصحابة وباستدلالهم على منزلته من الرسول صلى الله عليه وآله وعلو شأنه وما رأوا فيه من آيات ذاتية وآفاقية وخارجية تبين على أنه الإمام المفترض الطاعة والموجب اتباعه وأنه صاحب الولاية بأمر من الله جل جلاله. لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٥٥].

قال المفسرون نزلت هذه الآية الكريمة في علي بن أبي طالب عليه السلام وعن أبي سعيد الخدري قال: كنا نعرف المنافقين ببغضهم علياً.

عن سلمان الفارسي قال: أيها الناس اسمعوا عني حديثي ثم اعقلوه عني. ألا واني أوتيت علماً كثيراً، فلو حدثتكم بكل ما أعلم من فضائل أمير المؤمنين لقالت طائفة منكم: هو مجنون، وقالت أخرى: اللهم اغفر لسلمان، أما والذي نفس سلمان بيده لو وليتموها علياً لأكلتم من فوقكم ومن تحت أرجلكم، ولو دعوتم الطير لأجابتكم في جو السماء، ولو دعوتم الحيتان من البحار لأتتكم، ولا طاش لكم سهم من فرائض الله، ولا اختلف اثنان في حكم الله، ولكن وليتموها غيره فابشروا بالبلاء، عليكم بآل محمد فإنهم القادة إلى الجنة والدعاة إليها يوم القيامة، عليكم بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب فو الله لقد سلمنا

عليه بالولاية، وإمرة المؤمنين مراراً جمّة مع نبينا، وكل ذلك يأمرنا به ويؤكد علينا، فما بال قوم عرفوا فضله فحسدوه! وقد حسد قابيل هابيل فقتله، وكفاراً قد ارتدت من أمة موسى بن عمران فأمرُ هذه الأمة كأمر بني إسرائيل، فأين يذهب بكم؟».

وعن سلمان الفارسي قال: سمعت رسول الله يقول: يا معشر المهاجرين والأنصار ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: هذا علي أخي ووزيري ووارثي وخليفتي، إمامكم فأحبوه لحبي وأكرموه لكرامتي فإنّ جبريل أمرني أن أقول لكم ما قلت.

وعن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ وقد قدم عليه أهل الطائف: يا أهل الطائف لتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة أو لأبعثنّ إليكم رجلاً كنفسي، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يقصعكم بالسيف، فتطاول لها أصحاب رسول الله فأخذ بيد عليٍّ فأشالها ثم قال: هو هذا، فقال أبو بكر وعمر: ما رأينا كاليوم في الفضل قط.

عن سعيد بن المسيب قال: لم يكن أحدٌ من أصحاب رسول الله يقول سلوني إلاّ عليّاً.

وعن عبد الله بن العباس قال: والذي نفسي بيده، لو كانت بحار الدنيا مداداً وأشجارها أقلاماً، وأهلها كُتّاباً، فكتبوا مناقب ابن أبي طالب وفضائله ما أحصوها. وعن عمرو بن الحمق الخزاعي قال لأمير المؤمنين ﷺ: والله لو كلفتني نقل الجبال الرواسي، ونزح البحور الطوامي حتى يأتي علي يومي وفي يدي سيفي أهز به عدوك وأقوي به وليك، ما ظننت أني أديت حقك الذي يجب عليّ.

وعن أم سلمة: والذي نفس أم سلمة بيده، اني سمعت رسول الله ﷺ يقول: علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض.

وعن حذيفة بن اليماني: والذي نفس حذيفة بيده لعمله في ذلك اليوم (يعني يوم الخندق) أعظم أجراً من عمل أصحاب محمد إلى يوم القيامة.

وعن أنس بن مالك قال: والله الذي لا اله إلا هو سمعت رسول الله ﷺ يقول: عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب.

عن عائشة قالت: رأيت أبا بكر يكثر النظر إلى وجه علي، فقلت: يا أبت رأيتك تكثر النظر إلى وجه علي، فقال: يا بنيّة سمعت رسول الله ﷺ يقول: النظر إلى وجه علي عبادة.

وعن أبي ذر الغفاري قال: كنت سائراً مع علي إذ مررنا بواد نمل كالسيل فقلت: الله أكبر جل محصيه، فقال علي ﷺ: لا تقل ذلك ولكن قل: جل باريه فوالذي صورني وصورك إني أحصي عددهم، وأعلم الذكر منهم والأنثى بإذن الله.

وعن عبادة بن الصامت قال: كنا نبور أولادنا بحب علي بن أبي طالب، فإذا رأينا أحدهم لا يحب علي بن أبي طالب علمنا أنه ليس منا وأنه لغير رشده (أي ولد زنا).

وعن شريك بن عبد الله يقول: إذا رأيت الرجل لا يحب علي بن أبي طالب فاعلم أن أصله يهودي.

وفي رواية لعائشة عن عطاء قال: سألت عائشة عن علي، فقالت: ذاك خير البشر لا يشك فيه إلا كافر.

وعن عبد الله بن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة ونصب الصراط على شفير جهنم، لم يجز عليه إلا من كان معه كتاب بولاية علي بن أبي طالب ﷺ.

الصحابة عرفوا منزلته فقالوا فيه كلٌّ على حسب قربهم، فيس بن

عبادة صحابي جليل انشد الإمام شعراً بين يديه بعد رجوعهم من البصرة:

قلت لمّا بغى العدو علينا ... حسبنا ربنا ونعم الوكيل
حسبنا ربنا الذي فتح الـ ... ـبصرة بالأمس والحديث طويل
وعلي إمامنا وإمام ... لسوانا أتى به التنزيل
يوم قال النبي من كنت مولاه ... فهذا مولاه خطبٌ جليل
إن ما قاله النبي على الأمة ... حتمٌ ما فيه قال وقيل

والصحابي حسّان بن ثابت الأنصاري صحابي مشهور، قال في الإمام عليه السلام

وكان عليٌّ أرمد العين ينتغي ... دواءً فلم يحسن مداويا
سقاه رسول الله منه بتفلةٍ ... فبورك مرقيا وبورك راقيا
وقال سأعطي الراية اليوم فارسا ... كميّاً محباً للرسول مواليا
يحبُّ إلهي والإله يحبّه ... به يفتح الله الحصون الأوابيا
فأصفى به دون البرية كلها ... عليّاً وسمّاه الوزير المؤاخيا

وقال ايضاً:

بناديهم يوم الغدير نبيهم ... بخُمٍّ وأكرم بالنبيّ مناديا
وقال فمن مولاكم ووليّكم ... فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت نبيُّنا ... وما لك منّا بالوصاية عاصيا
فقال له قم يا عليُّ فإنّني ... رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليُّه ... فكونوا له أنصار صدقٍ مواليا

وقال أيضاً:

ويوم الدَّوْح دَوْح غدير خمٍّ ... أبان له الولاية لو أطيعا
ولكنّ الرجال تبايعوها ... فلم أرَ مثلها خطراً منيعا
فقل لبني أمية حيث كانوا ... وإن خفت المهنّد والقطيعا
ولم أرَ مثل ذاك اليوم يوماً ... ولم ار مثله حقاً أضيعا

أجاع الله من أشبعتموهُ ... وأشبع من بجوركم أجيعا

❁ ❁ ❁

عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: إن علياً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي.

وفي كتاب نور الأبصار للشافعي: روي أنّ الإمام الباقر عليه السلام سأل جابر بن عبدالله الأنصاري لما دخل عليه عن عائشة وما جرى بينها وبين علي بن أبيطالب عليه السلام؟ فقال جابر: دخلت عليها يوماً وقلت لها: ما تقولين في علي بن أبي طالب؟ فأطرقت رأسها ثم رفعته، وقالت:

إذا ما التبر حكّ على محكٍّ ... تبين غشّه من غير شك
وفينا الغشُّ والذهب المصفّى ... وعليّ بيننا شبه المحكّ

وبمقدورنا أن نلمس دور الإمام عليه السلام الرسالي إذا قرأنا بعض المفردات التي تبناها أيام الخلفاء الذين سبقوه. وقد تعامل الإمام مع الخلافة حسب ما تحكم به المصلحة الإسلامية حفظاً للإسلام والأمة من التمزّق والضياع وتحقيقاً للمصالح العليا.

لقوله: فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله، أن أرى فيه ثلماً أو هدماً، تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم التي هي متاع أيام قلائل يزول منها ماكان، كما يزول السراب أو كما ينقشع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق، واطمأن الدين وتنهنه.

ففي خلافة أبي بكر كان الإمام علي يرى مصلحة الإسلام فوق كل الاعتبارات لأن الإسلام نور ويجب أن يعم هذا النور ويتم، وهذا ما سعى إليه وأقامه، وهذه الحادثة تدل على عظمة الإمام علي عليه السلام.

ـ أراد أبو بكر أن يقيم الحد على شارب خمر. فقال: الرجل:

اني شربتها ولا علم لي بتحريمها، فأرسل إلى الإمام يسأله عن ذلك فقال علي ﷺ: مُرْ نقيبين من رجال المسلمين يطوفان به على المهاجرين والأنصار وينشدانهم هل فيهم أحد تلا عليه آية التحريم أو أخبره بذلك عن رسول الله، فإن شهد بذلك رجلان منهم فأقم الحدّ عليه، وان لم يشهد أحد بذلك، فاستتبه وخلّ سبيله، ففعل الخليفة ذلك فعلم صدق الرجل فخلي سبيله.

ـ قدم جاثليق النصارى يصحبه مائة من قومه، فسأل أبا بكر أسئلةً، فاستدعى علياً ﷺ فأجابه عنها، ونكتفي بسؤال واحد، قال الجاثليق: أخبرني عن وجه الله تبارك وتعالى؟ فدعا علي ﷺ بحطب ونار وأضرمه فلمّا اشتعلت قال: أين وجه النار؟ قال الجاثليق: هي وجه من جميع حدودها، فقال الإمام علي: هذه النار مدبّرة مصنوعة لا يعرف وجهها، وخالقها لا يشبهها، ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثمّ وجه الله، لا تخفى على ربّنا خافية.

وفي خلافة عمر ابن الخطاب، بقي الإمام علي يدافع عن مصالح المسلمين ليحصن الرسالة، ويحل المعضلات، ويجيب على العويصات من المسائل التي تعتري الخلافة. لقوله ﷺ: فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليَّ أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل، يزول منها كما يزول السراب أوكما ينقشع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق، واطمأنّ الدين وتنهنه ».

ـ فأمير المؤمنين ﷺ ينظر إلى الدنيا وكل ما فيها على أنها آلة أو أداة يستعين بها للآخرة لا على أنّها مستقلة بذاتها فتصبح غاية يتنافس عليها، لذلك رأى المصيبة في توهين الإسلام وفنائه الذي يخطط له الجبابرة أعداء الإسلام، ولو كان طامعاً في شيء لوسعه، إلاّ أنّ الإمام استوعب ووسع كل شيء، ولم يقف مكتوف اليدين في الساحة. فقال

:أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على ظلم ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنزٍ». يؤكد الإمام أنه دخل الميدان السياسي والإجتماعي لنصرة الإسلام ليوطد دعائم الدين ويحفظ على الأمة وحدتها من الفرقة والشتات.

وقد ورد أنّ عمر بن الخطاب رأى ليلة رجلاً وامرأةً على فاحشةٍ، فلمّا أصبح قال للناس: أرأيتم أنّ إماماً رأى رجلاً وامرأةً على فاحشةٍ فأقام عليهما الحدّ ما كنتم فاعلين؟ قالوا إنما أنت إمام.

فقال علي بن أبي طالب «ليس ذلك لك، إذن يقام عليك الحد، إن الله لم يأمن على هذا الأمر أقل من أربعة شهداء». ثم إن عمر ترك الناس ما شاء الله.

ثم سألهم: فقال القوم مثل مقالتهم الأولى، وقال علي ﷺ مثل مقالته: فأخذ عمر بقول الإمام ﷺ، ولم يستثقل قول الحق بل إزداد به بصيرةً وطاعةً لدى نصيحة الإمام ﷺ.

وفي شرح النهج للحديدي:

روى ابو سعيد الخدري، قال: حججنا مع عمر بن الخطاب أول حجة في خلافته، فلما دخل المسجد الحرام دنا من الحجر الأسود فقبّله واستلمه، وقال: إني أعلم أنك حجر لاتضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله قبّلك واستلمك، لما قبّلتك واستلمتك، فقال له عليٌّ ﷺ: بلى يا أمير المؤمنين إنه ليضرُّ وينفع ولو علمت تأويل ذلك من كتاب الله لعلمت أنّ الذي أقول لك والحق كما أقول، لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٧٢].

فلما أشهدهم وأقروا له أنه الرب وأنهم العبيد كتب ميثاقهم في رقٍّ ثم ألقمه هذا الحجر وإن له عينين ولساناً وشفتين يشهد لمن وافاه بالموافاة، فهو أمين الله في هذا المكان، فقال عمر: لا أبقاني الله بأرض لست فيها يا أبا الحسن.

يتبين معنا أنّ العبادة بلا معرفة، سرعان ما يهجم الشك على صاحبها عند أول إمتحان، وينقلب عليها لعدم تفقهه بدينه، وهذا ماذهب إليه الإمام بأنّ التعبد الظاهري مرتبط بحكمة إلهية لاتستكنهها العقول بل التسليم ابقى للمسلم، وأثبت في اليقين.

وعن الأصبغ بن نباتة قال: أُتي عمر بخمسة نفرٍ أُخذوا بالزنا، فأمر عمر أن يقام على كل واحد منهم الحد، وكان أمير المؤمنين علي عليه السلام فقال يا عمر ليس هذا حكمهم. قال: فأقم أنت الحدّ عليهم، فقدم واحداً فضرب عنقه، وقدم الآخر فرجمه، وقدم الثالث فضربه الحدّ، وقدم الرابع فحده نصف الحدّ، وقدم الخامس فعزّره، فتحير عمر وتعجب الناس من فعله!،

فقال عمر: يا أبا الحسن خمسة نفرٍ في قضية واحدةٍ أقمت عليهم خمسة حدود ليس شيء منها يشبه الآخر؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أما الأول فكان ذمياً فخرج عن ذمته لم يكن له حدّ الاّ السيف. وأما الثاني فرجل محصن كان حدّه الرجم، وأما الثالث فغير محصن حدّه الجلد، وأما الرابع فعبد ضربناه نصف الحدّ، وأما الخامس فمجنون مغلوب على عقله.

- ففي تاريخ الطبري عن سعيد بن المسيب:

قال: جمع عمر بن الخطاب الناس فسألهم، عن أي يوم نكتب التاريخ؟

فقال علي عليه السلام: من يوم هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وترك أرض الشرك.

ففعله عمر. وقد كان عمر يراه من أفضل من يقود الناس، فقد ورد أنه كان يناجي رجلاً من الأنصار فقال: من تحدثون أنه يستخلف من بعدي؟ فعد الأنصاري المهاجرين ولم يذكر علياً، فقال عمر: اين أنتم من علي؟ فوالله لو استخلفتموه، لأقامكم على الحق وإن كرهتموه، وقال لإبنه عبدالله بعد أن طعن: أن لو ولوها الأجلح سلك بهم الطريق.

ورووا أنه أتى بحامل قد زنت فأمر عمر برجمها، فقال له علي عليه السلام: هب لك سبيل عليها، ألك سبيل على ما في بطنها، والله يقول: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٦٤]..

فقال عمر: لا عشت لمعضلة لا يكون لها أبو الحسن، ثم قال له: ما أصنع بها؟ قال: احتفظ عليها حتى تلد، فإذا ولدت ووجدت لولدها من يكفله فأقم الحد عليها». فسُرَّ بذلك عمر وعوّل في الحكم على أمير المؤمنين عليه السلام.

وعن مسروق: أن عمر أتى بامرأة قد نكحت في عدّتها ففرّق بينهما، وجعل مهرها في بيت المال، وقال: لا يجتمعان أبداً، فبلغ ذلك علياً فقال: إن كانا جهلا فلها المهر بما استحل من فرجها، ويفرق بينهما، فإذا انقضت العدّة فهو خاطبها من الخطاب، فنادى عمر وقال: ردوا الجهالات إلى السنّة، فرجع إلى قول علي عليه السلام.

وعن جابر الجعفي عن تميم بن حزام: انه رفع إلى عمر منازعة جاريتين تنازعتا في إبن وبنت، فكل تدعي الإبن لها، فاحتار عمر، فقال: ابن مفرج الكرب؟ فدعي له به، فقصّ عليه القصة، فدعا بقارورتين فوزنهما ثم أمر كل واحدة أن تملأ القارورة من حليبها، ووزنهما فرجحت إحداهما على الأخرى، فقال: الإبن للتي رجح لبنها،

والبنت للتي لبنها أخفُ، فقال عمر من أين قلت ذلك يا أبا الحسن؟ فقال: لأن الله جعل للذكر مثل حظ الأنثيين. . . . وجاءت الآثار أن رجلين اختصما إلى النبي ﷺ في بقرة قتلت حماراً فقال أحدهما: يا رسول الله بقرة هذا الرجل قتلت حماري، فقال رسول الله ﷺ: اذهبا إلى أبي بكر فسلاه القضاء في ذلك». فجاءا إلى أبي بكر وقصا عليه قصتهما، فقال: كيف تركتما رسول الله وجئتماني؟ فقالا: هو أمرنا بذلك، فقال لهما: بهيمة قتلت بهيمة لا شيء على ربها، فعادا إلى النبي ﷺ فأخبراه بذلك فقال لهما: امضيا إلى عمر بن الخطاب فقصا عليه قصتكما»د. فقال لهما: كيف تركتما رسول الله وجئتماني؟ فقالا: انه أمرنا بذلك، قال: فكيف لم يأمركما بالمسير إلى أبي بكر؟

قالا: قد أمرنا بذلك فسرنا إليه فقال: ما الذي قال لكما في هذه القضية؟ قالا له قال: كيت وكيت، قال: ما أرى فيها إلاما رأى أبو بكر، فعادا إلى رسول الله فخبراه الخبر، قال: اذهبا إلى علي بن أبي طالب ليقضي بينكما». فذهبا إليه فقضا عليه قصتهما، فقال ﷺ: إن كانت البقرة دخلت على الحمار في مأمنه فقتلته، فعلى ربها قيمة الحمار لصاحبه، وان كان الحمار دخل على البقرة في مأمنها فقتلته فلا غرم على صاحبها. فعادا إلى النبي ﷺ فأخبراه بقضيته بينهما، فقال ﷺ: لقد قضى علي بن أبي طالب بينكما بقضاء الله عز اسمه. ثم قال: الحمد لله الذي جعل فينا أهل البيت من يقضي على سنن داوود في القضاء.

وله مثل ذلك في خلافة عثمان بن عفان:

رووا أن رجلا كانت له سرية فأولدها ثم اعتزلها وأنكحها عبداً له، ثم توفي السيد فعتقت بملك ابنها لها، فورث ولدها زوجها، ثم توفي الابن فورثت من ولدها زوجها، فارتفعا إلى عثمان يختصمان، تقول: هذا عبدي، ويقول: هي امرأتي ولست مفرجاً عنها، فقال

عثمان: هذه قضية مشكلة وأمير المؤمنين حاضر، فقال الإمام: سلوها هل جامعها بعد ميراثها له؟ فقالت: لا.

فقال: لو أعلم ذلك لعذبته، اذهبي فانه عبدك ليس له عليك سبيل، إن شئت أن تسترقيه أو تعتقيه أو تبيعيه فذلك لك». فصار عثمان إلى قضائه بذلك . . .

وأتي إلى عثمان بامرأة قد ولدت لستة أشهر، فهمّ برجمها فقال علي ﷺ: إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك إن الله تعالى يقول: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾. ثم قال تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٣٣].

فحولين مدة الرضاع، وستة أشهر مدة الحمل. فقال عثمان: ردوها. أي لا ترجموها.. هذا يسير من المسؤوليات التي نهض بها الإمام ﷺ في عهد الخلفاء، ليحفظ الوحدة ويحمي الرسالة من الانحراف حتى اشتهرت القولة: أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن..

لماذا كان ينطلق الإمام مع الخلفاء والصحابة بالمصارحة والمعالنة؟ لتصحيح أي خطإ وتسديد أي إعوجاج، وشخص غير الإمام لو كان يطمح في شيء من الرئاسة لترك الخلفاء يغوصون في الخطأ والضياع، ليبرز بأنه الأجدر والأكفأ بالحكومة، ولكن سكوته ﷺ يشجع سياسة التخلّف المصحوبة بالنفاق ومغبتها التلاعن والسباب والإنقلاب على الإسلام، وتوهين الدين والأخلاق، إلا أن تدخله لكي يطهر القلوب والأرواح من الخصال الذميمة المترسبة في النفوس، والتي تؤدي إلى الخضوع والذل للرعية، والغرور وإفتعال الشخصية الوهمية لدى الحكام والممتلئة غروراً، فلنستمع إلى الإمام كيف يصب مزنه على الحكام والولاة وينبه الجميع كيف يتعاطون مع قلوب الآخرين

ومشاعرهم ليطهر النفوس، قال: فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة، ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادرة، ولا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنوا بي استثقالاً في حقٍ قيل لي، ولا التماس إعظام لنفسي، فأنه من استثقل الحق أن يقال له، والعدل أن يعرض عليه، كان العمل بهما أثقل عليه، فلا تكفوا عن مقالةٍ بحق، أو مشورةٍ بعدلٍ، فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ، ولا آمن ذلك من فعلي، إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني، فإنما أنا وأنتم عبيدٌ مملوكون لرب لا رب غيره...

هذا الكلام لايعني إنّ الإمام يخطئ وينتظر الإصلاح من الناس أبداً، وإنما يعلّم الناس على قول الحق والصدع به في وجه المخطئين مهما علت مسؤولياتهم.

وبالإسناد إلى صعصعة بن صوحان أنه دخل على أمير المؤمنين لما ولي الخلافة، فقال: يا أمير المؤمنين أنت أفضل أم آدم أبو البشر؟ قال علي عليه السلام تزكية المرء نفسه قبيح، قال تعالى لآدم: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية ٣٥].

وان أكثر الأشياء أباحنيها الله، وتركتها ما قاربتها، ثم قال: أنت أفضل أم نوح؟ فقال علي عليه السلام: إن نوحاً دعا على قومه، وأنا ما دعوت على ظالمي حقي، وابن نوح كافر، وابناي سيدا شباب أهل الجنة. قال: أنت أفضل أم موسى؟ قال عليه السلام: ان الله تعالى أرسل موسى إلى فرعون، فقال: اني أخاف أن يقتلوني، وأنا ما خفت حين أرسلني رسول الله صلى الله عليه وآله بتبليغ سورة براءة أن أقرأها على قريش في موسم الحج مع أني قتلت كثيراً من صناديد هم، فذهبت اليهم وقرأتها عليهم وما خفتهم.

قال: أنت أفضل أم عيسى بن مريم؟ فقال عليه السلام عيسى كانت أمه في بيت المقدس فلما جاءت وقت ولادتها سمعت قائلاً يقول: أخرجي هذا

بيت العبادة لا بيت الولادة، وأمي فاطمة بنت أسد لما قرب وضع حملها كانت في الحرم، فانشق حائط الكعبة وسمعت قائلاً يقول لها: ادخلي ودخلت في وسط البيت وأنا ولدت به، وليس لأحد هذه الفضيلة لا قبلي ولا بعدي.

وورد في التاريخ: أنه لما وردت حرة بنت حليمة السعدية على الحجاج الثقفي فمثلت بين يديه، قال لها: أنت حرة بنت حليمة؟ قالت له: فراسة من غير مؤمن، فقال لها: الله جاء بك، فقد قيل عنك أنك تفضلين علياً على أبي بكر وعمر وعثمان، فقالت لقد كذب الذي قال إني أفضله على هؤلاء خاصة قال: وعلى من غير هؤلاء؟ قالت أفضله على آدم ونوح ولوط وإبراهيم وداوود وسليمان وعيسى، فقال لها: ويلك انك تفضلينه على الصحابة وتزيد بن عليهم سبعة من الأنبياء من أولي العزم من الرسل: إن لم تأتي ببيان ما قلتِ ضربت عنقك. فقالت: ما أنا مفضلته على هؤلاء الأنبياء ولكن الله فضله عليهم في القرآن بقوله في آدم: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [سورة طه، الآية: ١٢١]، وقال في حق علي وكان سعيكم مشكوراً، قال: أحسنت يا حرة، فَبِمَ تفضلينه على نوح ولوط؟ فقالت: الله فضله عليهما بقوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾.

أما علي بن أبي طالب كان مع الملائكة عند سدرة المنتهى، وزوجته بنت الرسول فاطمة الزهراء التي يرضى الله لرضاها ويسخط لسخطها.

فقال الحجاج: أحسنت يا حرة، فَبِمَ تفضلينه على أبي الأنبياء إبراهيم الخليل؟ فقالت: الله فضله بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾. [سورة البقرة، الآية: ٢٦٠].

ومولاي أمير المؤمنين قال قولاً لا يختلف فيه إثنان من المسلمين:

لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً. وهذه كلمة ما قالها أحد قبله ولا بعده، فقال: أحسنت يا حرة فبم تفضلينه على موسى كليم الله؟ قالت: بقول الله: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. [سورة القصص، الآية: ٢١].

وعلي بن أبي طالب بات على فراش رسول الله لم يخف، حتى أنزل الله تعالى في حقه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾. [سورة البقرة، الآية: ٢٠٧].

قال الحجاج أحسنت يا حرة، فبم تفضلينه على داو ود وسليمان قالت: الله فضله عليهما بقوله: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ [سورة ص، الآية: ٢٦].

فقال لها: في أي شيء كانت حكومته؟ قالت: في رجلين رجل كان له كرم والآخر له غنم، فنفشت الغنم بالكرم فرعته، فاحتكما الى داوود فقال: تباع الغنم وينفق ثمنها على الكرم حتى يعود على ما كان عليه. فقال له ولده: لا يا أبه بل يؤخذ من لبنها وصوفها، قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا﴾ [سورة الانبياء، الآية: ٧٩].

وان مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال: سلوني عما فوق العرش سلوني عما تحت العرش، سلوني قبل أن تفقدوني). وانه دخل على النبي يوم فتح خيبر فقال صلى الله عليه وآله: «أفضلكم وأعلمكم وأقضاكم علي».

فقال لها أحسنت يا حرة فبم تفضلينه على سليمان عليه السلام؟ فقالت:

الله فضله عليه بقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [سورة ص، الآية: ٣٥].

ومولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: يا دنيا طلقتك ثلاثة لا حاجة

لي فيك. فقال أحسنت يا حرة، فبم تفضلينه على عيسى بن مريم عليه السلام؟

قالت: الله فضله بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [سورة المائدة، الآية: ١١٦].

فأخر الحكومة إلى يوم القيامة، وعلي بن أبي طالب لما ادعوا فيه ما ادعوه قتلهم ولم يؤخر حكومتهم، فهذه فضائله ومناقبه لا تحصى ولا تعد.

قال: أحسنت يا حرة خرجت من جوابك، ولولا ذلك!، لكان ذلك! ثم أجازها وسرحها سراحاً حسناً.

وهذه مناظره اقتطعنا منها الغرض، وهي للمأمون العباسي مع علماء عصره وكان فيهم يحيى بن أكثم الذي جمع العلماء طلباً للخليفة العباسي.

قال المأمون: يا إسحاق أي الأعمال كان أفضل يوم بعث الله رسوله؟

قال إسحاق: الاخلاص بالشهادة، قال: أليس السبق إلى الإسلام؟ قال: نعم، قال اقرأ ذلك في كتاب الله تعالى يقول: والسابقون السابقون أولئك المقربون.. إنما عنى من سبق إلى الإسلام، فهل علمت أحداً سبق علياً إلى الإسلام؟ قلت: يا أمير المؤمنين إن علياً أسلم وهو حديث السن لا يجوز عليه الحكم، وأبو بكر أسلم وهو مستكمل يجوز عليه الحكم.

قال الخليفة المأمون: أخبرني أيهما أسلم قبل؟ ثم أناظرك من بعده في الحداثة والكمال، قلت: علي حين أسلم لا يخلو من أن يكون

رسول الله دعاه إلى الإسلام، أو يكون إلهاماً من الله، قال: فأطرقت، فقال لي: يا إسحاق لا تقل إلهاماً فتقدمه على رسول الله، لأن رسول الله لم يعرف الإسلام حتى أتاه جبريل عن الله تعالى، قلت: أجل، بل دعاه رسول الله إلى الإسلام.

قال: يا إسحاق فهل في نفسك شيء؟ قال: فأطرقت، فقال: يا إسحاق لا تنسب رسول الله الى التكلّف فإن الله يقول: ﴿قُلْ مَآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [سورة ص، الآية: ٨٦].

قلت: أجل يا أمير المؤمنين! دعاه بأمر الله.

قال: فهل من صفة الجبار أن يكلف رسوله دعاء من لا يجوز عليه حكم، قلت: أعوذ بالله، فقال: أفتراه في قياس قولك يا إسحاق أن علياً أسلم صبياً لا يجوز عليه الحكم وقد كلف رسول الله من دعاء الصبيان ما لا يطيقون فهو يدعوهم الساعة ويرتدون بعد ساعة فلا يجب عليهم في ارتدادهم شيء ولا يجوز عليهم حكم الرسول أترى هذا جائزاً عندك أن تنسبه إلى الله؟

قلت: أعوذ بالله!.

الإمام عند مواليه

قال الإمام ﷺ: لو أحبني جبل لتهافت.

عناصر الجملة: الشرط، والفعل، والرابط، والمشروط.

لو: شرطية حقيقية مثل إنْ، فهي شرطية تقتضي تعلق أمر بأمر، وتفيد المستقبل، ولكنها لا تقتضي الإمتناع.

الجبل: هو الذي رسخت في جبلته ثوابته، والجبل الذي أحبّ الإمام هو الراسخ في حبه، والشامخ الظاهر في ودّه، فالحبُّ هو إشتعال المسكن بنيران المحبوب، حتى يفنى في محبوبه وتتلاشى صفاته في

نورانية حبه، فيفيق مجلى لحبيبه بالتوبة إليه، فهذا التهافت امتزاج فناء المحب ببقاء المحبوب.

ماهية الجملة ودلالتها: اللطائف والكثائف، فالحب شفافية تستلطف لطيفها، والجبل جسم كثيف.

وجه الدلالة: مكرورات الكثائف تصير لطائف، فالنفس المنلوثة في أعفان الدنيا، تستطيع بالطاعة والعبادة الخالصة والرياضة الأخلاقية، أن تكرر أوساخها بالتخلص منها، وذلك أن تركب مطايا الأعمال الصالحة.

إن حب أمير المؤمنين لا تتعلق أنواط المحب بشيء من الرغبات لسواه، بل علاقة شفّها الوجد والغرام الإلهي، حتى تملكها الثبات والصدق في الولاء، وهذه الروحانية قديمة يرجعها الحنين إلى عالم اللطف والأنوار، فهذه الرجعة هي إحياء الصفات وتخليصها من وشائب الكدر الطيني، فهي حياةٌ من بعد موت في السكرات البرهوتية، والبدا في مواقف الذبح، كاليوم ساعة النداء، ولذلك بحبه تزكو وتنمو النفوس، وتتهافت لذكر المحبوب، ولا تشارك بولائها التردد وضعف الموقف تجاه شفرات الموت، والرهبة القاسية والعذابات القاتلة، فمن ذلك نأخذ أمثال حجر بن عدي، وذلك حينما طلب معاوية من خليفته: أن أوفد عليّ أشراف أصحاب علي بن أبي طالب ولهم الأمان، فلما جاءوا وأخذوا مجالسهم، قال معاوية لصاحب إذنه: أدخل عليّ حجر، فلما دخل وسلّم، قال له معاوية: يا ابن الأدبر القبيح المنظر، أنت القاطع منّا الأسباب والملتمس بحربنا الثواب والمساعد علينا أبا تراب؟ فقال حُجر: صه يا معاوية لا تذكر رجلاً كان لله خائفاً ولما يسخطه عائفاً وبما يرضاه عارفاً، خميص الضلوع كثير السجود ظاهر الخشوع قليل الهجوع، قائماً بالحدود طاهر السريرة محمود السيرة نافذ البصيرة ملك أمرنا فكان كبعضنا، لم يبطل حقاً ولم يظلم أحداً، ثم بكى حتى

نشج، ثم رفع رأسه فقال: أما توبيخك إياي فيما كان من نفسي، فاعلم يا معاوية أني غير معتذر إليك مما فعلت، ولا مكترث فيما صنعت، فأعلن بسرك وأظهر أمرك فقال معاوية لصاحبه أخرجه عنّي وأدخل عليّ عمر بن الحمق الخزاعي، فلما دخل عليه قال له معاوية: يا أبا خزاعة فارقت الطاعة وأشهرت علينا سيفك وأهديت إلينا حيفك فأطلت الإعراض ودلاك بغرور جهلك المحدود، فكيف رأيت صنع الله بصاحبك (علي)؟ فبكى عمرو حتى سقط على وجهه، فرفعه الشرطي فقال: بأبي وأمي من ذكرت ونتقصت، كان والله العالم بحكم الله، المجد في طاعة الله المحدود في غيظ الله، الزاهد في الفانية الراغب في الباقية، لايظهر منكراً، ولا يظهر نجيراً، يعمل بما يرضي الله عنه، فقد مزقنا فقده ونمتنا الموت بعده، فقال معاوية لصاحبه أخرجه عنّي وأدخل عليّ عديّ بن حاتم الطائي، فلما دخل عليه قال له معاوية: ماأبقى من ذكر علي بن أبي طالب؟ فقال عدي وهل رعي إلاّ ذكره؟ قال: وكيف حنك له؟ فتنفس الصعداء وقال: حبّي والله جديد لا يبيد، وقد تمكن من شغاف الفؤاد إلى يوم المعاد، وقد امتلأ من حبه صدري وفاض في حسدي وفكري، فقال الأمويون: يا أمير المؤمنين أصبح عديّ بعد صفين ذليلاً، فبكى عديّ وأنشأ يقول:

يجادلني معاوية بن حرب ... وليس إلى الذي يبغي سبيل
يذكرني أبا حسن عليا ... وخطبي في ابي حسن جليل
فكان حرابه مني شديدا ... ويكفي مثله مني القليل
وقد قال الوليد وقال عمرو ... عديٌ بعد صفين ذليل

فقلت:

قد صدقتم هدّ ركني ... وفارقني الذي بهم أصول
سيخسر من يوادد ابن هند ... ويربح من يوادد ه الرسول

فقال معاوية لصاحبه أخرجه وأدخل عليّ عامر بن وائلة ويكنى أبو

الطفيل، فلما دخل عليه رحّب به فقال أصحابه: من هذا الذي رحبت به يا أمير المؤمنين؟ هذا خليل ابي تراب وفارس أهل العراق، وشاعرهم يوم صفين فقالوا ألأم فارس وأفحش شاعر، ونالوا منه، فغضب أبو الطفيل وقال: أما والله يا معاوية ما هؤلاء سبوني ولا أدري من هم، وإنما أنت شتمتني، فأخبرني من هم؟ وإلاّ وحقّ عليٌ شتمتك، فقال معاوية: هذا مروان بن الحكم وعمرو بن العاص وهذا سعيد بن العاص وهذا ابن أختي، فقال أبو الطفيل: أما عمرو فأنطقته جباية مصر، وأما مروان وسعيد فأنطقهما جباية الحجاز، وأما ابن أختك فقد وهبته لك، فقال معاوية يا أبا الطفيل ما أبقى الدهر لك من حبٍّ عليٍّ؟ فقال: والله حبّ أم موسى لموسى، وأشكو إلى التقصير، قال: ما أبقى الدهر لك من وجدك عليه؟ قال وجد العجوز المقلاة والشيخ الرؤوف، قال فما أبقى من بغضك لنا؟ قال: بغض آدم لإبليس لعنه الله، فقال معاوية لصاحبه أخرجه عنّي، وأدخل هاني بن عروة المرادي، فلما دخل قال له معاوية: يا هاني أأنت المائل مع علي بن أبي طالب، والمحارب للمسلمين مع علي يوم صفين؟ فقال له هاني: إني لك يا معاوية بالشرف الشامخ، والمجد الباذخ، وما كنتم إلاّ شظية يخطفها العرب حتى بعث الله محمداً ﷺ فَلاذَ له العباد في جميع البلاد، وأما خروجي عليك يا ابن هند فغير معتذر إليك منه ولو كنت رأيتك ذلك اليوم لتقذتُ رمحي بين خصيبك، والله ما أحببناك مذ أبغضناك، ولا بعنا السيوف التي بها ضربناك فقال معاوية لصاحبه أخرجه عنّي وأدخل عليّ صعصعة بن صوحان، فلما دخل عليه نظر فإذا الرجال عليهم السلاح وقوف، ومعاوية جالس على سريره، فقال صعصعة: سبحان الله ولا إله إلاّ الله والله أكبر يرفع صوته، فالتفت معاوية يمنة ويسرة فلم ير شيئاً يفزعه، فقال: يا صعصعة أظنّك تدري ما الله؟ فقال: يا معاوية ربنا ورب أبائنا الأولين، وإنه لبالمرصاد من وراء العباد، فقال معاوية: يا صعصعة

ماكنت أحبّ أن تقوم هذا المقام حتى يصيبك ظفر من أظفاري، قال: وأنا يا معاوية لقد أحببت أن لاأحيّيك بتحية الخلافة حتى تجري مقادير الله فيك. فالتفت معاوية إلى عمرو بن العاص وقال: أوسع لصعصعة ليجلس إلى جانبك، فقال عمرو بن العاص: لا والله لا أوسعت له على ترابيته، قال صعصعة: نعم والله يا عمرو، إني لترابي ومن عبيد أبي تراب، ولكنك من نار، منها خلقت وإليها تعود ومنها تبعث إن شاء الله، فقال معاوية: يا صعصعة والله إني هممت أن أحبس عطايا أهل العراق في هذه السنة، فقال صعصعة: والله، يا معاوية! لو رمت ذلك منهم لدهمك مائة ألف أمرد على مائة ألف أجرد، وصيروا بطنك ميادين لخيولهم، وقطعوك بسيوفهم ورماحهم، قال: فامتلأ معاوية غيظاً، وأطرق طويلاً ثم رفع رأسه وقال: لقد أكرمنا الله حيث يقول لنبيه وإنه لذكرى لك ولقومك ونحن قومه وقال تعالى: لإيلاف قريش - إلى قوله - وآمنهم من خوف ونحن قريش، وقال تعالى لنبيه: وأنذر عشيرتك الأقربين ونحن عشيرته الأقربون، فقال صعصعة: على رسلك يا معاوية فإن الله تعالى يقول: وكذّب به قومك وهو الحقّ قل لست عليكم بوكيل﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٦٦] وأنتم قومه، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [سورة الفرقان، الآية: ٣٠].

ولو زدت زدناك يا معاوية، فأفحمه.

قال معاوية لصاحب إذنه أخرجه عني وأدخل عليّ خالد بن معمّر السدوسيّ.

فلما دخل قال له معاوية: يا خالد! لقد رأيتك تضرب أهل الشام بسيفك على فرسك الملهوب. فقال خالد: يا معاوية والله، ماندمت على ما كان مني، ولا زلت على عزيمتي أثني، ومع ذلك إني عند نفسي مقصّر، والله المستعان والمدبر. فقال له معاوية: ما علمت يا خالد، ما نذرت عند قدومك في قومك؟ قال: لا، فقال: نذرت أن أنذر مقاتلهم،

وأسبي نساءهم، ثم أفرق بين الأمهات والأولاد فيبايعون. فقال خالد: وما تدري ما قلت في ذلك؟ قال: لا، قال: فاسمعه منّي، فأنشأ يقول:

يروم ابن هند نذره من نسائنا ودون الذّي يبغي سيوف قواضب

قال معاوية لصاحب إذنه: أخرجه عني وأدخل عليّ جارية بن قدامة السعديّ

- وكان قصيراً فلما دخل قال له معاوية: أركضت علينا الخيل يوم صفين في بني سعد تمنيهم الفتن، وتحملهم على قديمات الإحن مع قتلة أمير المؤمنين عثمان، وقاتلت أم المؤمنين عائشة، وما أنت إلا جارية، فقال جارية: إن الله فضّل على اسمك اسمي، قال: وكيف ذلك؟ قال: لأن الجارية لا تكون إلا من احياء العرب، والمعاوية لا تكون إلا من إناث الكلاب. وأما ما ذكرت من أمير المؤمنين عثمان فأنتم خذلتموه وقتلتموه والدار عنده نازحة. وأما أم المؤمنين عائشة فلما نظرنا في كتاب الله ولم نجد لها علينا حقاً يلزمنا إلا أن تطيع ربها وتقر بيتها، فلما ألقت الجلابيب عن وجهها بطل ما كان لها علينا من حق. وأما ركضي الخيل عليك يوم صفين فإنما ذلك حيث أردت أن تقطع أعناقنا عطشاً فلم ننظر في عاقبة، ولم نخف جائحة فثنينا الخيل مع أقدم الناس اسلاماً، وأحسنهم كلاماً، وأعلمهم بكتاب الله وسنة نبيه، حين أراد جهادك على بصيرة، وأنت على الحمية الجاهلية، فإن أردت نريك مثل ذلك اليوم، فخيلنا معدّة، ورماحنا محدّة.

قال معاوية لصاحب إذنه: أخرجه وأدخل عليّ شريكاً الحارثيّ، فلما دخل

وكان دميم المنظر، فقال له معاوية: إنك شريك ومالله شريك، وإنك لأعور والصحيح خيرٌ من الأعور، وإنك لابن الأصفر والأبيض خير من الأصفر وإنك مخالف؛ والمستقيم خير من المخالف، وإنك

لدميم، والجميل خير من الدّميم؛ فكيف سدت قومك؟ فقال شريك: إنك لمعاوية وما معاوية إلا كلبة عوت فاستعوت، فاستنبحتها الكلاب فسميت معاوية؛ وإنك لإبن صخر، والسهل خير من الصخر؛ وإنك ابن حرب، والسلم خير من الحرب؛ وابن أمية وما أمية إلا أمة صغرتها العرب؛ فكيف صرت أمير المؤمنين علينا؟ فأمر معاوية بإخراجه، فخرج وهو يقول:

أبيتمني معاوية بن حرب ... وسيفي صارم ومعي لساني
وحولي من بني عمّي رجال ... ضراغمة تهش إلى الطعان
يعيّر بالدمامة من سفاه ... وربات الجمال من الغواني

قال: ثمّ نهض معاوية من مجلسه ودخل داره، وفي اليوم الثاني دعي بهم فأحضروا، وأكرمهم وردّهم إلى أهليهم مكرّمين[8].

ضرارة بن ضمرة

٢ ـ إن معاوية وفد عليه ضرارة بن ضمرة وكان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ومن خواصّه ـ وأراد أن يفتك به، فلما رأى زهده وتقواه واشتغاله بالآخرة عن الدنيا، عدل عن ذلك وأراد امتحانه، فقال: صف لي علياً؛ فقال: اعفني، فقال: أقسمت عليك بحقه إلا ما وصفته؛ قال: أما إذا كان ولا بدّ فإنه ـ والله كان بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنفلق الحكمة من لسانه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل ووحشته، كان ـ صلوات الله عليه ـ غزير الدمعة، طويل الفكرة، يعجبه من اللّباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب، كان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، ويأتينا إذا دعوناه، ونحن ـ والله ـ مع تقرّبه لنا وقربه منّا لانكاد نكلّمه هيبة له، كان ـ صلوات الله عليه ـ يعظم أهل الدّين ويقرب المساكين، لا يطمع القويُّ في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله؛ وإني أشهد بالله

لقد رأيته في بعض مواقفه ـ وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه ـ قابضاً على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، وهو يقول: يا دنيا غري غيري، أبي تعرّضت؟ أم إليّ تشوقت؟ هيهات! قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك، فعمرك قصير، وخطرك كبير، وعيشك حقير؛ آه من قلّة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق.

فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن! قد كان ـ والله ـ كذلك؛ فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح ولدها في حجرها، فهي لا ترقأ دمعتها، ولا تخفى فجعتها.

فأمر له بمال جزيل، فلم يقبل ضرارٌ منه شيئاً وانصرف، وهو يندب المولى أمير المؤمنين عليه السلام.

اختصاص الإمام
بـ (سلوني قبل أن تفقدوني)

هذه المقالة تفرد بها أمير المؤمنين لإحاطته بالعلوم والمعارف، حتى وكأن الكون عنده ككفه من يده وأن البشر كالدنيا في يده، أو ليس هو القائل على منبر العظمة: سلوني قبل أن تفقدوني، فو الله الذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتموني عن آية في ليل أنزلت أو في نهار أنزلت مكيها ومدنيها سفريُّها وحضريِّها، ناسخها ومنسوخها، محكمها ومتشابهها، تأويلها وتنزيلها لأخبرتكم. فقام إليه رجل يقال له ذعلب، وكان ذرب اللسان بليغاً في الخطاب. فقال: لقد ارتقى ابن أبي طالب مرقاة صعبة لأ خجلنّه اليوم لكم في مسألتي إياه؟ فقال يا أمير المؤمنين: هل رأيت ربك؟ قال: ويلك يا ذعلب لم أكن أعبد رباً لا أراه، فقال: فكيف رأيته؟ صفه لنا؟

قال: ويلك لم تره العيون بمشاهدة العيان، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان. إن دعوة أمير المؤمنين ﷺ لاتتوقف والتذكير بقوله للناس: سلوني قبل أن تفقدون؟ فقام إليه رجل من أقصى المسجد متوكئاً على عصاه، فلم يزل يتخطى الناس حتى دنا منه، فقال: يا أمير المؤمنين: دلني على عمل أنا إذا عملته نجاني الله من النار. قال له: اسمع يا هذا وافهم واستيقن قامت الدنيا بثلاثة: بعالم ناطق مستعمل علمه، وبغني لا يبخل بماله على أهل دين الله، وبفقير صابر، فإذا كتم العالم علمه، وبخل الغني ولم يصبر الفقير، فعندئذ الويل والثبور،

وعندئذ يعرف العارفون بالله أن الدار قد رجعت إلى بدئها «أي الكفر بعد الإيمان». أيها السائل لا تغتر بكثرة المساجد وجماعة أقوام أجسادهم مجتمعة وقلوبهم شتى، أيها السائل: إنما الناس ثلاثة: زاهد وراغب وصابر، فأما الزاهد فلا يفرح بشيء من الدنيا أتاه، ولا يحزن على شيء منها فاته، وأما الصابر فيتمناها بقلبه، فان أدرك منها شيئاً صرف عنها نفسه لما يعلم من سوء عاقبتها، وأما الراغب فلا يبالي من حل أصابها أم من حرام.

قال له: يا أمير المؤمنين: فما علامة المؤمن في ذلك الزمان؟ قال ينظر إلى ما أوجب الله عليه من حق فيتولاه، وينظر إلى ما خالفه فيتبرأ منه وان كان حميماً قريباً، قال: صدقت والله، يا أمير المؤمنين! ثم غاب الرجل فلم نره، فطلبه الناس فلم يجدوه!، فتبسم علي عليه السلام على المنبر ثم قال: ما لكم؟ هذا أخي الخضر عليه السلام.

وعن الإمام الرضا عن أبائه كان أمير المؤمنين في مسجد الكوفة إذ قام إليه رجل من أهل الشام، فقال: يا أمير المؤمنين، إني أسألك عن أشياء؟

فقال سل تفقهاً ولاتسأل تعنتاً فأحدق الناس بأبصارهم، وقال:

أخبرني عن أول ماخلق الله تعالى؟ فقال: خلق النور.

قال: مما خلق السموات؟ قال: من بخار الماء.

قال: مما خلق الأرض؟ قال: من زبد الماء.

قال: مما خلق الجبال؟ قال: من الأمواج.

❀ ❀ ❀

من المعتاصات في الحل!. عن شرح البديعة لابن المقرى:

أن ثلاثة نفر تشاجروا في سبعة بعير مشتركةٍ بينهم، حتى طال بينهم النزاع فمر بهم أمير المؤمنين وسألهم عن سبب التشاجر؟ فقالوا يا أبا الحسن إن هذه الأباعر مشتركة بيننا يريد كل منا حقه من غير أن ينقص منها شيء أو يرد أحدنا على صاحبه درهماً، فقال علي عليه السلام لواحد منهم كم نصيبكم من هذه الأباعر؟ فقال النصف، فقال للأخر كم نصيبك فيها؟ قال: الثلث، فقال للثالث كم نصيبك فيها؟ قال: التسع، فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: أترضون أن أقسم لكم أباعركم هذه بإضافة بعيري هذا إليها؟ فقالوا كلهم: نعم رضينا، فقال عليه السلام للأول أليس نصيبك منها النصف وهو ثمانية أباعر ونصف بعير؟ قال: نعم، قال: فإن أعطيتك ما هو أزيد من نصيبك من غير كسرٍ أفترضى بذلك؟ قال: نعم، قال: فأعطاه تسعة منها.

ثم إلتفت للثاني وقال: أليس نصيبك منها الثلث ستة أباعر إلا ثلث بعير؟

قال نعم، قال فإن أعطيتك منها ما هو أزيد من سهمك أفترضى بذلك؟

قال نعم، قال فأعطاه ستة أبا عر بغير كسر، ثم إلتفت للثالث وقال: أليس نصيبك منها التسع وهو بعيران إلا تسع؟ قال: نعم، قال: فإن أعطيتك منها ما هو أزيد من سهمك أفترضى بذلك؟ قال: نعم. فأعطاه بعيرين، وبقي بعير أمير المؤمنين ثم أخذه ومضى.

هذا الاختصاص للإمام لم يكن لسواه فمن ادعى هذا الاختصاص افتضحه السؤال ووقع في ربيكة، وكشف عن جهله بيده لأنه وضع نفسه في مقام لا ينبغي إلا لأمير المؤمنين عليه السلام ونأخذ على سبيل المثال من الذين تكلفوا هذا الخصوصية فكيف كانت عاقبتهم أن استهزأ بهم الناس، وسقطوا من عيونهم وتكشفت معايبهم ونقائصهم.

إن ابن الجوزي قال يوماً على منبر: سلوني قبل أن تفقدوني؟ فسأله امرأة عما روي: أن سار الإمام علي في ليلة إلى سلمان لما توفي فجهزه ورجع، فقال: نعم روي ذلك. قالت فعثمان بقي ثلاثة أيام منبوذاً في داره وعليٌ حاضر قال: نعم، فقالت: فقد لزم الخطأ لأحدهما؟، فقال لها: إن كنت خرجت من بيتك بغير إذ ن زوجك فعليك لعنة الله وإلا فعليك، فقالت: وهل خرجت عائشة إلى حرب علي بإذن النبي ﷺ أو لا؟

فانقطع صوته ولم يحر جواباً.

قال إبراهيم الحربي: قعد مقاتل بن سليمان، فقال: سلوني عما دون العرش إلى «لو يانا».؟ فقال له رجل: آدم حين حج من حلق رأسه؟ قال: فقال له: «ليس هذا من عملكم ولكن الله أراد أن يبتليني بما أعجبتني نفسي»

ثم نزل عن المنبر يغيره الخجل وعلته صفرة الوجل لأنه ارتقى ما ليس له.

هذه من بعض مختصا ته التي تفرد بها، وعصيت أن ينال لفظها أحد بعد أمير المؤمنين، وقد تنكب من ادعى بها وكذّب، وهذه من آياته. ومن تتبع الأخبار والآثار وجاس خلال الديار ظهر عنده كالشمس في رابعة النهار أنه أشرف الكائنات وأهل بيته الطاهرين وهذا يفسره قول الرسول ﷺ:

«علي مني وأنا من علي».

الكمال العلوي تنبجس منه الصفات

حينما يتمتع أي عظيم بمكرمة أو أثارة ننتقي له صفة تناسب عمله لنكرمه أو نقدره فيتصف بها، أما أمير المؤمنين ﷺ كانت أقواله وأعماله تنحدر عنها الصفات التي تزاحمت على باب عظمته فصارت صفاته أسماءاً، لأنها تنبجس من كماله وقد توزعت على الخلائق من باب المدد وأصبحت تجليات في الأرواح والنفوس، وهذه المصاديق من باب الوصف لأمير المؤمنين ﷺ لأن صفته كلية تبرزها المصاديق، والحوادث لفظية جزئية، غير متناهية.

روى جابر الأنصاري، قال: شهدت البصرة مع أمير المؤمنين والقوم قد جمعوا مع المرأة سبعين ألفاً مقاتلاً، فما رأيت منهزماً إلا وهو يقول: هزمني علي، ولا مجروحاً إلا يقول: جرحني علي، ولا من يجود بنفسه إلا وهو يقول: قتلني علي، ولا كنت في الميمنة إلا سمعت صوت علي ﷺ ولا في الميسرة ولا كنت في الميمنة إلا سمعت صوت علي ﷺ ولا في الميسرة إلا سمعت صوت علي، ولقد مررت بطلحة وهو يجود بنفسه وفي صدره نبلة. وقلت له: من رماك بهذه النبلة؟ فقال: علي بن أبي طالب. فقلت: يا حزب إبليس: إن علياً لم يرم بالنبل وما بيده إلا سيفه، فقال: يا جابر! أما تنظر إليه كيف يصعد في الهواء مرة، وينزل في الأرض أخرى، وينزل من قبل المشرق، ومرة من قبل المغرب، وجعل المشارق والمغارب بين يديه شيئاً واحداً فلا يمر بفارس إلا طعنه، ولا يلقى أحداً إلا قتله أو ضربه أو كبه على وجهه،

أو قال: مت يا عدو الله فيموت، فلا يفلت منه أحد. (راجع كتاب الإمام علي للهمذاني ـ دار الحوراء ـ ﷺ ـ ٦٠٤». وصحيفة الأبرار.

ومما يفرج في هذا الاتجاه ولعله يدعمه هذا الحديث: عن ربيعة بن مالك قال أتيت حذيفة بن اليمان فقلت: يا أبا عبد الله إن الناس يتحدثون عن علي بن أبي طالب ومناقبه فيقول لهم أهل البصرة: إنكم لتفرطون في تقريظ هذا الرجل، فهل أنت محدثي بحديث عنه أذكره للناس؟ فقال: يا ربيعة وما الذي تسألني عن علي، وما الذي أحدثك عنه؟ والذي نفس حذيفة بيده، لو وضع جميع أعمال أمة محمد ﷺ في كفة الميزان منذ بعث الله محمد ﷺ إلى يوم الناس، ووضع عمل واحد من أعمال علي في كفة أخرى. لرجح على أعمالهم كلهم... والذي نفس حذيفة بيده لعمله ذلك اليوم أعظم أجراً من أعمال أمة محمد ﷺ إلى هذا اليوم والى أن تقوم القيامة.

هذا الحديث تنتزع منه صفة يختص بها الإمام كما وصفها النبي ﷺ:

برز الإيمان كله، إلى الكفر كله. لذا يوصف عليٌّ بالمؤمن الكامل.

رواية: إن علياً ﷺ كان في مهده، وإذ بحية تقصده ـ وقد شدت يداه في قماطه، فحول نفسه فأخرج يده، وأخذ بيمينه عنق الحية وغمزها غمزة حتى أدخل أصابعه فيها ثم ماتت. فلما رأت أمه ذلك نادت واستغاثت فاجتمع الحشم، ثم قالت: كأنك حيدرة!

وهذا الاسم الصفاتي ارتجزه في المعارك:

أنا الذي سمتني أمي حيدره ... ليث بغابات شديد القسوره
أكيلكم بالسيف كيل السندره

عن جابر بن عبد الله: دفع النبي ﷺ الراية إلى علي ﷺ يوم خيبر بعد أن دعا له، فجعل يسرع السير وأصحابه يقولون له: ارفق حتى انتهى إلى الحصن فاجتذب بابه فألقاه على الأرض، ثم اجتمع منا سبعون رجلاً وكان جهدهم أن أعادوا الباب.

قال الأزري:

ولـه يـوم خـيـبـر فـتـكـات ... كـبـرت منظراً عـلـى مـن رآهـا
يـوم قـال الـنـبـي انـي لأعـطـي ... رايتي ليثها وحامي حـمـاهـا
فـأتـاه الـوصـي أرمـد عـيـن ... فـسـقـاهـا بـريـقـه وشـفـاهـا
ويـرى مـرحـبـاً بـكـف إقـتـدار ... أقـوياء الأقـدار مـن ضـعـفـاهـا
ودحـى بـابـهـا بـقـوة بـأس ... لـو حـمـتـه الأفـلاك مـنـه دحـاهـا

قال الإمام علي ﷺ: والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية، ولكن بقوة ربانية).

(وفي المناقب) ـ عن جابر بن عبد الله: أنه لما فتح خيبر على يد علي ﷺ قال له رسول الله ﷺ: لو لا أشفق أن يقول فيك طوائف من أمتي ما قال النصارى للمسيح بن مريم لقلت اليوم فيك قولاً لا تمر بملأ إلا أخذوا من تراب رجليك ومن فضل طهورك يستشفون به، ولكن حسبك أن تكون مني وأنا منك، وانك مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبي بعدي، انك نبر قسمي وانك تقاتل على سنتي، وانك في الآخرة على الحوض خليفتي، وانك أول من يرد علي الحوض، وانك أول من يكسى معي، وان شيعتك على منابر من نور مضيئة وجوههم، يكونون غداً في الجنة جيراني. وان حربك حربي وسلمك سلمي وسريرتك سريرتي وعلانيتك علانيتي..

إن هذه المعجزة في حيز التي تفرد بها أمير المؤمنين ﷺ فصارت له صفة «داحي الباب». وقول الرسول ﷺ له: لأعطين الراية غداً رجلاً

يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كراراً غير فرار... فانبجست من هذه الخاصيات صفات له (الكرار) و(صاحب الراية) والنكتة في ذلك أن الرسول ﷺ علمه سابق في عليٍّ بهذه الصفات على يقين.

فالصفات عند أمير المؤمنين غير مضافة إليه أو مكتسبة بل هي خاصية له.

الكتاب التكويني والكتاب التدويني

أو ما يعرف بالكليات والجزئيات وما يعبرُ عنه بالمفهوم والمصداق في صحيفة الأبرار: مرفوعاً إلى أبي ذر الغفاري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: افتخر اسرافيل على جبريل فقال: أنا خير منك، قال: ولم أنت خيرٌ مني قال: أنا صاحب الصور وأقرب الملائكة إلى الله، قال جبريل أنا خير منك، قال بِمَ أنت خير مني؟ قال لأني أمين الله على وحيه وأنا رسول الله إلى الأنبياء والمرسلين وأنا صاحب الخسوف والكسوف وما أهلك الله من الأمم إلا على يدي فاختصما إلى الله تبارك وتعالى، فأوحى الله إليهما كفّا، فوعزتي وجلالي لقد خلقت من هو خير منكما، قالا يا ربنا وتخلق من هوخيرٌ منا ونحن خلقنا من نور، قال الله تعالى: نعم وأوحى الله إلى القدرة انكشفي فانكشفت فإذا على ساق العرش الأيمن مكتوب: لا إله إلا الله، محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، فقال جبريل: يا رب فإني أسألك بحقهم عليك ألا جعلتني خادمهم قال الله تعالى: قد فعلت فجبريل من أهل البيت وإنه لخادمنا.

هذا الكلام يحمل على معنى اللفظ بتدبرٍ وروية، ولا يستعظمه أو يستكبره إلاّ من لا يؤمن إلا بالمادة، فبهذا الإتجاه ينكر الكثير من الآيات التي تدل على عالم سابقٍ لهذا العالم والى خطاب سابق للخطاب السفلي، وإلى أنديةٍ سماوية صارت الدعوة الأرضية ظلالاً لها، وتحاكيها، وعلى هذا يكون الكتاب التكويني وهو أن الله لما خلق من

نور عظمته نور محمد وآله وهو أول نور صدر عن مشيته تشعشع نورهم، فخلق من شعاعه سائر الخلق، وانهى علم ذلك كله إليهم لأن الشعاع لا يغيب عن المنير، وكان مما خلق أموراً كلية تشتمل على أفراد جزئية، وأحكام شخصية تظهر في الكون على التدرج وتسمى هذه الكليات بإعتبار طبعها ولونها ووضعها. وأشباه تلك من مشخصاتها بأسماء مختلفة فبعض منها يسمى بالجفر، وبعض منها يسمى بمصحف فاطمة، وبعضها يسمى باللوح، وبعضها يسمى بالناموس، وبعض منها يسمى بكتاب علي عليه السلام وينسب كتاب ذلك أو إملاؤه إلى جبريل أو إلى شخص علوي أو عالم سفلي وعلى هذا القياس تكون هذه الأسماء أياد وأسباب في إجراء تلك الأمور الموكلة إليها بالتدبير والإنشاء.....

ووضع سبحانه كلاً منها موضعه اللائق به والله تعالى جعل محمداً وآله خزان تلك الكتب فهي كلها بعينٍ منهم دائماً، فإذا أرادوا الأخبار عن حكم أو وقوع أمرٍ في العالم أولاً، أخبروا عن الكتاب الجامع الذي ذلك الحكم أو الأمر مذكورٌ فيه بما هو عليه لأنه هو محل بيان ذلك الشيء المخبر عنه فيقولون الحكم الفلاني أو الشخص الفلاني في الجامعة أو العالم، أو الصحيفة وهكذا .. وربما يظهرون بعض تلك الكتب الكونية لبعض الناس في صورة الكتاب التدويني، إذا شاءوا ذلك من باب الظهور، كظهور جبريل في صورة البشر، ومشاهد بعض الناس له مع عدم تخليته لمقامه الذي هو فيه، وعدم خروجه عن صورته الأصلية، فإن للشيء الواحد مراتب ومقامات يظهر في كل منها بلباس ذلك المقام، وتلك المرتبة.

ألا ترى أن الشيء الواحد كيف يوجد في عالم التعقلات بكسوة المعاني وفي عالم النفوس بكسوة الصور الظلية المماثلية الشبحية. وفي عالم الظاهر بكسوة المظاهر كالأجسام والجسمانيات وهو حقيقة واحد في حدّ نفسه فعلى هذا القياس تلك الكتب المذكورة، فإن كونها في

صورة الأعيان لا ينافي كونها في صورة الألفاظ والنقوش الكتابية، فافهم، وبالجملة كلمات العالم كتب جامعة مملوءة علماً والأئمة حفظتها يخبرون عنها بما شاءوا. كما يخبرون عن الكتاب التدويني ـ القرآن الكريم ـ وينسبون علمهم إليه.

وإلى هذا أشاروا عليهم السلام: ما يتقلب جناح طائر في الهواء إلا ولنا علمٌ فيه ثم يقول في صحيفة الأبرار: وذلك بأنه ما من شيء في الوجود إلا وهو دليل لشيء ومدلول عليه لشيء وأصل الشيء وفرع عن شيء وسبب لشيء ومسبب عن شيء وهكذا. فما من شيء إلاّ ويدل على شيء وهو العلم المودوع فيه .. انتهى.

إن التنزلات العلوية في المقامات البشرية هي قراءة في الكتاب التدويني بصورة مماثلة هي بالحقيقة تعود لها أو ظلاً لها، وهي للخلق كسوة وللمعاني مباني، وبمعنى أدق هي آخر التعلقات القضائية، ويعرف ذلك من استذوق المعرفة وأقرّ بالكشوفات، وهذا غامض لأن تحصيله كمن يريد جوف العنقاء قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [سورة طه، الآية: ١١٥]

إذا عرفت هذا التدوين إنجلى لك معنى تقدم أنوار أهل البيت على الخلق في عالم التكوين قبل التمكين وعلى هذا ينفسح لك معنى قوله: أنا كتاب الله الناطق ... واستعن بالله؟

وفي الصحيفة ج١ص٩٧ ـ ثم إعلم أن الانبياء والأوصياء لم يكلموا الناس إلاّ بمقدار ما تحتمله عقولهم، كما دلت عليه صريحات النقول، وشهدت بتصديقها طامحات العقول، وحيث كانت درجات عقول الناس متفاوتة جداً تكلموا بكلمات جامعة محفوفة اللباب بالقشور مستورة الأجساد بالقبور ليأخذ كلٌ نصيبه من الكتاب، ومن هذا الباب قال عليه السلام عن الملائكة هذا الخبر: فخلق لنا من صورته ملكاً ... الخ..

فدفع بذلك وحشة أصحاب الظاهر، ودلّ من يعرف دقائق كلامهم عليهم السلام، إلى أن ولي الله يظهر بين كل نوع بما يماثلهم من الصورة بحكم قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٩].

فإذا أراد الله أن يظهر بين الملائكة في عالمهم ظهر بالصورة الملكية، وهكذا بالملائكة يرونه في عالمهم ملاكاً والإنس يرونه إنساناً من غير مزاحمةٍ بين الظهورين لأن الله ملأ به سمواته وأرضه حتى ظهر أن لا إله إلاّ هو، فافهم إشارات كلام أئمتك تقف على كنز لا ينفد. انتهى.

إستدلالنا على صحة ما ذهب إليه المؤلف، ما ورد في أصول الكافي: عن بريد بن معاوية عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ليس لله على خلقه أن يعرفوا، وللخلق على الله أن يعرّفهم ولله على خلقه إذا عرفوا أن يقبلوا. فإذا تدبّر القارئ هذه الأحاديث ولم يحملها على لباسه ولم يتلبسها بإحساسه، إقترب من حدود التجريد وأدرك أن الكسوات هي آلة للإفصاح ولإثبات الوجود العيني، ولذلك تطرح الكسوة عن الأنبياء والأئمة عند الضعف والعجز فتلقى بين يدي المبلسين كثائف لشكهم بالتجلي، حتى في هذا المقام يكون الإستيقان من التسليم. إنّ سلالم الوصول ومعارجها محتجبة في مدارج الهياكل التي انطوى بها العلم الأزلي والعالم الأكبر.

فلنقرأ هذا الحديث من كتاب كمال الدين: عن ثابت الثمالي، قال:

قال علي بن الحسين عليهما السلام: إن دين الله لايصاب بالعقول الناقصة، والأراء الباطلة والمقاييس الفاسدة، ولا يصاب إلاّ بالتسليم، فمن سلّم لنا سلم، ومن إهتدى بنا هدي، ومن دان بالرأي والقياس هلك، ومن

وجد في نفسه ما يقوله أو يقضي به حرجاً كفر بالذي أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم وهو لا يعلم.

إذا تبينت ذلك عرفت أن إثبات مرجعية الكتاب والسنّة تكون بالعقل ضمن قواعد وضوابط فقد ثبت ما نقول، وإن كان بظاهر الكتاب والسنّة، مع تعطيل حركة العقل فهو زور ظاهر، وهذا الإعتراض ناشئ ممن عدم فهم مراد القائل بعدم إستقلال العقول مطلقاً، ولكن أي عقل؟ نبين هو العقل الناقص ليس بحجة في جرح الأمور الدينية أو بإستقلاله مالم يصدق بالكتاب والسنّة، فلا حكومة لعقولنا مستقلةً إلاّ في تلك الضوابط والقواعد المعروفة بالنبوة والولاية. لقول الإمام عليه السلام: وواتر اليهم أنبيائه ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا فيهم دفائن العقول ويروهم الآيات المقدرة.

واعلم أيها الأخ القارئ بأن كوننا هو البؤرة الظلية المنعكسة عن ما هنالك، بإستجماع عالم الغيب والشهادة، لقول الإمام الرضا عليه السلام لعمران الصابي في كتاب التوحيد: وقد علم ذوو الألباب أن الإستدلال على ماهنالك لا يكون إلاّ بما هاهنا. وإذا رمينا ببصرنا في هذا الحديث القدسي "يا بن آدم إعرف نفسك تعرف ربك، ظاهرك للفناء وباطنك أنا. والمراد ـ بأنا ـ المثال العنواني ـ فالمدد والوجود يحمل على الأصل وفي الفرع تشريفاً، لا على جهة الإتحاد والحلول. لقول الإمام عليه السلام:

دواؤك فيك وما تشعر ... ودائك منك وما تبصر
أتحسب أنك جرم صغيرٌ ... وفيك انطوى العالم الأكبرْ
وأنت الكتاب المبين الذي ... بأحرفه يظهر المضمرُ
فلا حاجةً لك في خارج ... يخبر عنك بما سطّروا

ومن ألقابه أمير النحل

قال الصادق عليه السلام: إنما أنتم في الناس كالنحل في الطير، لو أن طيراً يعلم ما في أجواف النحل ما بقي منها شيء إلا أكلته، ولو أن الناس علموا ما في أجوافكم أنكم تحبوننا أهل البيت لأكلوكم بألسنتهم ولنحلوكم في السر والعلانية. رحم الله عبداً منكم كان على ولا يتنا.

وفي تذكرة الخواص: والمؤمنون يتشبهون بالنحل لأن النحل تأكل طيباً وتضع طيباً، وعلي أمير النحل، أما لقبه بالأنزع البطين، وهو ما وصفه به الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله إذ قال له: يا علي إن الله قد غفر لك ولأهلك ولشيعتك ولمحبي شيعتك فأبشر فانك الأنزع البطين: المنزوع من الشرك، البطين في العلم.

وفي كتاب النهاية لابن الأثير في مادة نزع:

وفي صفة علي البطين الأنزع: كان انزع الشعر، له بطن، وقيل معناه: الأنزع من الشرك، المملوء البطن من العلم والإيمان، ومن كناه أبو تراب الذي خصه به الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله حين وجده راقداً وعلى جنبيه التراب، فكان أحب ألقابه.

ـ عن عباية بن ربعي قال: قلت لعبد الله بن عباس: لم كنّى رسول الله صلى الله عليه وآله علياً أبا تراب؟ قال: لأنه صاحب الأرض، وحجة الله على أهلها بعده وبه بقاؤها واليه سكونها.

وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إذا كان يوم القيامة ورأى الكافر

ما أعد الله تبارك وتعالى لشيعة علي من الثواب والزلفى والكرامة يقول: يا ليتني كنت تراباً، أي ليتني من شيعة علي أبي تراب.

ومما أشار إليه الأزري الكاضمي:

لم تكن هذه العناصر إلا من هيولاه حيث كان أباها

وإذا أرسلنا النظر في صفات الأنبياء والرسل لوجدنا موقع هذه الصفات ومجمع هذه الأسماء، تجلى في أمير المؤمنين ولم تغادر صفة منهم عنه، بل فاض صفات وأسماء، وإذا درجنا بين الأسماء والصفات الإنتزاعية لحجبتها الأفعال، وضاقت عنها الأقوال بالتعبير.

قال جابر بن عبد الله الأنصاري: فما شبهت قتل علي عمرواً إلا بما قصّ الله سبحانه وتعالى من قصة داوود عليه السلام وجالوت حيث قال جل اسمه: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٥١].

وفي غزاة أُحد تعجبت الملائكة من سطوة سيفه فقال جبريل:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

ومصداق مجمع الصفات ما قاله النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، والى نوح في عزمه، والى إبراهيم في حلمه والى موسى في فطنته، والى عيسى في زهده، فلينظر إلى ابن أبي طالب...

وهذا القول من أمير المؤمنين عليه السلام تنبجس عنه صفات خاصية تكشف عن الأسبقية لهذا العالم المحسوس الممدود من رشحات الصفات، قال عليه السلام:

والله لو ثنيت لي الوسادة فجلست عليها، لأفتيت لأهل التوراة بتوراتهم، ولأهل الانجيل بانجيلهم حتى ينطق الله التوراة والإنجيل فيقول كل:

صدق علي، قد أفتاكم بما أنزل فيّ وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون.

ونختم بهذا الكلام لابن عباس: والذي نفس ابن عباس بيده لو كان بحار الدنيا مداداً، والأشجار أقلاماً، وأهلها كتاباً، فكتبوا مناقب علي بن أبي طالب من يوم خلق الله الدنيا إلى أن يفنيها ما بلغوا معشار ما أتاه الله تبارك وتعالى.

متى سمي بأمير المؤمنين

بعد أن أخذ الرسول ﷺ البيعة لعلي عليه السلام في أربعة مواطن ففي كل موطن كان يأمرهم بأن يسلموا عليه بامرة المؤمنين، وقد ورد في الهداية أن المواطن هي: في يوم الدار، وفي بيعة الرضوان، وتحت الشجرة يوم جلوسه في بيت أم سلمة. ويوم احتج الإمام على أبي بكر إذ ذكره وقال له: وأنا أحضرك وعمر وعثمان وسلمان والمقداد وجندب وعمار وحذيفة وأبو الهيثم مالك بن التيهان وأبو الطفيل عامر بن واثلة حتى امتلأ منهم البيت وحضر بريدة الأسلمي فجلس على عتبة الباب فقال النبي ﷺ: قم يا أبا بكر فسلم على علي بامرة المؤمنين وبايع له، فقلت أقوم يا رسول الله عن أمر الله وأمرك أبايع علياً وأسلم عليه بامرة المؤمنين؟ فقال الرسول: نعم، قم يا أبا بكر فقمت فبا يعتني وسلمت علي بامرة المؤمنين كما أمرك وجلست، ثم قال: قم يا عمر، فأعاد القول كما أعدته، وسلم بامرة المؤمنين وقام وبايعني وسلم عليَّ بامرة المؤمنين وجلس، ثم قال الرسول ﷺ: قم يا عثمان إلى أخي علي وسلم عليه بامرة المؤمنين، فما قام حتى قال مثلما قلتما فأعاد عليه الرسول ﷺ ثالثة. فقام فبايعني وسلم عليَّ بامرة المؤمنين وجلس. ثم قال النبي ﷺ قم يا سلمان قم يا مقداد قم يا جندب قم يا عمار قم يا حذيفة قم يا خزيمة قم يا أبا الهيثم قم يا عمار قم يا بريده، فبايعوا لأخي علي وسلموا عليه بامرة المؤمنين فقاموا بلا مراجعة فبا يعوا وسلموا علي بامرة المؤمنين.

وفي يوم غد يرخم بعد رجوعه من حجة الوداع، وبعد أن صلى الظهر والعصر، أمر الجموع أن تسلم على علي بامرة المؤمنين وكل يقول: أصبحت يا أمير المؤمنين مولانا ومولى المؤمنين.

وفي الهداية: وبالإسناد عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما كثر قول المنافقين وحساد أمير المؤمنين في ما يظهره رسول الله من فضل أمير المؤمنين ويبصر الناس ويدلهم ويأمرهم بطاعته ويأخذ البيعة له من كبرائهم ومن لا يؤمن غدره، ويأمرهم بالتسليم عليه بأمرة المؤمنين ويقول الرسول لهم: انه وصيي وخليفتي وقاضي ديني ومنجز وعدي، والحجة على خلقه من بعدي، من أطاعه سعد، ومن خالفه ضل وشقي. حتى قالوا: لقد ضل محمد في ابن عمه علي وغوى وجُنَّ ...

فنزل نجم من السماء حتى صار على ذروة المدينة ودخل ضوؤه في البيوت وفي الآبار والغارات وفي المواقع المظلمة من منازل الناس فذعر أهل المدينة وخرجوا وهم لا يعلمون ذلك النجم على دار من نزل، ولا أين هو معلق... ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [سورة النجم، الآية ٤].

ثم ارتفع النجم وهم ينظرون إليه، والشمس قد بزغت وغاب كل نجم في السماء.

فقال بعض المنافقين: لو شاء لأمر هذه الشمس فنادت باسم علي...

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قلت: جعلت فداك، لم سمي أمير المؤمنين أمير المؤمنين؟ قال عليه السلام: لأنه يميزهم العلم، أما سمعت كتاب الله: ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ﴾ [سورة يوسف، الآية: ٦٥]

قال رسول الله صلى الله عليه وآله لو يعلم الناس متى سمي علي أمير المؤمنين لما أنكروا فضائله؟ سمي بذلك وآدم بين الروح والجسد، وحين قال الله سبحانه: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾. [سورة الاعراف، الآية: ١٧٢].

فقال تعالى: أنا ربكم، ومحمد نبيكم، وعلي أميركم.

وفي اللغة: الإمرة والإمارة: الولاية يقال: أمر على القوم يأمر فهو(أمير) والجمع (أمراء).

المعجزة عند أمير المؤمنين عليه السلام

قبل أن نتناول أبعاد هذه المفردة «المعجزة» التي تدل على خرق القوانين وجريان الشيء على غير العادة.

فلا بد لنا أن نعرف المادة التي احتوتها وحجبتها وهي مفردة «العجز».

فالعين والجيم والزاي أصلان صحيحان يدل أحدهما على الضعف، والآخر على مؤخر الشيء. فالأول عجز عن الشيء يعجز عجزاً فهو عاجز أي ضعيف. وأعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه. (معجم مقاييس اللغة).

فالعجز يكون من جهة الممكن لأنّه يدل على العلة التي أمكنته وأوجدته. وبهذا يكون العجز في عالم الإيجاد طبيعي ومتقدم بالنظر على عالم المعجز اللطيف الخارج عن دائرة الطبيعة والتركيب، فما بالفعل يدل على ما بالقوة، وبهذا يدلنا عالم العجز على أنّه الموضع الذي يطلع منه المعجز أو الموقع الذي نعرف منه قرار المعجزة، كما أنه من الممتنع أن ترى ضياء النار بلا متعلّق أو فتيل تستسرج منه الإضاءة، والفارق واضح بين جوهر النار وجوهر الفتيل، فالنار جسم لطيف والفتيل جسم مظلم ثقيل، فالضدية بارزة ولكن في عالمنا فالكثيف عرش للنقش، وموقع استبياني.

وعلى هذا عرفوا المعجزة: هي أمر خارقٌ للعادة داعية إلى الخير

والبقين مقرونة بدعوى التحدي للنبوة، قصد بها إثبات الحق للدعوى وإبطال مماحكة المبطلين، وقطع ألسنة المعاندين.

(تعريف المعجزة) للحلي: المعجزة امر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة، فالأمر قد يكون فعلاً للخارق وقد يكون منعاً للمعتاد، وكلا قسميه يصدق عليه المعجز . .

والخرق للعادة لابد منه ليقع التمييز به بين النبي والمدعي، والاقتران بالتحدي ذكر ليخرج عنه الكاذب المدعي معجزة غيره وليتميز عن الإرهاص والكرامات، وعدم المعارضة: قيد لابد منه ليخرج عنه السحر والشعبذة . . .

أحياناً تأتي المعجزة بلفظة بمعنى القدرة، إذاً هاتان المفردتان بينهما تساوي، فالقدرة: إظهار الشيء من غير سبب. وهذه صفة لله سبحانه لأنه يخلق الأشياء من لا مادة سابقة، ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (سورة البقرة، الآية: ١١٧).

أما القدرة عند المخلوق هي القوة على الشيء والتمكن منه، أو هي الصفة التي يتمكن بها المخلوق من الفعل ومن تركه بالإرادة (أو ما يعرف بالاستطاعة). والمراد من قدرة الباري نفي العجز عنه قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة الملك، الآية: ١).

فالقدرة صفة ذاتية لله فلا ضد لها، وأما المعجزة فهي قدرة تدخل في كونها يقع عليها حد ونهاية، وربّها يظهر الوهن لاقتضاء الحكمة. فهذه القدرة تجري على يد النبي أو الإمام تشريفاً له وتصديقاً لدعوته، وصاحب المعجزة يعجز ويقدر وهذا يحمل على جهة الامتحان والابتلاء، كما في هذه الرواية. ورد في عيون المعجزات: إن قوماً اجتمعوا على أمير المؤمنين عليه السلام وقالوا: قد أعطاك الله هذه القدرة الباهرة وأنت تستنهض الناس إلى قتال معاوية، فقال: إن الله تبارك

وتعالى تعبدهم بمجاهدة الكفار والناكثين والقاسطين والمارقين.

فو الله لو شئت لمددت يدي هذه القصيرة في أرضكم هذه الطويلة، وضربت بها صدر معاوية بالشام وأخذت بها من شاربه ـ أو قال ـ من لحيته. فمد يده المباركة وردها وإذا فيها شعرات كثيرة فقاموا وتعجبوا من ذلك.

ثم اتصل الخبر بعد مدة طويلة بأن معاوية سقط عن سريره في اليوم الذي كان مد يده فيه أمير المؤمنين عليه السلام وغشي على معاوية، ثم أفاق وافتقد من شاربه ولحيته شعرات.

وروى أنه عليه السلام قال: لما تعجب الناس، قال: ولا تعجبوا من أمر الله سبحانه، فان آصف بن برخيا كان وصياً وكان عنده علم من الكتاب على ما قصه الله تعالى في كتابه، فأتى بعرش بلقيس من سبأ إلى بيت المقدس، قبل أن يرتد إلى سليمان طرفه، وأنا أكبر قدرة منه، فان عندي علم الكتاب كله، قال الله ومن عنده علم الكتاب ما عنى به علياً وصي رسول الله.

معجزة أرضية

عن جابر بن عبد الله قال: كان لي ولد وقد حصل له علة صعبة، فسألت رسول الله ﷺ أن يدعو له، فقال: سل علياً فانه مني وأنا منه فتداخلني قليل ريب وقيل لي إن أمير المؤمنين بالجبانة. فجئته وهو يصلي فلما فرغ من صلاته سلمت عليه وحدثته بما كان من حديث رسول الله، فقال لي: نعم، ثم قام ودنا من نخلة كانت هناك، وقال: أيتها النخلة من أنا؟ فسمعت منها أنيناً كأنين النساء الحوامل إذا أرادت أن تضع حملها، ثم سمعتها تقول: أنت أمير المؤمنين ووصي رسول رب العالمين أنت الآية الكبرى وأنت الحجة العظمى، وسكنت!. فالتفت عليه السلام إلَيّ وقال: يا جابر قد زال الآن الشك من قلبك وصفا ذهنك اكتم ما سمعت ورأيت عن غير أهله..

إحياء الميت عند أمير المؤمنين عليه السلام

هذا الكلام يكبر على الذين لا يؤمنون بأن الله يجري قدرته على أيدي الأنبياء والمرسلين كإحياء الأموات وإماتة الأحياء بلا وسائط مادية، ومنهم من يؤمن بأن عيسى عليه السلام أحيا الميت، وينكر ذلك على أمير المؤمنين عليه السلام، وما يجري على نبي يجري على كل الأنبياء، وما جرى على يد النبي محمد صلى الله عليه وآله جرى تشريفه على يد المعصوم علي بن أبي طالب عليه السلام لأنه إمتداد للنبوة وقرين الكتاب الثقل الأول بالدلالة الإلتزامية، وقد ذكر القرآن الكريم كيف أحيا الأنبياء الأموات، وقصّ ما جرى لعيسى قال تعالى: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٤٩].

إن إحياء الميت هو ممكن وجودياً إذا لا يمتنع ذاتاً ولا عقلاً، ولكنه لم يجرِ عادةً أو حدث وقوعه إلا بخرق العادة كما جرى للأنبياء: من جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم، وقلب العصا ثعباناً، وإحياء عيسى الميت، ومنطق الطير والنمل والدواب لسليمان الحكيم، ولو كانت هذه الحوادث ممتنعة ذاتاً لا ستحال وقوعها ولكنها ممكنة في ذاتها، والممكن بالذات يستوفر القابلية لأنها تكمن فيه، وقد جاء الوحي بالإخبار عنها. فلذلك وجب الإيمان بوقوعها، وهذا الحديث فيه بلاغ وكفاية لمن تدبره فيجد فيه الخصوصيات النبوية التي ظهرت لأمير المؤمنين وجرت على يده الشريفة.

الحديث: عن النبي ﷺ: من أحب أن ينظر إلى إسرافيل في هيبته، والى ميكائيل في رتبته والى جبرائيل في جلالته، والى آدم في سلمه، والى نوح في خشيته، والى إبراهيم في خلته والى يعقوب في حزنه، والى يوسف في جماله، والى موسى في مناجاته، والى أيوب في صبره، والى يحيى في زهده، والى يونس في سننه، والى عيسى في ورعه، والى محمد في حسبه وخلقه، فلينظر إلى علي، فان فيه تسعين خصلة من خصال الأنبياء ﷺ جمعها الله فيه، ولم يجمعها لأحد غيره.

فأمام هذه الأحاديث الشريفة التي تثبت لعلي من الصفات الكمالية والخصوصيات النبوية باستثناء الرسالة والنبوة والوحي، فلا غرو ولا عجب إذا ظهرت المعاجز على يده، فمن دلائله على إحياء الميت ..

ما ورد في الهداية: عن ما هان الأبلي عن المفضل بن عمر عن الإمام الصادق ﷺ أن أمير المؤمنين كان حوله من جهة الأنبار في بني مخزوم، أن أتاه إنسان منهم فقال له: يا خالي إن صاحبي وتربي مات ضالاً واني عليه لحزين، قال أمير المؤمنين: أتحب أن تراه؟ قال: نعم. قال. فلبس أمير المؤمنين بردة رسول الله ﷺ وخرج معه إلى أن أتى القبر، فركض برجله القبر، فخرج رجل من قبره وهو يقول: ويله ويبه سلاني، فقال له أخوه المخزومي، أو لم تمت وأنت رجل من العرب؟ قال: كنا على سنة فلان وفلان في العربية، ونحن اليوم على سنة الفرس فلبست السنتنا على دين الله بالعربية فقال له أمير المؤمنين ﷺ: ارجع إلى مضجعك، وانصرف المخزومي معه.

وهذه الرواية في إحياء الميت لأمير المؤمنين تتطابق مع ما ورد في القرآن الكريم، من إحياء الموتى على يد الأنبياء ﷺ.

فقد ورد في عيون المعجزات. قال الإعرابي: بلغنا عنك أنك تحيي الموتى وتميت الأحياء وتفقر وتغني وتقضي في الأرض وتمضي ليس لك

مطاول يطاولك ولا مصا ول يصاولك، أفهو كما بلغنا يا فتى قومه؟ فقال: قل ما بدا لك.

فقال الإعرابي: اني رسول إليك من ستين ألف رجل، وقد حملوا معي ميتاً قد مات منذ مدة اختلفوا في سبب موته وهو على باب المسجد، فإن أحييته علمنا أنك صادق ونجيب الأصل وتحققنا أنك حجة الله في أرضه، وأن لم تقدر على ذلك رددته إلى قومه وعلمت إنك تدعي غير الصواب وتظهر من نفسك مالا تقدر عليه. فقال ﷺ يا أبا جعفر ميثم أركب بعيراً وطف في شوارع الكوفة ومحا لها، وناد من أراد أن ينظر إلى ما أعطى الله علياً أخا رسول الله من قدرة، فليخرج إلى النجف غداً.. ولما صلى أمير المؤمنين الفجر، خرجت معه ولم يبق في الكوفة بر ولا فاجر إلا وقد خرج إلى النجف ثم قال ﷺ يا ميثم إئت بالإعرابي وصاحب الميت وهو راجل بجنب القبة التي فيها الميت فأت به النجف، ثم قال: يا أهل الكوفة: قولوا فينا ما ترونه منا وارووا عنا ما تسمعونه منا، ثم قال: يا إعرابي أبرك جملك. ثم قال: أخرج صاحبك أنت وجماعة من المسلمين، فقال ميثم: فأخرج من التابوت عصب ديباج أصفر، فاذا تحته عصب ديباج أخضر فاذا تحته بدنه من اللؤلؤ فيها غلام عذاره كذوائب الحسنى فقال ﷺ: كم لميتك هذا؟ فقال: أحد وأربعون يوماً قال: فما كانت مينته؟

قال إن أهله يريدون أن تحييه ليعلموا من قتله لأنه بات سالماً وأصبح مذبوحاً من أذنه إلى أذنه، فاكشف الشك والريب يا أخا محمد بن عبد الله، فقال ﷺ: قتله عمه لأنه زوجه ابنته فخلاها وتزوج غيرها فقتله حنقاً عليه، فقال: لسنا نرضى بقولك فانا نريد أن يشهد الغلام بنفسه عند أهله من قتله فيرفع من بينهم السيف والفتنه؟.

فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ثم قال: يا أهل الميت ما بقرة بني إسرائيل عند الله بأجل من علي أخي رسول الله، وإنها أحيت

ميناء بعد سبعة أيام، ثم دنا من الميت وقال: إن بقرة بني إسرائيل ضرب ببعضها الميت فعاش واني لأضربه ببعضي لأن بعضي عند الله خير من البقرة، ثم هوى برجله وقال: قم بإذن الله يا مدرك بن حنظلة فقد أحياك الله بإذنه تعالى عليّ، فنهض الغلام وقال: لبيك يا محيي العظام وحجة الله على الأنام والمتفرد بالفضل والإنعام لبيك يا علي يا علام.

فقال له: من قتلك يا غلام؟ فقال: عمي حريث بن رمعة...

إن هذه المعجزة تدل على صدق الإمام لما بين يديه ومبيناً لما بعد النبوة لقول الرسول الله ﷺ: من أحب علياً في حياته وبعد موته كتب الله له من الأمن والإيمان ما طلعت عليه الشمس وغربت، ومن أبغضه في حياته وبعد موته مات ميتة جاهلية وحوسب بما عمل.

❁ ❁ ❁

أحد الشعراء قال:

جمعت في صفاتك الأضداد ... فلهذا عزت لك الأندادُ
زاهدٌ عالمٌ حليمٌ شجاعٌ ... ناسك فاتك فقيرٌ جوادُ
شيم ما جمعن في بشرٍ قط ... ولا حاز مثلهن العبادُ
خلقٌ يخجل النسيم من اللطف ... ويأنَ يذوب منه الجمادُ

❁ ❁ ❁

ولاية المعصوم مطلقة وواجبة على كل الأكوان والمخلوقات

إذا كانت الولاية هي السيطرة العامة وتأتي بمعنى الموالاة أي الطاعة الخاصة سواءً عن إيمان أو نكران فان ذلك لا ينفي ماهية الولاية فوجود الشمس لا يبطله عمى العميان ونكرانهم لها، وقد وردت أحاديث: عن علي ﷺ: السموات والأرض عند الإمام كيده من راحته.

عن مولانا الحسين ﷺ: والله ما خلق الله شيئاً إلا وقد أمره بالطاعة لنا.

وعن السجاد ﷺ: إن إماماً لا يكلمه الجماد فليس بإمام.

عن موسى الكاظم ﷺ: إن الإمام لا يخفى عليه كلام أحد من الناس ولا طير ولا بهيمة ولا شيء فيه روح، بهذا يعرف الإمام، فان لم يكن فيه هذه الخصال، فليس هو بإمام..

فالإمامة بهذا المنظور تعني الكمال الذاتي وأن النقص لايقربها أويسانخها، وهو ما يساوي العصمة، كالدائرة رسم كامل لحصول الصورة، فبهذا انتفى كمال الخط الذي لا يتم شكله إلا بغيره، هذا الطائر الصفاتي وان نالته الأسماء والصفات وحامت عند حماه الرواسم والحدود، فهي كسوة من جهة الخلق لحاجتهم إلى التعبير والألفاظ، كما أن العقل الكلي هو قانون يحكم كل الأكوان لطيفها وكثيفها هو في الخلق علم ونطق وأخلاق واختراع وتدبير، فهذه الجزئية العقلية لجهة

إشراقه الفيض الكلي ولا يضير في تجزئته لأنه سعة الكل والشاهد والمشهود، وكذلك الإمامة فهي حجة بشرية وكونية. فمن الحجج على عالم البهائم ما ورد في عيون المعجزات: عن عمار بن ياسر قال كنت بين يدي أمير المؤمنين وإذا بصوت قد أخذ جامع الكوفة فقال: يا عمار انت بذي الفقار الباتر الأعمار فجئته بذي الفقار، فقال: اخرج يا عمار وامنع الرجل عن ظلامة المرأة فان انتهى وإلا منعته بذي الفقار، قال عمار فخرجت وإذا أنا برجل وامرأة قد تعلقا بزمام جمل، فالمرأة تقول الجمل لي، والرجل يقول الجمل لي، فقلت: إن أمير المؤمنين ينهاك عن ظلم المرأة، فقال: عليه بشغله ويغسل يده من دماء المسلمين الذين قتلهم بالبصرة، يريد أن يأخذ جملي ويدفعه إلى هذه المرأة الكاذبة، فقال عمار: رجعت إلى مولاي لأخبره، وإذا به قد خرج ولاح الغضب في وجهه وقال: ويلك خلّ الجمل للمرأة، فقال: هو لي، فقال له مولانا: كذبت يا لعين. قال: فمن يشهد انه للمرأة يا علي؟ فقال عليه السلام: الشاهد الذي لا يكذبه أحد من الكوفة، فقال الرجل: إذا شهد شاهد وكان صادقاً سلمته للمرأة؟ فقال مولانا: أيها الجمل لمن أنت؟ فقال بلسان فصيح: يا أمير المؤمنين ويا سيد الوصيين أنا لهذه المرأة منذ بضع عشرة سنة، فقال الإمام عليه السلام: خذي جملك، وعارض الرجل بضربة فقسمه نصفين.

ومن الدلائل عليه

عن الأصبغ بن نباته: جاء نفر إلى أمير المؤمنين فقالوا: إن اليهودي يزعم أنك تقول إن هذا الجري مسخ؟ فقال مكانكم حتى أخرج إليكم فتناول ثوبه، ثم خرج إليهم ومضى حتى انتهى إلى الفرات بالكوفة فصاح يا جري فأجابه: لبيك، قال: من أنا؟ قال: أنت إمام المتقين وأمير المؤمنين عليك السلام.

قال: من أنت؟ قال: أنا ممن عرضت عليه ولا يتك فجحدتها، ولم أقبلها فمسخت جرياً . . . . .

ومن الدلائل عليه:

عن جعفر الصادق ع عن أبيه يرفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام أن جبريل نزل على النبي صلى الله عليه وآله بجام من الجنة فيه فاكهة كثيرة من فواكه الجنة فدفعه إلى النبي فسبح الجام وكبر وهلل في يده، ثم دفعه إلى أبي بكر فسكت الجام، ثم دفعه إلى عمر فسكت الجام. ثم دفعه إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام فسبح الجام وهلل وكبر في يده، ثم قال الجام اني أمرت أن لا أتكلم إلا في يد نبي أو وصي.

ومن الدلائل عليه: بالإسناد عن الحارث قال: خرجنا مع أمير المؤمنين عليه السلام حتى انتهينا إلى القاطول بالكوفة على شاطئ الفرات فإذا نحن بأصل شجرة قد وقع لحاؤها على شاطئ الفرات عودها يابس فضربها بيده ثم قال لها: ارجعي بإذن الله خضراء ذات ثمر، فإذا هي

تهتز بأغصانها مورقة مثمرة وحملها الكمثري الذي لم ير مثله في فواكه الدنيا فأطعمنا منه وتزودنا وحملنا، فلما كان بعد ثلاثة أيام عدنا إليها فإذا هي خضراء فيها الكمثري.

ومن الدلائل السمائية

في الهداية: عن أبي بصير عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قلت: يا سيدي كم مرة ردت الشمس على جدك أمير المؤمنين قال: يا أبا بصير ردت له مرة عندنا بالمدينة ومرتين عندكم بالعراق، فأما التي في المدينة فان رسول الله صلى الله عليه وآله صلى العصر وخرج إلى منفسح في غربي المدينة، وأمير المؤمنين يتبعه ولم يصلِ العصر فلحق رسول الله النعاس فوضع رأسه في حجر علي عليه السلام ورقد ولم ينبهه من رقدته إلا وقد توارت الشمس بالحجاب فلما انتبه الرسول قال أمير المؤمنين: يا رسول الله ما صليت ولا أيقظتك من رقدتك إجلالاً وإعظاماً واشفاقاً عليك، فقال صلى الله عليه وآله: اللهم انك تعلم أن علياً عظم نبيك وأشفق عليه أن يوقظه من رقدته حتى غربت الشمس ولم يصل العصر فكرِّمْ نبيك ووصيك برد الشمس عليه حتى يصلي العصر، فأقبلت الشمس من مغربها راجعة لها زجل التسبيح والتقديس، حتى صارت في منزلة الشمس لوقت العصر فصلى أمير المؤمنين ورسول الله، وجميع الناس ينظرون فلما قضى صلاته هوت الشمس إلى مغربها كالبرق الخاطف أو كالكوكب المنقض. فأمر رسول الله أن يُبنى في موضع الصلاة التي صلاها أمير المؤمنين مسجد يصلى فيه ويزار.

قال الصاحب بن عباد:

لا تقبل التوبة من تائب ... إلا بحب ابن أبي طالب
أخي رسول الله بل صهره ... والصهر لا يعدل بالصاحب

يا قوم من مثل علي وقد ردّت عليه الشمس من غائب

قال ابن الرومي:

وله عجائب يوم سار بجيشه يبغي لقصد النهر وان المخرجا
ردت عليه الشمس بعد غروبها بيضاء تلمع وقدة وتأججا

ولما أظهر الرسول ﷺ الآيات العظيمة والمعاجز المبهرة تحيرت قبائل قريش.

ففي الهداية: فقالوا يا محمد قد جعلنا بينك وبيننا آية إن أتيت بها آمنا بك

وصدقناك، فقال لهم ﷺ إسألوني فإني أنبئكم بكل آية لو كنتم تؤمنون بالله ورسوله. فقالوا: الوعد بيننا وبينك سواد الليل وطلوع القمر، تقف على المشعرين فتسأل ربّك الذي تقول إنّه أرسلك رسولاً أن يشق لك القمر شعبتين، وينزله من السماء حتى ينقسم قسمين، فيقع قسم على الصفا، وقسم على المشعرين. فقال ﷺ: فهل أنتم مؤمنون بما قلتم إنكم تؤمنون بالله ورسوله. قالوا: نعم يا محمد، وتسامع الناس وأتوا سواد الليل فأقبل الناس يهرعون إلى البيت وحوله حتى أقبل الليل واسودّ، وطلع القمر وأنار، والنبي وأمير المؤمنين ومن آمن بالله ورسوله يصلون على النبي ويطوفون حول البيت، فأقبل أبو جهل وأبو سفيان على النبي وقالوا: ألآن بطل سحرك وكهانتك، وهذا القمر فأوف بعهدك، فقال ﷺ: قم يا أبا الحسن قف بجانب الصفا وهرول إلى المشعرين وناد بهذا إظهاراً وقل في ندائك: اللهم ربّ هذا البيت الحرام وزمزم والمقام ومرسل الرسول النهامي انذن للقمر أن ينشق وينزل إلى الأرض: نصف على الصفا ونصف على المشعرين فقد سمعت سرّنا ونجوانا وأنت بكل شيء عليم.

فتضاحكت قريش وقالوا إن محمداً استشفع بعلي لأنه لم يبلغ

الحلم، ولا ذنب له، فقال أبو لهب لقد أشمتنا الله بك يا ابن أخي في هذه الليلة.

فقال النبي ﷺ اخسأ يا من أتب الله يديه ولم ينفعه ماله ولا بنوه وتبين مقعده من النار فقال أبو لهب: لأفضحنك في هذه الليلة بالقمر وشقه وانزاله إلى الأرض ولأفندنّ كلامك هذا الذي إذا كان غداً جعلته سورة وقلت هذا ما أوحي إليّ في أبي لهب. قال ﷺ: يا علي امض فيما آمرك واستعذ بالله من الجاهلين ثم هرول أمير المؤمنين من الصفا إلى المشعرين ونادى بالدعاء فما استتم كلامه حتى كادت الأرض أن تسيخ بأهلها والسماء أن تقع.

فقالوا: يا محمد لقد أعجزك شق القمر أتيتنا بسحرك لتفتنا فيه، فقال ﷺ: هان عليكم بما دعوت به فان السماء والأرض لا يهون عليهما بذلك ولا يطيقان سماعه، فقوموا بأجمعكم وانظروا إلى القمر، ثم إن القمر انشق نصفين، نصفا وقع على الصفا ونصفا وقع على المشعرين فأضاءت مكة وأوديتها وصاح المنافقون: أهلكنا محمد بسحره!!

يا محمد أفعل ما شئت فلن نؤمن بك ولا بما جئتنا به.

ثم رجع القمر إلى منزله من الفلك وأصبح الناس يلوم بعضهم بعضاً.

هذه المعجزة لاثبات النبوة، أجراها الرسول الله ﷺ على يد أمير المؤمنين ﷺ لما لها من دلالة خفية كما قال ﷺ: أمرنا صعب مستصعب لا يحمله نبي مرسل ولا ملك مقرب.

❁ ❁ ❁

وقد عبر أبو النواس إذ قال:

لا تحسبني هويت الطهر حيدرة لعلمه وعلاه في ذا النسب
ولا شجاعته في كل معركة ولا التلذذ في الجنات من أربي
ولا التبرؤ من نار الجحيم ولا رجوته من عذاب الحشر يشفع بي
لكن عرفت هو السر الخفي فان أذعته حللوا قتلي وكفر بي
بصدهم عن داء لا دواء له كما يعرض عنه صاحب الكلب

إن المعجزة التي جرت على يد موسى وعيسى وسليمان وإبراهيم... الخ. منها أرضية وكونية فما يجري لنبي يجري للكل ومن جحد الإتيان بالمعجزة السمائية وأنكر المعجزة الأرضية، أو أنكر واحدة فهو أعور ومن أنكر الاثنتين فهو أعمى وفي ذلك يرتاب المبطلون.

يؤيد ما ذكرناه ونعتقد به، ما ورد في الحديث القدسي عن الرب العلي قال: عبدي أطعني أجعلك مثلي، أنا حي لا أموت أجعلك حيا" لا تموت أنا غني لا أفتقر أجعلك غنيا" لا تفتقر، أنا مهما أشأ يكن أجعلك مهما تشأ يكن. فهذه الأحاديث تسهل الإيمان والتسليم بمقام الإمامة الإلهي فلا بدع بذلك،

كما ورد في الحديث القدسي: إن لله عباداً أطاعوه فيما أراد فأطاعهم فيما أرادوا يقولون للشيء كن فيكون.

وهذا عندنا ما يعرف «بالولاية المطلقة» ولهذا قال أهل العصمة:

جنبونا آلهة نعبد، واجعلوا لنا رباً نؤوب إليه، وقولوا فينا ما استطعتم.

أسرار دونها أسوار

إن الذي لا يرى الأشياء إلا مادية محضة، ويقول ليس خلف هذه المرئيات قوى أو أشخاص معنية بالتدبير والمدد، فأنه ينكر أن تكون هذه أسوار خلفها أسرار، وينكر تأثير الكواكب والنجوم والأشعة وتنزلاتها على أقاليمنا فلذلك يعظم عليه أن يقر بالمعجزة والقدرة، وحتى يستصعب حدوثها نتيجة وقوفه عند حرفية الألفاظ وكثافة المرئيات ولا يقر بأن ما ورد من أفعال النبوّة والإمامة هو صفة كلية نلحظها من خلال باب العلم والحكمة والمعجزة والقدرة. قال تعالى: ﴿قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد].

هذه المنزلة لا يلحظها إلا من وفقه الله، وأخلص بإيمانه وتخلص من شيطانه. قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [سورة المطففين، الآية: ١٤].

ومن كان هكذا يطمئن إلى كلمهم ويدرك سرّ عجزهم ويرى تصريفاً للوهن، أما التعيس المحجوب ينسب المعاجز إلى الأساطير أو إلى سمّار الليالي أو إلى الغلو، وكل هذا لينسف الحكمة والغيبيات وراءها، لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٧].

فنتيجة ذلك أو محصوله بأن النافي للمعجز أو المستخف بهذه الروايات يقيس الأشياء بعقله وبحدوده وأنها لا تجري إلا ضمن قنوات

الزمان والمكان، وبهذا يكون نصب نفسه حاكمة، ووضع نفسه في علم القياس فتخبط بالالتباس ورأى الأنبياء والإمام بحجوم الناس تبعاً لتصوراته . .

فاقرأ هذه الرواية التي وردت في عيون المعجزات ص ٤٧ :

روي عن أبي ذر جندب انه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في بعض غزواته، فلما أمسينا هبطت ريح باردة، وعلتنا غمامة هطلت غيثاً (مثعنجراً)، فلما انتصف الليل جاء عمر بن الخطاب ووقف بين يدي رسول الله ﷺ وقال: إن القوم قد أخذهم البرد وقد ابتلت المقادح والزناد لم تور وقد أشرفوا على الهلكة من شدة البرد، فالتفت ﷺ إلى علي وقال له: قم يا علي واجعل لهم ناراً، فقام علي عليه السلام وعمد إلى شجر أخضر فقطع غصناً من أغصانه وجعل لهم منه ناراً، وأوقد منها في كل مكان واصطلوا بها، وشكروا الله تعالى وأثنوا على رسول الله وعلى أمير المؤمنين عليه السلام.

وفي عيون المعجزات: عن عبد الله بن العباس قال: والله لقد رأيته بصفين وعلى رأسه عمامة بيضاء، وكأن عينيه سراج سليط، وهو يقف على شرذمة من أصحابه يحثهم إلى القتال، إلى أن انتهى الي وأنا في كنف من الناس وقد خرج خيل لمعاوية المعروفة بالكتيبة الشهباء عشرون ألف دارع على عشرة آلاف أشهب متسربلين بالحديد، كأنهم صفحة واحدة ما ترى منهم إلا الحدق تحت المغافر، فاقشعر أهل العراق لما عاينوا ذلك، فقال لهم عليه السلام: ها لكم يا أهل العراق، إن هي إلا جثث مائلة فيها قلوب طائرة، ورجل جراد دفت بها ريح عاصفة، وشدة الشيطان ألجمتهم الضلالة، وصرخ بهم ناعق البدعة، ففتنهم، ما هم إلا جنود البغاة وقحقحة المكاثرة، لو مستهم سيوف أهل الحق تهافتوا تهافت الفراش في النار. ولرأيتموهم كالجراد في يوم الريح العاصف.

ألا فاستشعروا الخشية وتجلببوا السكينة، وادرعوا اللامة وأقلقوا الأسياف في الأغماد، قبل السل وانظروا الشزر وأطعنوا الوخز وتناوحوا بالطبني وصلوا بالسيف بالخطى والرماح بالنبل، وعاودوا أنفسكم بالكر واستحيوا من الفر، فانه عار باق في الأعقاب عند ذوى الأحساب، وفي الفرار النار يوم الحساب.

وطيبوا عن أنفسكم نفساً، واطووا عن حياتكم كشحاً، وامشوا إلى الموت قدما وعليكم بهذا السواد الأعظم والراووق المطنب، واضربوا نجبة، فان الشيطان راقد في كسره نافخ خصييه مفترش ذراعيه، ومذ للوثبة يداً، وأخر النكوص عقبا فاثبتوا في المواقف وعضوا على النواجذ، فانه أبنى للسيوف من الهام فاضربوا بالصوارم وشدوا منها فأنا شاد محمل على الكتيبة، وحملهم حتى خالطهم فلما أدارهم دور الرحى المسرعة، وثار العجاج فما كنت أرى إلا رؤوساً باردة وأبداناً طافحة وايدي طائحة، وقد أقبل أمير المؤمنين وسيفه يقطر دماً وهو يقول: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ [سورة التوبة، الآية: ١٢].

وروي أن من نجا منهم رجعوا إلى معاوية فلا مهم على الفرار، بعد أن أظهر التحسر والحزن على ما حل بتلك الكتيبة، فقال كل واحد منهم: كيف كنت لو رأيت علياً، وقد حمل علي، وكلما التفت وراني وجدته يقفو أثري. فتعجب معاوية! وقال لهم: ويحكم! إن علياً لواحد كيف كان وراء جماعة متفرقين.

وفي الهداية: عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: بينما أمير المؤمنين متجهز إلى معاوية ويحرض الناس على قتاله اختصم إليه رجلان، فجعل أحدهما يخاصم بالكلام وزاد فيه، فالتفت إليه أمير المؤمنين وقال له: اخسأ يا كلب، فإذا رأسه رأس كلب فبهت من كان حوله، وأقبل الرجل بإصبعه المسبحة يتضرع إلى أمير المؤمنين ويسأله الإقالة؟ فنظر إليه

وحرك شفتيه فعاد خلقاً سوياً، فوثب بعض أصحابه وقال: يا أمير المؤمنين هذه القدرة لك أريتنا إياها وأنت تجهزنا إلى قتال معاوية. فما لك لا تكفينا ببعض ما أعطاك الله من هذه القدرة؟ فأطرق قليلاً ورفع رأسه وقال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو شئت لضربت برجلي هذه القصيرة في طول هذه الفيافي والفلوات والجبال والأودية صدر معاوية على سريره فأقلبه على أم رأسه لفعلت، ولو أقسمت على الله أن آتي به قبل أن أقوم من مجلسي هذا ومن قبل أن يرتد إلى أحدكم طرفه لفعلت ولكننا كما وصف الله عز من قائل: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الانبياء، الآية: ٢٧].

والحديث بطوله إلى أن قال زيد بن كثير: فما بالك لا تفعل ما تريد إلا أن يضعف يقيننا فنشك فيك فندخل النار؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام لأفعلن ذلك ولأعجلنّ على ابن هند، فمد رجله المباركة على منبره فخرجت من أبواب المسجد، وردها إلى فخذه، وقال معاشر الناس افهموا تاريخ الوقت وأعلموا فلقد ضربت برجلي هذه في هذه الساعة صدر معاوية فألقيته على أم رأسه فظن أنه قد هبط به فقال: يا أمير المؤمنين أين النظرة، فردت رجلي عنه. فوقّت الناس الخبر من الشام بتاريخ تلك الساعة بعينها من ذلك اليوم. وورد الخبر أن رِجْلاً جاءت من نحو أبواب كندة ممددة متصلة فدخلت الأبواب على معاوية والناس ينظرون حتى ضربت صدر معاوية فأقلبته عن سريره على أم رأسه فصاحوا يا أمير المؤمنين حقاً!.

هذه من الدلائل على إمامته وولايته المطلقة وقد تواترت الأخبار والأحاديث عنهم تثبت المعاجز والقدر لهم، كما وردت الآثار والأخبار عن النبي صلى الله عليه وآله: من حنوّ الجذع إليه، وقبل البعير قدميه، وانشق لعظمته القمر، واخضر العود اليابس بيده، وسبّحت الحصى بيديه الشريفة.

لذلك قال أهل العصمة منهم السلام: نزهونا عن الربوبية وارفعوا

عنا حظوظ البشرية - يعني ما يجوز عليكم - فلا يقاس بنا أحد فانا نحن الأسرار الإلهية المودعة في الهياكل البشرية والكلمة الربانية في الأجساد الترابية، وقولوا بعد ذاك ما استطعتم فان البحر لا ينزف وعظمة الله لا توصف..

وفي صحيفة الأبرار: قال الإمام الصادق عليه السلام: لنا مع الله حالات فيها هو نحن ونحن هو، وهوهو ونحن نحن.

هذا المقام هو إندكاك جبل الإمام بنورانية العظمة وهو ما يعرف بالإفاقة والثوبة أي قبول تلك الآثار المتلالية من المبدأ الكلي، فيصبح المقام موقع أنوار الفيوضات الربانية والإشراقات ومعدن الرحمة وهو مقام القطبية ومفترض الطاعة لكونهم أمناء الله على ماأنزل من عذر أو نذر.

ورد في الصحيفة (ج٢) ص١٣٣: عن جابر بن عبدالله قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وآله إذ دخل علي بن أبي طالب فقربه النبي فتعانقا حتى أنهما صار شخصاً واحدا، فتفقدنا أمير المؤمنين فلم نجد له عيناً ولا أثراً، فزدنا تعجباً! فقلنا: يارسول الله ماالذي جرى لإبن عمك وما نراك إلاوحدك؟ قال: فتبسم النبي وقال: يا قوم أماسمعتم مني: أنا من علي وعلي مني، أنا وعلي من نور واحد، ولما تعانقنا إشتاق هو إلى المنزل الأول من نورنا فامتزج نوره بنوري حتى بقينا شخصاً واحداً كما ترون .قال: فلما سمعنا ماقال النبي رعبت قلوبنا واصفرت وجوهنا، وقد طالت غيبة أمير المؤمنين فقالوا:

يا رسول الله بحق من أرسلك بالحق ألا ما أخبرتنا كيف صار علي عليه السلام؟ فأحضره إلينا حتى يزول الشك من قلوبنا! فقال صلى الله عليه وآله:

علي مني وأنا من علي، فرأيتا قد جلله العرق فظهر من جبهته مصباح من نور حتى ظننا أنه قد عمّ المشارق والمغارب، فاشتدّ فزعنا

حتى ظننا أننا سنحترق وأهل الأرض كلهم من نور المصباح، فلما رأى النبي حالنا صرخ صرخة وقال: أين قيوم الأملاك؟ أين مدبر الأفلاك؟ أين مبدع الموجودات؟ أين عالم الغيب والمكاشفات؟ أين الصراط المستقيم؟ وبغضه عذابٌ أليم؟ أين أسد الله أين الذي دمه دمي ولحمه لحمي وروحه روحي أين الإمام الهمام؟

قال: فإذا بصوت عليٍّ ينادي لبيك لبيك يا سيد البشر فلما سمعنا صوته جعلنا ننظر إليه من أين يظهر وإذا به قد ظهر من جنب النبي الأيمن وهو يقول لبيك لبيك، قال جابر: لماغاب عليٌّ في النبي وظهر منه سألته كيف دخوله وخروجه منك يا رسول الله؟ فقال: يا جابر إن غيبة عليٍّ كانت أمراً يعلمه الله، وهو أنه التصق صدره بصدري امتزج لحمه بلحمي ودمه بدمي ونوره بنوري كما كنا في موطننا الاول قبل هذه الهياكل البشرية، حتى صرنا هناك شخصاً واحداً بإذن الله تعالى.

إذا قرأ هذا الرواية الجامدون على القشور يؤوّلونها بتخريج المجازات بعضها من بعض، فلو رمى المرء بصره إلى الجسم كيف يحتجب بالنطفة، والشجرة تنفتق من البذرة، وكل ذرةٍ هي جذرٌ للصورة التي تحمل المادة الأصلية التي لاوزن لها ولا كم، وهي تسبح في السماء، لهانت عليه معرفة حركة الظهور والبطون، والصورة من المادة والمادة الكلية من الصورة الأنزعية اللامتناهية.

وقد ورد في المشارق للبرسي:

روى المقداد بن الأسود قال: قال لي مولاي يوماً ائتني سيفي فجئته به، فوضعه على ركبته، ثم ارتفع في السماء وأنا أنظر إليه حتى غاب عن عيني، فلما قرب الظهر، نزل وسيفه يقطر دماً، قلت: يا مولاي أين كنت؟ فقال: إن نفوساً في الملأ الأعلى اختصمت فصعدت فطهرتها. فقلت يا مولاي وأمر الملأ الأعلى إليك؟

فقال: يا بن الأسود «أنا حجة الله على خلقه من أهل سمواته وأرضه، وما في السماء من ملك يخطو قدماً عن قدم إلا بإذني «وفي يرتاب المبطلون»....

من استعظم هذا الحديث نكراناً وعارضه بالقياس، إذ قال لا يصعد إلى السماء إلا اللطيف، والإمام علي جسم محسوس فكيف يصعد إلى السماء؟. إن من آمن بالإسراء والمعراج للنبي ﷺ يؤمن بصعود الإمام لأنه آية النبي ومبين حجته وامتداد لرسالته، ولا فرق بينهما بالأجساد والرفعة إلا أن هذا نبي وهذا وصي. والحمد الله.

البيان والمعاني

في المشارق: روى جابر بن عبد الله عن أبي جعفر عليه السلام انه قال: يا جابر عليك بالبيان والمعاني فقلت: وما البيان والمعاني؟ فقال: أما البيان فهو أن تعرف أن الله سبحانه ليس كمثله شيء فتعبده ولا تشرك به شيئاً، وأما المعاني فنحن معانيه، ونحن جنبه ويده ولسانه وأمره وحكمه، وكلمته وعلمه وحقه، وإذا شئنا شاء الله، ويريد الله ما نريد، ونحن المثاني التي أعطى الله نبينا، ونحن وجه الله الذي يتقلب في الأرض بين أظهركم، فمن عرفنا فإمامه اليقين، ومن جهلنا فإمامه سجين ولو شئنا خرقنا الأرض وصعدنا السماء، وان إلينا إياب الخلق ثم إن علينا حسابهم . . . .

هذا الكلام تكشف عنه أسرار هذه الرواية.

ففي الهداية ص ١٦٧:

عن رشيد الهجري قال كنت وأبا عبد الله سلمان وقيس بن ورقا وأبا الهيثم مالك وسهل بن حنيف بين يدي أمير المؤمنين بالمدينة إذ دخلت حبابة الوالبية وعلى رأسها كور شبيه السيف، وعليها أطمار سابغة متقلدة مصحفاً، وبين أنا ملها مسباح من حصى فسلمت وبكت، وقالت: آه يا أمير المؤمنين! آه من فقدك وآسفاه على غيبتك واحسرتاه على ما يفوت من الغيبة منك، لا يلهى عنك ولا يرغب، يا أمير المؤمنين من الله فيك الخشية وإرادة من أمري معك على يقين وبيان وحقيقة، واني

أتيتك تعلم ما أريد، فمد يده اليمين إليها فأخذ من يدها حصاةً بيضاء تلمع وتكاد لاتُرى من صفائها وأخذ خاتمه من يده وطبع به الحصاة فانطبعت، فقال لها: يا حبابة هذا كان مرادك مني؟ فقالت: إي والله يا أمير المؤمنين هذا ما أريد لما سمعناه من تقول شيعتك واختلافهم بعدك، فأردت بهذا برهاناً يكون معي إن عمرت بعدك ولا عمرت - ويا ليتني وقومي لك الفداء - فإذا وقعت الإشارة وشتت الغيبة فمن يقوم مقامك؟ وآتيه بهذه الحصاة، فإذا فعل فعلك علمت أنه الخليفة وأرجو أن لا أوجد لذلك، قال: بلى، والله يا حبابة لتلقين بهذه الحصاة ابني الحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد وجعفر وموسى وعلي بن موسى وكلاً إذا أتيته استدعى الحصاة منك وطبعها بهذا الخاتم لك فبعهد علي الرضا ترين في نفسك برهاناً عظيماً تعجبين منه فتختارين الموت فتموتين ويتولى أمرك، ويقوم على حفرتك ويصلي عليك وأنا مبشرك بأنك من المكرورات مع المهدي من ذريتي إذا أظهر الله أمره فبكت حبابة ثم قالت: يا أمير المؤمنين من أين لأمتك الطائعة الضعيفة اليقين، القليلة العمل لولا فضله وفضل رسول الله وفضلك يا أمير المؤمنين أن تتأتى بهذه المنزلة التي أنا فيها فادع لي يا أمير المؤمنين بالثبات على ما هداني الله إليه، ولا أسلبه ولا أفتتن فيه ولا أضل عنه، فدعا لها أمير المؤمنين بذلك، وأصحبها خيراً.

الجلايا في مظهر الخفايا

إن التعددية في الأسماء للإمام عليه السلام يدل على أنه مجمع الكمالات فلذلك انحدرت الصفات وتكثرت التسميات لجهة الأفعال من حيث المفترض عليهم الإجابة والطاعة، قال أمير المؤمنين عليه السلام: انه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى ينحدر عني السيل ولا يرقى الي الطير.

ففي كلامه علينا سلامه تورية نستلحظها من قوله: فالقطب ثابت والرحى متحرك ولا حصر لعدد حركاته، وكذلك السيل ينحدر عن العالي، فالعالي أو العدو هو الثابت والسيل هو المتحرك وهو بمثابة الأفعال التي يقوم بها الإمام وهي لا تحصى، وبهذا اللحاظ تتقسم الأسماء والصفات وتنساب عن مقامه. والذات ثابتة واحدة.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله أمرني أن أقيم علياً إماماً وحاكماً وخليفة وأن أتخذه وزيراً ووليا وهو صالح المؤمنين، أمره أمري...

وعن أبن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: وكل شيء أحصيناه في إمام مبين عليه السلام قام رجلان فقالا يا رسول الله أهي التوراة؟ قال: لا. قالا: فهو الانجيل؟ قال: لا. قالا: فهو القرآن؟ قال: لا. فاقبل أمير المؤمنين فقال: هو هذا الذي أحصى الله فيه علم كل شيء، وان السعيد كل السعيد من أحب علياً على حياته وبعد وفاته، والشقي كل الشقي من أبغض هذا في حياته وبعد وفاته.

من خلال هذه الأحاديث نعرف لِمَ سمي إماماً فالإمام هو القدوة والأسوة الحسنة، ومن بأمّهُ الناس إذاً هو المصمود والمقصود لكل الناس ولا يقصد أحداً، لإستغنائه عن الكل، وحاجة الكل إليه.

تعريف الإمام والإمامة مصطلحاً:

الإمامة منصب الهي ورئاسة عامة في أمور الدين والدنيا، يختارها الله تعالى لفرد كامل من البشر الذي هو الإمام، ويأمر النبي ﷺ بأن يرشد الأمة إليه، ويقوم مقام النبي في إرشاد الناس، وحجة الله على خلقه.

عن أبي حمزة قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: إنما يعبد الله من يعرف الله، فأما من لا يعرف الله فإنما يعبده هكذا ضلالاً. قلت جعلت فداك، فما معرفة الله؟ قال: تصديق الله. وتصديق رسوله وموالاة علي والإئتمام به وبأئمة الهدى، والبراءة إلى الله من عدوهم.

إنّ لجلجة سرّ الولاية في الصدور، لا يقف عند حدٍّ، ولهذا قلقل الصمّ الصياخيد من شيعته وانسحب على سائر الخلق الذين تفكروا في شخصية الإمام وهاموا بحبه، وهذا يدفع إليك شيئاً من مكنونات السرّ، ففي كتاب (كشف الغمّة):

عن الأصبغ بن نباتة قال: دخل الحارث الهمداني على أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله في نفر من الشيعة، وكنت معه فيمن دخل فجعل الحارث يتأوّد في مشيته ويخبط الأرض بمحجنته وكان مريضاً، فاقبل عليه أمير المؤمنين صلوات الله عليه وكانت له منزلة، فقال: كيف تجدك يا حار؟ قال: نال الدهر مني يا أمير المؤمنين، وزادني أدواء وعللاً، اختصام أصحابك ببابك.

قال فيم؟ قال: في شأنك والبلية من قبلك، فمن مفرط غال، ومبغض قال، ومن متردد مرتاب فلا يدري أيقدم أم يحجم،

قال فحسبك يا أخا همدان ألا إن خير شيعتي النمط الأوسط، إليهم يرجع الغالي، وبهم يلحق التالي.

قال: لو كشفت فداك أبي وأمي الرين عن قلوبنا وجعلتنا في ذلك على بصيرة من أمرنا؟ قال قدك، فإنك أمرؤ ملبوس عليك، إن دين الله لا يعرف بالرجال، بل يأتيه الحق والآية والعلامة، فاعرف الحق تعرف أهله. يا حار: إن الحق أحسن الحديث، والصادع به مجاهد، وبالحق أخبرك فارعني سمعك، ثم خبّر به من كانت له خصاصة من أصحابك، ألا إني عبد الله وأخو رسوله، وصديقه الأول، صدفته وآدم بين الروح والجسد، ثم إني صديقه الأول في أمتكم حقاً، فنحن الأولون، ونحن الآخرون، ألا وأنا خاصته يا حار، وخالصته، وصفوته، ووصيه، ووليه، وصاحب نجواه وسره، أوتيت فهم الكتاب، وفصل الخطاب، وعلم القرون والأسباب، واستودعت ألف مفتاح يفتح كل مفتاح ألف ألف باب، يفضي كل باب إلى ألف ألف عهد، وأيدني ـ أو قال أمددت ـ بليلة القدر نفلاً، وإن ذلك ليجري لي ولمن استحفظ من ذريتي ما جرى الليل والنهار حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وابشرك يا حار ليعرفني والذي خلق الجنة وبرأ النسمة وليي وعدوي في مواطن شتى، عند الممات، وعند الصراط، وعند المقاسمة. قال: وما المقاسمة؟ قال: مقاسمة النار، اقسمها قسمة صحاحاً، أقول هذا ولي وهذا عدوي.

ثم أخذ أمير المؤمنين عليه السلام بيد الحارث وقال: يا حارث، أخذت بيدك كما أخذ بيدي رسول الله فقال لي، وقد اشتكيت له حسدة قريش والمنافقين: إذا كان يوم القيامة، أخذت بحجزة من ذي العرش تعالى، وأخذت أنت يا علي بحجزتي، وأخذت ذريتك بحجزتك، وأخذ شيعتكم بحجزتكم، فما يصنع الله بنبيه يصنع بوصيه، ما يصنع وصيه بأهل بيته

وشيعتهم وغيرها. إليك يا حار قصيرة من طويلة، أنت مع من أحببت ولك ما كسبت.

فقال الحارث، وقام يجر رداءه خذلان: ما أبالي وربي بعد هذا ألقيت الموت أو لقيني.

إنّ سرّ الولاية الناطقة بالعلم والمعجز، هفت إليها الأفئدة واقبلت النفوس صوبها، لتهدئ من قلقها وتساكن من حيرتها وتتملّى من صفائها، لعلها تصطاد الباز الأشهب وتظفر بالقرب من حمى حمايتها، فاقرأ هذا النقش:

سأل كميل بن زياد الإمام علي عليه السلام: يا أمير المؤمنين ما الحقيقة؟

فقال: مالك والحقيقة؟

فقال: أو لست صاحب سرك يا أمير المؤمنين؟

فقال: بلى ولكن أخاف أن يطفح عليك ما يرشح مني؟

فقال: أو مثلك من يخيّب سائلاً؟ فقال عليه السلام:

الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة.

فقال: زدني فيه بياناً يا أمير المؤمنين؟

فقال. نفي الموهوم مع صحة المعلوم؟

فقال: زدني فيه بياناً يا مولاي؟

فقال: هتك الستر لغلبة السّر فقال: زدني فيه بياناً يا مولاي؟

فقال: جذب الأحدية لصفة التوحيد.

فقال: زدني فيه بياناً يا مولاي؟

فقال: نور يلمع ـ يشرق ـ من صبح الأزل فيظهر (تلوح) على هياكل التوحيد آثاره.

فقال: زدني فيه بياناً يا مولاي؟

فقال: يا كميل أطفئ المصباح فقد أضاء ـ طلع ـ المصباح.

إنّ طريق الإستدلال في بيان مقامات الأسماء والصفات والأفعال والنسب الذي عرّفنا إياه أمير المؤمنين هو الطريق المستقيم اللاحب، فمن سلكه صحت عقيدته في عبادة الذات الأحدية، وطاب غرس فؤاده يقيناً، فانظر إلى دقة المعرفة والعبادة الخالصة: ففي كتاب التوحيد عن سلمان الفارسي:

سأل الجاثليف الإمام علي عليه السلام: أخبرني؟ عرفت الله بمحمد، أم عرفت محمداً بالله ؟

فقال علي عليه السلام: ما عرفت الله بمحمد ولكن عرفت محمداً بالله حين خلقه وأحدث فيه الحدود من طول وعرض، فعرفت أنه مدبر مصنوع بإستدلال وإلهام منه وإرادة، كما ألهم الملائكة طاعته وعرفهم نفسه بلا شبه ولا كيف.

المعرفة البدوية كانت تلقائية تعمّ الجميع بلا وسائط ووسائل، لأنّها لإبراز الكمون وتقوية الإستعداد، فكانت المعرفة كلية، لأنّ النفس كانت واحدة في حواسها، أ ما في عالم التراكيب، صارت متجزئة، من حيث آلات السمع والبصر والنطق والحفظ،، ، تبعاً للحجب والأغلفة وعالم الغرائز الذي صار رحماً لها، ومعيقاً لإعادة لحنها، فلا خروج إلاّ بعد معرفة هذه التراكيب والأوصال، وأن تقتطع كل قصبات العزف التي تكشف معرفة أشخاصها عن عالم المثل. بهذا القدر نستطيع أن نفقه قول الإمام علي عليه السلام

من عرف نفسه عرف ربه.

وعنه: من عجز عن معرفة نفسه فهو عن معرفة خالقه أعجز.

إن النفس معلولة لعلتها التي أوجدتها، فلهذا يستحيل على الإنسان أن يدرك ويعرف شخصيته الواقعية منفصلة عن علتها وخالقها، لأن علة كل موجود متقدمة على وجود ذلك الشيء فهي أقرب إليه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [سورة قّ، الآية: ١٦] ونكتفي بالقول بعدم الفصل بين معرفة النفس ومعرفة الخالق، كما قال عليه السلام: من عرف نفسه فقد عرف ربه.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [سورة الحشر، الآية: ١٩] إذ أن نسيان الله يلازم نسيان الذات وفقدانها وضياعها، والإنسان لا يكون فاقداً نفسه إذا كان واجداً ربه.

قال الإمام عليه السلام إن الله تعالى جعل الذكر جلاءً للقلوب تسمع به بعد الوقرة وتبصر به بعد العشوة، وتنقاد به بعد المعاندة، وما برح الله عزت آلاؤه في البرهة بعد البرهة وفي أزمات الفترات رجال ناجاهم في فكرهم، وكلمهم في ذات عقولهم، فاستصبحوا بنور اليقظة في الأسماع والأبصار والأفئدة.

وعن عبدالله بن سنان، قال: سألت الإمام الصادق فقلت: الملائكة أفضل أم بنو آدم؟ فقال: قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: إن الله ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركب في البهائم شهوة بلا عقل وركّب في بني آدم كلتيهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة ومن غلبت شهوته عقله فهو شرّ من البهائم.

وعن الإمام الحسين عليه السلام: إن رجلاً قام إلى أمير المؤمنين فقال: يا أمير المؤمنين بماذا عرفت ربك؟

قال: بفسخ العزائم ونقض الهمم، لمّا هممت فحيل بيني وبين همي وعزمت فخالف القضاء عزمي علمت أن المدبر غيري.

قال فبما شكرت نعماءه؟ قال: نظرت إلى البلاء قد صرفه عني

وأبلى به غيري فعلمت إنه قد أنعم عليّ فشكرته، قال فبماذا أحببت لقاءه؟ قال: لما رأيته قد اختار لي دين ملائكته ورسله وأنبياءه علمت أنّ الذي أكرمني بهذا ليس ينساني فأحببت لقاءه.

الحجّة من عمق اللّجّة

قال تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٨٦].

في هذه الآية دلالة ظاهرة على أنّ الإيمان متقدم على الكفر، والهداية متقدمة على الضلالة، والبيّنة سابقة اللبس. هذه أصول لا تنكرها الفطرة ولا تطمسها الكبرياء والغرور، كما في الكون نظهر النقائض، والضد يظهر حسنه ضده، كالظلام والنور، والوضوح والبهمة، والعدل والظلم وعلى هذا فالضد يحمل سرّه قسراً ولا يستطيع أن يخفيه، وهذا سرٌّ بحثنا في ذي الأحاديث: حدثنا أبو الصقر عن عدي بن أرطاة، قال: قال معاوية يوماً لعمرو بن العاص، يا أبا عبد الله أيُّنا أدهى؟ قال: عمرو أنا للبديهة وأنت للروية، قال معاوية: فضيت لي على نفسك، وأنا أدهى منك في البديهة قال عمرو أين كان دهاؤك يوم رفعت المصاحف؟

قال معاوية بها غلبتني يا أبا عبد الله، أفلا أسألك عن شيء تصدقني فيه؟

قال والله إن الكذب لقبيح فاسأل عما بدا لك أصدقك؟

فقال معاوية: هل غششتني مذ نصحتني؟ قال: لا، قال: بلى، والله لقد غششتني، أما إنّي لا أقول في كل المواطن ولكن في موطنٍ واحد.

قال: وأي موطن هذا؟ قال معاوية يوم دعاني علي بن أبي طالب للمبارزة فاستشرتك فقلت: ما ترى يا أبا عبد الله؟

فقلت: كفوٌ كريم، فأشرت عليَّ بالمبارزة وأنت تعلم من هوا فعلمت أنك غششتني، قال: يا أمير المؤمنين دعاك رجل إلى مبارزته عظيم الشرف جليل الخطر فكنت من مبارزته على إحدى الحسنيين، إمّا أن تقتل فتكون قد قتلت قتّال الأقران، وتزداد شرفاً إلى شرفك وتخلو بملكك، وإما أن تعجّل إلى مرافقة الشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

قال معاوية: هذه شر من الأولى! والله إنّي لأعلم أنّي لو قتلته دخلت النار، ولو قتلني دخلت النار، قال عمرو: فما حملك على قتاله؟

قال: المُلْكُ عقيم ولن يمنعها منّي أحدٌ بعدك.

واليك حديثاً آخر: حدثنا وكيع عن المسعودي رفعه عن سلمان الفارسي قال: مرّ إبليس لعنه الله بنفر يتناولون أمير المؤمنين فوقف أمامهم، فقال القوم: من الذي وقف أمامنا؟ فقال: أنا أبو مرة، فقالوا: أتسمع كلامنا؟ فقال سوءةً لكم تسبّون مولاكم علي بن أبي طالب!!

فقالوا له من أين علمت أنه مولانا؟ فقال من قول نبيكم ﷺ من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله. فقالوا له أفأنت من شيعته ومواليه؟ فقال: ما أنا من شيعته ولا من مواليه ولكنّي أحبّه، وما يبغضه أحدٌ إلاّ شاركته في المال والولد، فقالوا: يا أبا مرة فتقول في علي شيئاً؟

فقال لهم إسمعوا منّي: معاشر الناكثين والقاسطين والمارقين عبدت الله عزّ وجل في الجان إثنتي عشرة ألف سنة فلمّا أهلك الله الجان شكوت إلى الله الوحدة، فعرج بي إلى السماء الدنيا فعبدت الله في السماء الدنيا إثنتي عشرة ألف سنة أخرى في جملة الملائكة، فبينما

نحن كذلك نسبح الله عزّ وجل ونقدسه إذ مرّ بنا نورٌ شعشعاني فخرّت الملائكة لذلك النور سجّداً فقالوا: سبوح قدوس نور ملك مقرب أو نبي مرسل؟ فإذا النداء من السماء: لا نور ملك مقرب ولا نبي مرسل هذا نور علي بن أبي طالب ﷺ وفي العلل للصدوق: عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال كنا مع رسول الله في منى، إذ بصرنا برجل راكع ساجد ومتضرع، فقلنا يا رسول الله ما أحسن صلاته، فقال: هو الذي أخرج أباكم من الجنة، فمضى إليه علي ﷺ غير مكترث فهزّه هزّةً أدخل أضلاعه اليمنى في اليسرى واليسرى في اليمنى ثم قال: لأقتلنّك إنشاء الله، فقال لن تقدر على ذلك إلى أجل معلوم من عند ربي، ما لك تريد قتلي؟ فوالله ما أبغضك أحدٌ إلاّ سبقت بنطفتي إلى رحم أمه قبل نطفة أبيه، ولقد شاركت ببغضك في الأموال والأولاد، وهو قوله تعالى في محكم كتابه: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [سورة الاسراء، الآية: ٦٤].

قال النبي ﷺ: صدق يا علي لا يبغضك من قريش إلاّ ابن سفاح ولا من الأنصار إلاّ يهودي ولا من العرب إلاّ دعيٌ، ولا من سائر الناس إلاّ شقي ولا من النساء إلاّ سلفلقية، ثم أطرق رأسه ملياً ورفعه فقال:

معاشر الأنصار أعرضوا أولادكم على محبة علي بن أبي طالب قال جابر: فكنا نعرض حبّ عليٍّ على أولادنا فمن أحبّ علياً علمنا أنه من أولادنا ومن أبغض علياً إنتفينا منه.

تعريف الولي والولاية

الولي: على وزن فعيل بمعنى فاعل من ولي: إذا قام بالأمر. قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾. [سورة البقرة، الآية: ٢٥٧].

الولي: على وزن فعيل بمعنى فاعل: هو من توالت طاعته من غير تخلل عصيان، وإذا كان على وزن فعيل بمعنى مفعول كقولك قتيل بمعنى مقتول، معناه: من توالى عليه الإحسان.

الولاية: بمعنى الحكومة له، ومصطلحاً: ثبات حكمه، وتنفيذ القول على الغير شاء الغير أم أبى . .

وتأتي الولاية: بمعنى النصرة، الله الولي: أي الناصر، وحينما تقول ولايتي لأمير المؤمنين عليه السلام، أي نصرتي وبيعتي له، أي ألبيه وأجيب دعوته بلا تردد.

الولاء: حصول الخلاص للولي ولا يشوبها ظنّ أو شبهةٌ أو تردد، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [سورة النساء، الآية: ٥٩]. إطاعة الله سبحانه: عبادته.

إطاعة الرسول: تنزيهه عمّا لا يليق بحضرته، والخضوع له وتنفيذ أمره وسنّته على أنه نور رب العالمين، لا يقول ولا يأتي إلاّ بالحق المبين.

قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٦].

إطاعة أولي الأمر: وهم اهل البيت عليهم السلام فإطاعتهم هو التمسك بهم لأنهم أهل عصمة، أي إنّ الإمامة الحقة والولاية المطلقة للأئمة المعصومين، لأنّهم فرع النبوّة وإمتداد الرسالة، وبهم يعرف المجمل من المفصل، والسورة من الآية والباطن من الظاهر، والحرف من الكلمة.

قال النور السادس الإمام جعفر الصادق عليه السلام: بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وتوفير الفيء والصدقات وإمضاء الحدود والأحكام ومنع الثغور والأطراف ....

في كتاب المناقب: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ لله عموداً من نور يضيء لأهل الجنّة كالشمس لأهل الدنيا لا يناله إلاّ علي وشيعته، وإنّ حلقة باب الجنّة من يا قوتة حمراء طولها خمسون عاماً، صفائحها من ذهب إذا نُقرت طنّت وقالت في طنينها: يا علي.

تعريف الوصي والوصاية

الوصي: على وزن فعيل بمعنى مفعول: أي جعل الرسول صلى الله عليه وآله الوصاية لعلي عليه السلام في حياته وأمام الملأ، قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ [سورة النساء، الآية: ١١]: أي يأمركم... وأوصاني بالصلاة: أمرني بإقامتها.

إصطلاحاً الوصية: تمليك للغير مضاف لما بعد الموت ....

الوصي: هو من أوكل إليه الموصي تنفيذ الوصية.

الوصية: لا تكون إلاّ فيمن اجتمعت فيه الشروط الكاملة لتنطبق على شخصيته. وهي المهمة التي ترعى شؤون الموصى به لقصوره وضعف قدرته أن يقوم بالمهام بنفسه، وأن يتدبر أموره من تلقاء ذاته.

الوصاية: هي تبيين وكشف الوصية على الملأ طبقاً لأوامر الموصي بعد أن يتولى مكان الموصى به.

فالموصي: الرسول صلى الله عليه وآله.

والموصى به: من كتبت الوصية بشأنه لضعف قيامه ما أوصى له.

والموصى له: هو الوصي الكامل الذي يتولى تدبير وشؤون الخلق..

ومفهوم الوصاية لأمير المؤمنين علي عليه السلام وهو ما انفردت به الشيعة الإمامية مادةً وصفةً.

قال علي عليه السلام: لو كانت الإمامة فيهم لم تكن الوصية بهم. وقد انكشفت هذه العبارة حينما وقف الرسول صلى الله عليه وآله في دار الحارث: وقال: أيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصي وخليفتي؟ فأحجم القوم إلا علياً وهو أصغر القوم سناً يومئذ، فأعاد ذلك ثلاثا، كل ذلك يسكت القوم وحيث قام علي وقال: أنا يا رسول الله، فقال: أنت . . .

لقد كان الإمام في العاشرة أو نحوها من عمره، يوم أحاط القوم الفرشبون بالنبي صلى الله عليه وآله يتذرونه ويكرونه، وهو يقلب عينيه في وجوههم ويسأل عن النصير، فإذا بعلي عليه السلام يدوي صوته أمامهم، فلو كان بعليّ أن يراع في مقام نجدة أو مقام عزيمة لارتاع يومئذٍ بين أولئك الشبوخ الأعيان، ولكن علياً كان في طفولته ككينونيته في شبابه، وكيانه في شبخوخيته فما سنُّ العاشر ولا الأربعين ولا الستين تغير من صفته الجوهرية، فما تردد وهم صامتون، مستهزئون بدعوة الرسول وانفراده لا نصير له، وإذ بالصيحة المدوية تغير المعادلة ويخيب رهانهم ويطيش سهمهم: أنا نصيرك يا رسول الله فضحكوا منه ضحك الجهل والإستكبار، وهم يجهلون القدر الذي ينطوي في قدرة علي عليه السلام.

تعريف الخليفة والخلافة:

الخليفة لغة: تأتي على وزن فعيل بمعنى مفعول أي من جعله خليفة بعده، وتأتي على وزن فعيل بمعنى فاعل لأنه خلف من قبله، وعندما نص النبي صلى الله عليه وآله على خلافة علي عليه السلام بقوله: أنت أخي ووصي وخليفتي فتكون الخلافة على جهة التشريف للمستخلف.

وقد صرح أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن بلغته أنباء السقيفة: واعجباً أن تكون الخلافة بالصحابة، ولا تكون بالصحابة والقرابة . . . ، وقال عليه السلام:

كنت في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله كجزء من رسول الله صلى الله عليه وآله، ينظر الي الناس كما ينظر إلى الكوكب في أفق السماء.

فالخلافة لأمير المؤمنين عليه السلام نص من رسول الله صلى الله عليه وآله حينما قال صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه كيفما دار.

الخلافة إذا هي منصب الخليفة الحاكم فلغير أمير المؤمنين عليه السلام هي حكومة سياسية، لأنها من الجمهور وقعت الخلافة، ولأمير المؤمنين عليه السلام خلافة إلهية لأنها نص من الرسول صلى الله عليه وآله والرسول لا ينطق عن الهوى أو يتحرك بالعاطفة، بل بأمر من الله، قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ [سورة: ص، الآية ٢٦].

قال الإمام علي عليه السلام: لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله من هذه الأمة أحد، ولا يسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدين وعماد اليقين، إليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حق الولاية وفيهم الوصاية والوراثة . . .

الولاية التكوينية

الولاية: من تولى الأمر، ومصدر ولي الأمر يعني قام به وملكه، وهي لفظة مشتركة. قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [سورة الكهف، الآية: ٤٤].

الولاية: ثبات الحكم وتنفيذ القول على الغير شاء الغير أم أبى...

أما الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام فهي خاصة له وقد صرح القرآن بذلك وأجمع المفسرون على أنها نزلت في علي عليه السلام حينما تصدق بالخاتم وهو راكع، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٥٥]. وقد جاءت الآية بصيغة الجمع لدلالة التعظيم وكمال صفة الركوع وكمال صفة الزكاة وهذا أمر غامض لاتصل إليه أظيار الأفهام ولا تقترب من حماه صقور الأوهام، فالولاية لله والرسول والإمام، حيث تجري قدرة الولاية تشريفاً بالسنخية لا على نحو الاستقلالية. فهذه الولاية لله والرسول وللإمام، هي التي قال فيها الإمام عليه السلام ظاهري إمامة ووصية وباطني غيب، يفسرها قول الرسول صلى الله عليه وآله: لا يعرف الله إلا أنا وأنت ولا يعرفك إلا الله وأنا ولا يعرفني إلا الله وأنت. (من البحار والمشارق). وهذا المقال كشفته الآية المباركة في حقيقة الولاية التكوينية والولاية التشريعية المتفرعة من ولاية الله ورسوله، وهي (آية الولاية) القدرة التكوينية للإمام التي لابد أن يكون بها منفرداً في جميع الصفات الكمالية والكمالات والفضائل حتى تنقاد له

الخلائق والكائنات، وقد كشف عن هذه المكنونات الصادق عليه السلام قال: اني لأعلم ما في السموات وما في الأرض وأعلم ما في الجنة، وأعلم ما في النار، وأعلم ما يكون وما كان، قال: ثم مكث هنيهة فرأى أن ذلك كبر على من سمعه منه، فقال: علمت ذلك من كتاب الله يقول سبحانه فيه: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة يوسف، الآية: ١١١].

فان كبر هذا الكلام على أحد واستنكره، فهل تستنكر ما قاله عيسى عليه السلام: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٤٩].

بهذا يتضح معنا معنى الولاية التكوينية وهي القدرة على تغيير الشيء من ماهية إلى أخرى أو تحويلها من شيء إلى شيء، فالممكن والممتنع سواة بالذات أو بالصفات غير مستحيل على المعصوم وهذا ما يدخل في باب المعجز والقدرة، فالرسول صلى الله عليه وآله سبحت الحصى بيده وترنم الماء بكفه الشريفة، كما انقلبت عصا موسى أفعى، كما بساط سليمان، والنار المحرقة بما هيتها إلى برد وسلام للخليل، وقد ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام: والله ما خلق الله شيئاً إلا وقد أمره بالطاعة لنا، وقال عليه السلام: إن إماماً لا يكلمه الجماد فليس بإمام، إن الولاية التكوينية والتشريعية ثابتة للأنبياء والمرسلين، والظاهر ثبوت ذلك للأئمة الطاهرين المنصوبين من قبل الله تعالى، فالولاية التشريعية لأمير المؤمنين بمعنى أنه محيط بمجاميع القواعد الدينية وعالم بالقوانين السماوية، وأنه يبين ويشرّع وينسخ ما رآه لمصلحة الأمة، لحملها على دين الله. ومجمل القول أن المعصوم لا يستفيد علماً من أحد إلا من الرسول أو من الإمام الذي سبقه، وهذا حصر في الأئمة المعصومين، فلذلك لهم الولاية التشريعية لقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾. [سورة يس، الآية: ١٢].

إن ما يبرز من صفات الإمام الكمالية كالعلم والقدرة هو لطف بالخلق ليجيبوا داعي الحق، لقوله تعالى: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة الاحقاف، الآية: ٣١].

فحينما يرون معجزته ويراه العالم أنه لا ينقصه شيء ولا يشوبه جهل بل كمال في العلم والقدرة لاثبات الحجة وإقامة البرهان على دعوة النبي صلى الله عليه وآله لقوله صلى الله عليه وآله: اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما.

هذا الحديث الصحيح فيه إجماع بأنه نص صريح على الأئمة المعصومين، فاقتران أهل العصمة بالقرآن الكريم هو اقتران حقيقي من حيث الصفات والوزن الكمالي، فما يوصف ظاهر القرآن هو ثابت في حق الإمام لأنه مفسره وكاشف أسراره ومزيل الريب عن آياته، تدبر هذه الآيات: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [سورة الاسراء، الآية: ٩].

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا﴾ [سورة الكهف، الآية: ٤٩].

قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [سورة الاسراء، الآية: ٨٢].

قال تعالى: وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ)(النمل: ٧٥ وقد أشار إلى هذا المكنون الرسول صلى الله عليه وآله بقوله للإمام علي عليه السلام: أنت مني وأنا منك في سري وعلانيتي، وأنت روحي التي بين جنبي، لحمك لحمي، ودمك دمي، وما أفرغ جبريل في صدري حرفاً إلا وقد أفرغته في جوفك..

تطواء المسافات بتحصن الكثافات

المسافة هي المقدار الكمي الذي يجتازه الجسم وهو ما يعرف بالسرعة، فالزمان هو مقدا ر سرعة الجسم في المكان، وهذا في عصرنا آخذٌ في التطور، فإذا استوت سرعة الجسم مع ثواني الزمان، كان الخرق للعادات والقوانين، وهو المعجزة، مصداقه الآية الكريمة: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [سورة النمل، الآية: ٣٨].

﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [سورة النمل، الآية: ٤٠]. فإذا أيقنت بذلك علمت أنّ النبي والوحي والإمام يتمثل بأي صورة ويظهر عجائب، وعلى هذا من يسلك طريقهم ويأتمر بالأوامر الالهية، إذا تخلص بالرياضات التكليفية من أوساخ ذنوبه ورفع عنه حجب الظلمة يستطيع أن يطوي المسافات ويخفي جاذبية كثافته بتحكيم روحه لطبيعته، وإذا سلك المرء القوانين يستطيع أن ينتقل من مكان إلى أخر بسرعة هائلة، وهذا ما يجري اليوم ونراه من كشوفات جبارة طوت المسافة ووازنت الكتلة والسرعة مع الجاذبية ودخلت في نواميس الطبائع فلا غرابة بعد هذا من هذه الروايات.

عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: إن أمير المؤمنين كان يخرج في كل ليلة جمعة إلى ظاهر المدينة ولا يعلم أحد أين يمضي، فبقي على ذلك برهة من الزمن، فلما كان في بعض الليالي قال عمر بن

الخطاب: لا بد من أن أخرج وأبصر أين يمضي علي بن أبي طالب، قال: فقعد له عند باب المدينة حتى خرج ومضى على عادته فتبعه عمر وكان كلما وضع عليٌ عليه السلام قدمه في موضع وضع عمر قدمه مكانها، فما كان إلا قليلاً حتى وصل إلى بلد عظيمة ذات نخل وشجر وماء غزير؛ ثم إن أمير المؤمنين دخل إلى حديقة فيها ماء جار فتوضأ ووقف بين النخل يصلي إلى أن مضى من الليل أكثره، وأما عمر فإنه نام فلما قضى أمير المؤمنين وطره من الصلاة عاد إلى المدينة حتى وقف خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وصلى معه الفجر، فانتبه عمر فلم يجد أمير المؤمنين في موضعه، فلما أصبح رأى موضعاً لا يعرفه وقوماً لا يعرفهم ولا يعرفونه فوقف على رجل منهم فقال له الرجل: من أنت ومن أين أتيت؟ فقال عمر: من يثرب مدينة رسول الله فقال الرجل: تأمل أمرك وتبصّرْ أي شيء تقول؟ فقال: هذا الذي أقوله لك، قال الرجل: متى خرجت من المدينة؟ قال: البارحة، قال اسكت لا يسمع الناس منك هذا فتقتل أو يقولون هذا مجنون، فقال: الذي أقول حق فقال الرجل حدثني كيف حالك ومجيئك إلى هاهنا؟ قال عمر: كان علي بن أبي طالب في كل ليلة جمعة يخرج من المدينة ولا نعلم أين يمضي فلما كان في هذه الليلة تبعته وقلت أريد أبصر أين يمضي، فوصلنا إلى ها هنا فوقف يصلي ونمت ولا أدري ما صنع!، فقال له الرجل: أدخل هذه المدينة وابصر الناس واقطع أيامك إلى ليلة الجمعة، فما لك من يحملك إلى موضعك الذي جئت منه، إلا الرجل الذي جاء بك إلى هنا فبيننا وبين المدينة أزيد من مسيرة ستين، فإذا رأينا من رآى المدينة ورأى رسول الله تتبرك به ويزوره، وفي الأحيان نرى من أتى بك، فنقول أنت قد جاء بك في بعض ليلة من المدينة، فدخل عمر المدينة فرأى أهلها كلهم يلعنون ظالمي أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله. ويسمونهم واحداً واحداً، وكل صاحب صناعة يقول كذلك وهو على صناعته، فلما سمع عمر ذلك ضاقت عليه

الأرض بما رحبت، وطالت عليه الأيام حتى جاء ليلة الجمعة إلى ذلك المكان فوصل أمير المؤمنين عليه السلام إليه كعادته، فقعد عمر يترقبه حتى مضى معظم الليل وفرغ من صلاته وهمّ بالرجوع فتبعه عمر حتى وصلا الفجر إلى المدينة فدخل أمير المؤمنين المسجد وصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وكذلك عمر أيضاً، ثم التفت النبي إلى عمر وقال: أين كنت أسبوعاً لا نراك عندنا؟ فقال عمر يا رسول الله كان من شأني كذا وكذا وقصّ عليه ما جرى له، فقال النبي صلى الله عليه وآله لا تنسَ ما شاهدت بنظرك فلما سأله عن ذلك، قال: نفذ في سحر بني هاشم. (بحار الأنوار).

هذه الرواية يستوحشها أهل التقصير والمخالف، لأنه لايرى حركة الأجسام ونقلتها إلاّ ضمن الزمان وحدود المكان العائدين قياساً إلى الثقل والجاذبية ضمن التنقل التدريجي شيئا بعد شيء، فلذلك يرميها حملة وتفصيلاً، فلو نظر الإنسان الى نفسه حين المنامات وما يحلم وما يرى من مخاطبة مسافرين في أصقاع الأرض وتسليمه على أمرات ومسايرتهم، وذهابه إلى مدن بعيدة آلاف الكيلومترات، وذلك كله بثواني، لعلم أن هذه النفس مجردة عن المواد الجسمية وأنها تحيط بأخر الزمان وأوله بنظر واحد من غير تدرج وانتقال حسي فيستوي عندها الحال والماضي والمستقبل على حد سواء، لأن وقتها روح هذا الوقت الأرضي، وكذلك الأمكنة بمكّنُها المكان الكلي الذي يمدّ مادة كل المواد علويّها وسفليّها، إذاً المانع من التحكم بالجسم وقوانينه هو الكثافات والأدران المادية وأوساخها فإذا تطهر الجسم من أوساخ المادة بمعونة التأديبات الشرعية وأكل الحلال، فيعتدل مزاجه وتصفو نفسه وتنحو صوب التجرد، حتى تسيطر على زمام الجسد وتتحكم بعناصره، فلا يكون فرق بينه وبين الروح الكلية في السعة والإحاطة، وقد تحدث عن ذلك أمير المؤمنين في الفراسة والمكاشفة، فمن يصل إلى هذه المراتب ويقتحم عقبات الأقفاص فيكون الدخول منه في أسر الحجب

والموانع والخروج منها بإختيار منه، وروي أيضا أنه اجتاز يوماً بيهودي فقال له: يا بن أبي طالب لو أنك تعلمت الفلسفة لكان يكون لك من الشأن؟ فقال عليه السلام: وما تعني بالفلسفة أليس من اعتدل طباعه صفا مزاجه، ومن صفا مزاجه، قوي أثر نفسه فيه، ومن قوي أثر نفسه فيه فقد سما إلى ما يرتقيه، ومن سما إلى ما يرتقيه صار موجوداً بما هو إنسان دون أن يكون موجوداً بما هو حيوان، فقد دخل في باب الملكي الصوري وليس له عن هذه العناية مغير، فقال اليهودي: الله اكبر يا بن أبي طالب لقد تكلمت بالفلسفة جميعها في هذه الكلمات القليلة.

فإذا أيقنت بما أوردناه صحّ عندك خبر الإسراء والمعراج بجسمه وروحه وان لطيف الروح لا تعيقها الحجب والمسافات وثقل المواد، لأنّ اللطيف لا يثقله الوزن لأنه يتكيف بجاذبيته فهي بيده، والعبرة ليست بالكم، وعلى هذا فانّ المعاجز والقدر لها أصل أصيل في خرق العادات والقوانين.

وفي المناقب لإبن أشوب: عن جابر بن عبد الله، قال: صلى بنا أمير المؤمنين صلاة الصبح ثم أقبل علينا فقال: معاشر الناس أعظم الله أجوركم في سلمان! فقالوا في ذلك، فلبس عمامة رسول الله ودرعه وأخذ قضيبه وسيفه وركب على العضباء وقال لقنبر: عدَّ عشراً، قال ففعلت فإذا نحن على باب سلمان، قال زادان: فلما أدركت سلمان الوفاة قلت له: من المغسل لك؟ قال: من غسّل رسول الله، فقلت: إنك بالمدائن وهو بالمدينة. فقال: يا زادان إذا شددت لحيتي تسمع الوجبة فلما شددت لحيته سمعت الوجبة وأدركت الباب فإذا أنا بأمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا زادان قضى أبو عبد الله سلمان؟ قلت نعم يا سيدي فدخل وكشف الرداء عن وجهه فتبسم سلمان إلى أمير المؤمنين فقال له: مرحباً يا أبا عبد الله إذا لقيت رسول الله فقل له ما مرّ على أخيك من فومك. ثم أخذ في تجهيزه فلما صلى عليه كنا نسمع من أمير

المؤمنين تكبيراً شديداً وكنت رأيت معه رجلين، فقال أحدهما جعفر أخي والآخر الخضر عليه السلام ومع كل واحد منهما صفاً من الملائكة في كل صف الف الف ملك.

وهذا الخبر من الغرائب التي يصعب تصديقها على من لايعرف منزلة الإمام وما أوتي من رب العالمين، ففي الحديث القدسي: ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ليس لله آية أكبر مني ولا نبأ أعظم مني.

هذا المقام حاصل للأنبياء والأئمة المعصومين من البدو، لأن النبوة والوصية ليست من الأمور الكسبية وكذا لوازمها من التصرفات المذكورة بخلاف سائر الخلق فإنه فيهم كسبي وتحصيلي يتوقف على استعمال الرياضات الروحية والجد والإجتهادات الموظفة من أصحاب الشرائع. وعلى هذا المفهوم نبني: أنه إذا شاء الإمام سار في لمحة من المشرق إلى المغرب، وإذا شاء امتدّ حتى بلغ عنان السماء، وإذا شاء صعد إلى الأفاق وإذا شاء نزل في عمق الأرض، وإذا شاء مدّ رجله ويده حتى تبلغ المشرق والمغرب، وكل ما مرّ معنا من معاجز وقدر بصور متنوعة لم يمنعه حجاب مضروب ولا حاجب رادع، لأن تلك الحجب والأسداد مضروبة لعالمنا العيني الجسماني الذي هو تحت عالم الملكوت، وإذا تبين معنا عالم الملك الخاضع لعالم الملكوت والذي يمده بغيبه وهو مادته المادة، فاعلم أن المتصل به يتلطف جسمه بمعونته فلا تعيقه الأعراض، ويسهل خلعها لأنها تابعة لأصل الجسم، وعلى هذا فالأئمة يتقيدون بالحدود ولا تقيدهم الأجسام، لذلك لهم الحضور أنّى شاءوا، ومن يستوحش هذا؟ نحيله إلى سيرة الملاك جبريل كيف كان يظهر بصورة رجل اسمه دحية وكان الصحابة يرونه ويسمعون أحاديثه وسلامه، وجبريل لو شاء ملأ الخافقين، ولو شاء جبريل أن يدخل سم الخياط وأصغر من ذلك، وهذا ما يعرف بالقبض والبسط الصوري

والإمتداد الظلي الذي هو ظاهر العالم المثالي، وإذا أدركت ذلك تبين معنا بالجملة كيف تعانق أمير المؤمنين والرسول وصارا هيكلاً واحداً، ثم عادا عددين وهذا ما يدل على أن الإمام يتصرف بإعجاز في الهيولى وصورها وقد يتصرف بالمسافة بين المكانين بمقدار مايطوي أو ينشر، ثم يعيدها كلمح البصر. كل ذلك لإشراق الكلمة الإلهية به، بحيث صارت المادة الهيولية الأرضية والهياكل الكونية مطواعية للروح القوية، والإرادة لكون المعصوم والنبي شرّف بالهوية المثالية الصادرة عن القدرة الأحدية، لذلك لا ترى المثال الربوبي إلاّ في هويتهم التي التهمت العمق الأكبر، واذا تأملت في الأجرام السماوية والكم الهائل لها مع سرعتها في الثانية، لهان عليك التصديق والتسليم لمعاجز الإمام عليه السلام إذ مدّ رجله إلى قصر الشام ونتف من شارب معاوية بيده، وكل هذا دليله أن الإمام يتحكم بالأجسام المركبة من هيولى وصورة بتلطيفها وتكثيفها، وهذا ما أشار إليه أبو جعفرالباقر عليه السلام لأسود بن سعيد: إنّ بيننا وبين كل أرض نرّاً مثل نرّ البناء، فإذا أمرنا في الأرض بأمرٍ جذبنا ذلك النرّ فأقبلت الأرض بقلبها وأسواقها ودورها حتى تنفذ فيها ما نؤمر من الله تعالى.

في الحديث القدسي: مازال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته، وإن سكت عني إبتدأته الحديث. وقال سبحانه: يا ابن آدم أطعني أجعلك مثلي أنا أقول للشيء كن فيكون وأنت تقول للشيء كن فيكون.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: خلق الإنسان ذا نفس ناطقة إن زكاها بالعلم والعمل فقد شابهت جواهر العلل الأوائل، وإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شاركت بها السبع الشداد.

بيان في هذه الجامعة: الأصل في خلقة النفس النطق (الوعي

والقدرة والإرادة) والنفس هي أثر من المؤثر فيها، وكل أثر من ظل مؤثره يشابهه من هذه الجهة، والنفوس خلقت من ظل صفة الربوبية والمظاهر الإسمية فهي تشابهها في الصفة وتحكي مثالها بالفطرة، فالنفوس التي قعدت أثناء النداء والرشّ العام، استلبست سديم الغبار التنازلي، فهذه حكايتها لزوم جهة الإنية التي لايخلو منها ممزوج، وقس على ذلك، ومقتضياتها من الأمور الدنية الخسيسة المبعدة لها عن المبدئ الحق، التي أشغلتها ظلمة الهيولى، فأسقطت رياشها التي تطير بها إلى عالم الخلاص، فاستبدلت بالأرياش التراكيب والأرحام المظلمة الواصمة لها بوصمة الجهل والضعف والتقصير والعجز، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [سورة التوبة، الآية: ٣] فخلاص السجائن هو بالإدبار عن الدنايا والخروج من ربق الإنية الكدرة إلى طاعة الله بالتكليف والرياضة الروحية والأخلاق الرضية والحسنات الشرعية، وعنده تصفو مرآة النفس من الكدورات الخسيسة، فتطهر بماء السماء المتشاكهة والمشبوبة من خبث مجاورة الأضداد، واللزّ بماهيتهم. لقوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النور].

العلم من ماهية أمير المؤمنين

قال رسول الله ﷺ: أعلم أمتي من بعدي علي بن أبي طالب.

قال إبن عباس: قال ﷺ: علي بن أبي طالب أعلم أمتي وأقضاهم فيما اختلفوا فيه من بعدي. قال الحسن بن علي: قال ﷺ: علي أعلم الناس بالله والناس.

قال رسول الله ﷺ: أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب. وفي تذكر الخواص قال ﷺ: أنا مدينة الفقه وعلي بابها.

قال علي عليه السلام: والله لو سألني الخلق كلهم ما دمت حياً لم أتبرم، ولأجبت كل واحد منهم بجواب غير جواب الأخر إلى آخر الدهر.

قال الإمام: إني ولدت على الفطرة، وسبقت إلى الإيمان والهجرة.

وقال: بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطويّ البعيدة.

فلا نذهب بعيداً إذا قلنا العلم من ماهية أمير المؤمنين لأنه لو لم يكن موصوفاً بهذا الوصف لكان جاهلاً ثم اكتسب العلم، ومن سكنه الجهل الذي هو مجمع النقائص، فلا يصلح أن يكون موقعاً للعصمة والنص الإلهي على إمامته وخلافته، ولأن العلم الكسبي يزداد وينتاقص مع الزمان وأمير المؤمنين بخلاف ذلك من نقائص كالجهل والتعلم

الإستدراجي، وهذا ما يفسر معنى قول الرسول ﷺ: أنا مدينة العلم وعلي بابها.

ويكشف عن قوله ولدت على الفطرة، فالعلم من لوازم الفطرة، التي هي مورد تعلق الكمالات، كما الجهل مورد نفورها وهذا ظاهر في نفور البشر من العشق الإلهي، وليس من جهة العلوم الجزئية، والمادة المنسخة المتعفنة التي هي أخس موجود.

وفي خصائص الأئمة ـ قال كعب الأحبار: أخبرني يا أبا الحسن عمّن لا أب له؟ وعمن لا عشيرة له .؟ وعمن لا قبلة له؟

قال: أما من لا أب له فعيسى ﷺ، وأما من لا عشيرة له فآدم ﷺ وأما من لا قبلة له فهو البيت الحرام إذ هو قبلة ولا قبلة له.

هات يا كعب فقال: أخبرني يا أبا الحسن عن ثلاثة أشياء لم ترتكض في رحم ولم تخرج من بدن؟

فقال ﷺ: هي عصا موسى، وناقة صالح، وكبش ابراهيم.

ثم قال: هات يا كعب: فقال يا أبا الحسن: بقيت خصلة، فإن أنت أخبرتني بها فأنت أنت! قال: هلمّها يا كعب.

قال: قبرٌ سار بصاحبه؟

قال: ذلك يونس بن متى إذ سجنه الله في بطن الحوت.

وفي تذكرة الخواص: عن سعيد بن المسيب:

كتب ملك الروم إلى عمر: أما بعد، فإني مسائلك عن مسائل، فأخبرني عنها: ما شيء لم يخلقه الله؟ وما شيء لا يعلمه الله؟...

فقرأ عليٌّ الكتاب، وكتب في الحال خلفه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما الذي لا يعلمه الله فقولكم: له ولد وصاحبة وشريك، وما اتخذ الله من ولد، سبحانه عما يقولون.

وأما الذي ليس عند الله: فالظلم. وما ربك بظلام للعبيد.

وأما الذي كله فم: فالنار تأكل ما يلقى فيها.

وأما الذي كله رِجْلٌ: فالماء.

وأما الذي كله عين: فالشمس

وأما الذي كله جناح: فالريح

وأما الذي لا عشيرة له: فآدم ﷺ

وأما الذين لم يحمل بهم رحم: فعصا موسى (لأنها صارت حية واحياناً ثعباناً)، وكبش ابراهيم، وآدم، وحواء.

وأما الذي يتنفس من غير روح: فالصبح، لقوله تعالى: والصبح إذا تنفس.

وأما الظاعن ـ أي الذي ذهب وسار ـ فطور سيناء، ولما عصت بنو إسرائيل وكان بينه وبين الأرض المقدسة أيام، فقلع الله منه قطعة وجعل لها جناحين من نور، فنتقه عليهم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٧١].

وقال لنبي إسرائيل: ﴿إِن لَّمْ تُؤْمِنُوا﴾ وإلا أوقعته عليكم فلما تابوا رده إلى مكانه. وأما المكان الذي لم تطلع عليه الشمس إلا مرة واحدة، فأرض البحر لما فلقه الله لموسى ﷺ .وقام الماء أمثال الجبال، ويبست الأرض بطلوع الشمس عليها. ثم عاد ماء البحر إلى مكانه.

وأما الشجرة التي يسير الراكب في ظلها مائة عام: فشجرة طوبى، وهي سدرة المنتهى في السماء السابعة إليها ينتهي أعمال بني آدم. وهي من أشجار الجنة، ليس في الجنة قصر ولا بيت إلا وفيه غصنٌ من أغصانها. ومثلها في الدنيا الشمس أصلها واحد وضوءها في كل مكان.

وأما الشجرة التي نبتت من غير ماء: فشجرة يونس، وكان ذلك معجزة له، لقوله تعالى: ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾ [سورة الصافات، الآية: ١٤٦].

وأما غذاء أهل الجنة وأين تذهب فضلتهم: فمثلهم كالجنين في بطن أمه، فإنه يغتذي من سُرتها ولا يبول ولا يتغوّط.

وأما الألوان في القصعة الواحدة: فمثله في الدنيا البيضة فيها لونان أبيض وأصفر ولا يختلطان. وأما الجارية التي تخرج من التفاحة: فمثلها في الدنيا الدودة تخرج من التفاحة ولا تتغيّر.

وأما الجارية التي تكون بين اثنين: النخلة التي تكون في الدنيا لمؤمن مثلي ولكافر مثلك وهي لي في الآخرة دونك، لأنها في الجنة وأنت لا تدخلها، وأما مفاتيح الجنة: فلا إله إلا الله محمد رسول الله، وقال ابن المسيب:

فلما قرأ قيصر الكتاب قال: ما خرج هذا الكلام إلا من بيت النبوّة.

وهذا الخبر رواه الحسن البصري: أن الخضر لما التقى موسى وكان بينهما ما كان، جاء عصفور فأخذ قطرة من البحر فوضعها على يد موسى فقال: ما هذا؟ قال الخضر: يقول ما علمنا وعلم سائر الأولين والآخرين في علم وصي النبي الأمي إلا كهذه القطرة في هذا البحر.

هذا المفهوم الحقيقي للإمام عليه السلام يجعلنا نعترف ونقر بأن أمير

المؤمنين عليه السلام لا يجهل شيئاً من سائر العلوم ولا يخفى عليه سؤال ولا يعجزه جواب مسألة.

ومن ذلك أن ابن الكوا قدم إلى أمير المؤمنين وهو يخطب،

فسأله: اني وطأت على دجاجة ميتة فخرجت منها بيضة فأكلها؟ قال: لا، قال: فان استفرختها فخرج منها فروج فأكلها؟ فقال: نعم. فقال: كيف ذاك؟ فقال: لأنه حي خرج من ميت. وتلك ميتة خرجت من ميت.

وقال رجل للإمام الصادق عليه السلام: أخبرني لماذا رفع النبي علياً على كتفه؟ قال: ليتعرف الناس مقامه ورفعته. فقال: زدني يا ابن رسول الله؟ فقال: ليعلم الناس أنه أحق بمقام رسول الله. فقال: زدني؟ فقال: ليعلم الناس أنه الإمام والعلم المرفوع. فقال: زدني، فقال: هيهات والله لو أخبرتك بكنه ذلك لقمت عني وأنت تقول إن جعفر بن محمد كاذب في قوله أو مجنون.

وقد وردت في كتب السير ومجاميع الأخبار عبارة بأنه آية الجبار وصاحب الأسرار. وقد ورد انه شرح لابن عباس في ليلة واحدة حتى طفأ مصباحها صباحها، في شرح الباء من بسم الله، ولم يتحول إلى السين، وقال: لو شئت لأوقرت أربعين بعيراً من شرح بسم الله الرحمن الرحيم.

قال الصادق عليه السلام: إن أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل، أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان. (بصائر الدرجات). هذا الحديث يصعب على القالي والمقصر أن يستسيغه لأنه أجاج، إمّا أن يرى فيه من جملة الأساطير أو يقول من وضع الغلاة، وكل ذلك تبريراً لقياسه وليرفع عن نفسه التباسه وهي المحنة التي افتتن بها الناس، وأما الذين اطمأنت قلوبهم يرون في ذلك تسليماً لأهل البيت

النبوي وسدنة الرسالة الذين هم حجة الله ونوره في البلاد والعباد.

يؤيد ذلك ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سئل: هل رأيت في الدنيا رجلاً؟ فقال: رأيت رجلاً وأنا إلى الآن أسأل عنه، فقلت له: من أنت؟

فقال: أنا الطين. فقلت: من أين؟ فقال: من الطين. فقلت: إلى أين؟ فقال: إلى الطين. فقلت: من أنا؟ فقال: أبو تراب. فقلت: أنا أنت، فقال: حاشاك، حاشاك، هذا من الدين في الدين، أنا أنا، وأنا: أنا ذات الذوات، والذات في الذوات الذات. فقال: عرفت. فقلت نعم. فقال: فأمسك . . .

إن حياة الناس لا تتوقف عند هذا الجسد وسلامة البطون والمجيء والرواح، بل تتوقف على حركة الروح علماً ومعرفةً وتفقهاً، وما وراء هذا النشاط الروحي تبرزه التساؤلات وما يختلج في النفوس ويحيك في الصدور، وكان أمير المؤمنين عليه السلام هو المطلوب في ذلك والمقصود في كل الحوائج. وروي أن رجلاً سأله: فما القضاء والقدر الذي ذكرته يا أمير المؤمنين؟ قال: الأمر بالطاعة، والنهي عن المعصية، والتمكين من فعل الحسنة وترك المعصية، والمعونة على القربة إليه، والخذلان لمن عصاه، والوعد والوعيد، والترغيب والترهيب كل ذلك قضاء الله في أفعالنا، وقدرة لأعمالنا، وأما غير ذلك فلا تظنه فان الظن له محبط للأعمال. فقال الرجل. فرجت عني يا أمير المؤمنين فرج الله عنك.

قام إلى أمير المؤمنين رجلٌ ممن كان شهد معه الجمل فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن القدر؟ قال: بحرٌ عميقٌ فلا تلجه، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن القدر؟ فقال: سرّ الله فلا تتكلفه، قال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن القدر؟ قال: أما إذا أبيت فإنّه أمرٌ بين أمرين، لا جبر ولا تفويض.

وسئل عن القضاء والقدر: قال القضاء والقدر طريقٌ مظلمٌ فلا تسلكوه، وبحرٌ عميقٌ فلا تلجوه، وسرّ الله فلا تتكلّفوه.

فللقضاء والقدر معانٍ متباينة ومترادفة، فتطلق على الإيجاد والخلق وتأتي بمعنى الحكم والقانون، كما أنّ القضاء يأتي بمعنى تمام الحكم في الإيجاب (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم)، ولكن الإنسان بسوء تقديره وسوء إدارته صار أسفل سافلين، وهو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾، وتأتي القدر بمعنى المقادير وتحديد الأجسام، أما إذا تعلق القضاء والقدر بالأفعال بمعنى الآجال والأرزاق والحرمان، وو. بمعنى بيّنها وقدّرها وكتبها لا على جهة الجبر، وأعلم سبحانه بأنهم سيفعلون بإرادتهم، فهذا معناه وجوب الرضا بقضاء الله وقدره، وعلى هذا تحمل الاسماء الحسنى (الضارّ، النافع)، وعلى هذا يجري الكلام ونصرّفه بأن علم الله فينا لا يلزم أفعالنا جبريّاً، بل تبقى إختيارية، فالإنسان يختار الطريق: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾.

فتبصّر يا أخي بلفظة (إمّا) التي هي بمعنى التفصيل والخيرة من أمرك، لأنّك أنت تفصّل ثوبك بيديك لتلبسه وتتزين به، أو تعيّب به.

و لما سأل الشامي مولانا عليه السلام أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله وقدر؟ قال: ويحك لعلّك ظننت قضاء لازماً وقدراً حاتماً؟ ولو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد، إن الله أمر عباده تخييراً ونهاهم تحذيراً، وكلّف يسيراً، ولم يكلّف عسيراً، وأعطى على القليل كثيراً، ولم يُعص مغلوباً ولم يُطع مكرهاً، ولم يرسل الأنبياء لعباً، ولم ينزل الكتاب عبثاً، ولا خلق السموات والأرض، وما بينهما باطلاً. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [سورة ص، الآية: ٢٧].

وروي أنه سئل عن القضاء والقدر فقال: لا تقولوا: وكلهم الله

على أنفسهم فتوهنوه، ولا تقولوا أجبرهم على المعاصي فتظلموه، ولكن قولوا: الخير بتوفيق الله، والشر بخذلان الله، وكل سابق في علمه سبحانه.

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: جاء حبر من الأحبار إلى أمير المؤمنين فقال: يا أمير المؤمنين متى كان ربك؟ فقال له: ثكلتك أمك ومتى لم يكن حتى يقال: متى كان؟!! كان ربي قبل القبل بلا قبل، وبعد البعد بلا بعد، ولا غاية ولا منتهى لغايته، انقطعت الغايات عنده فهو منتهى كل غاية.

فقال: يا أمير المؤمنين أفنبي أنت؟ فقال: ويلك إنما أنا عبد من عبيد محمد.

ومن ذلك فقد جاء بعض الزنادقة إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقال له: لو لا ما في القرآن من الاختلاف والتناقض لدخلت في دينكم؟ فقال له عليه السلام: وما هو؟ قال: قوله تعالى: نسوا الله فنسيهم. وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٥١].

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [سورة مريم، الآية: ٦٤].

فقال له الإمام عليه السلام: فأما قوله تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾. إنما يعني نسوا الله في دار الدنيا مالم يعملوا بطاعته فنسيهم في الآخرة أي لم يجعل لهم من ثوابه شيئاً، فصاروا منسيين من الخير، وكذلك تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [سورة سورة لأعراف، الآية: ٥١] يعني بالنسيان: أنه لم يثبهم كما يثيب أولياءه، والذين كانوا في دار الدنيا مطيعين ذاكرين حين آمنوا به وبرسوله وخافوه بالغيب. وأما قوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [سورة مريم، الآية: ٦٤]. فان ربك تبارك وتعالى علواً كبيراً ليس بالذي ينسى ولا

يغفل، بل هو الحفيظ العليم، وتقول العرب: نسينا فلان فلا يذكرنا: أي انه لا يأمر لهم بخير ولا يذكرهم به. وهذه الرواية تحملك على الاطمئنان بأن علم الإمام من ماهيته. والدليل على صحة قولنا هذا:

عن زيد بن حبيش قال: جلس إثنان يتغديان ومع أحدهما خمسة أرغفة والآخر ثلاثة وجلس إليهما ثالث واستأذنهما في أن يصيب من طعامهما فأذنا له فأكلوا على السواء، ثم ألقى إليهما ثمانية دراهم، وقال: هذا عوض ما أكلت من طعامكما فتنازعا في قسمتها، فقال صاحب الخمسة: لي خمسة ولك ثلاثة. وقال صاحب الثلاثة بل نقسمها على السواء، فترافعا إلى علي عليه السلام فقال لصاحب الثلاثة: إقبل من صاحبك ما عرض عليك، فأبى، وقال مولانا: ما أريد إلاّ مرّ الحق فقال: لك في مر الحق درهم واحد، وله سبعة، قال: وكيف ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: لأنّ الثمانية أربعة وعشرون ثلثا لصاحب الخمسة خمسة عشرة ولك تسعة وقد استويتم في الأكل فأكلت ثمانية وبقي لك واحد وأكل صاحبك ثمانية وبقي له سبعة وأكل الثالث ثمانية، سبعة لصاحبك وواحد لك.

دليل آخر:

كان رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً والى جانبه جبريل فدخل عليهما أمير المؤمنين عليه السلام فقام جبريل عليه السلام احتراماً له فقال له الرسول صلى الله عليه وآله: أتقف له؟ قال: نعم، فان له حق التعليم عليّ.

فقال النبي وكيف ذلك؟ فقال: لما خلقني الله تبارك وتعالى قال لي: من أنت وما اسمك ومن أنا وما اسمي؟ فتحيرت وسكت، حتى جاءني هذا الشاب من عالم الأنوار فقال لي: قل أنت ربي الجليل وأنا العبد الذليل واسمي جبرائيل، فقال النبي صلى الله عليه وآله وكم عمرك يا جبريل؟

فقال: يوجد نجم من أعلى العرش يطلع كل ثلاثين ألف عام مرة واحد، وقد رأيته ثلاثين ألف مرة.

إن العلم الكلي عند أمير المؤمنين عليه السلام يحتوي كل ما عند الناس، ويبرز أسرارهم ومكنونا تهم ولذلك ترى الإمام عليه السلام يحمل كلام القائل على دينه واعتقاده، وهذا ما أقر له كل الناس. فمن ذلك: دخل رجل مسجد النبي في أيام خلافة أبي بكر فقال: إني لا أخاف الله ولا أرجو الجنة ولا أخاف النار، ولا أركع، ولا أسجد في صلاتي، وآكل الميتة وأحب الفتنة، وأؤمن بما لم أره، وأصدق اليهود والنصارى ولي ما ليس لله، أيها الناس: أنا أحمد وأنا علي وأنا ربكم!! فقال عمر: اضربوا رأسه فقد كفر، فقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: اسكت يا عمر فهذا رجل مؤمن وما يقوله حق، فأما قوله: اني لا أخاف الله يعني لا يخاف ظلمه، لأنه عادل فلم يخف من العادل. وأما قوله لا أرجو الجنة لأنه يرجو الله تعالى، وأما قوله لا أخاف النار، لأن أمر جهنم بيد الله تعالى. وأما قوله لا أركع ولا أسجد في صلاتي فذلك في صلاة الميت، وأما قوله آكل لحم الميتة فذلك السمك والجراد، وأما قوله أحب الفتنة فذلك قوله تعالى: انما أموالكم وأولادكم فتنة». فهو يحب أولاده، وأما قوله: أؤمن وأشهد بما لم أره يعني يشهد بأن الجنة والنار حق وأنهما موجودتان، ولا يراهما. وأما قوله يصدق اليهود والنصارى ودلك تصديق قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١١٣]. فهو يصدق النصارى بأن اليهود ليسوا على شيء ويصدق اليهود بأن النصارى ليسوا على شيء. وأما قوله أنا أحمد يعني يثني ويحمد، وأما قوله أنا علي، يعني أنا على أعلى رتبة في عقائدي وأما قوله أنا ربكم: يعني أنا صاحبكم وأخوكم، لأن لفظة (الرب) تعني الصاحب والأخ، فقال عمر: يا علي أنت حلال ما أشكل علينا وأنت تميز الحق من الباطل لا أبقاني الله بعدك.

قدم جاثليق النصارى بصحبة مائة من قومه، فسأل أبا بكر أسئلة، فدعا علياً عليه السلام فأجابه عنها، ومن جملتها هذا السؤال. قال الجاثليق: أخبرني عن وجه الرب تبارك وتعالى؟ فدعا الإمام علي عليه السلام بنار وحطب وأضرمها، فلما اشتعلت قال: أين وجه هذه النار؟قال الجاثليق: هي وجه من جميع حدودها، فقال علي عليه السلام: هذه النار مدبرة مصنوعة، لا يعرف وجهها، وخالقها لا يشبهها، ولله المشرق والمغرب، فأينما تولوا فثم وجه الله، لا تخفى على ربنا خافية.

وجاء في حديث المؤاخاة. أن رسول الله ترك علياً ولم يؤاخ بينه وبين أحد، فقال له يا رسول الله: آخيت بين الناس وتركتني. قال صلى الله عليه وآله: والذي بعثني بالحق ما أخرتك إلا لنفسي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي وأنت أخي ووارثي، قال: وما أرث منك يا رسول الله؟

قال: ما ورث الأنبياء من قبلي، قال: وما ورث الأنبياء قبلك؟

قال: كتاب ربهم وسنة نبيهم وأنت معي في قصري في الجنة مع فاطمة ابنتي، ثم تلا رسول الله إخواناً على سرر متقابلين.

وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذا الإرث العلمي من النبوة. إذ قال عليه السلام لكميل بن زياد: إن هاهنا لعلماً جماً. (وأشار بيده إلى صدره) لو أصبت له حملة، بلى أصبت لقناً غير مأمون عليه مستعملاً آلة الدين للدنيا، ومستظهراً بنعم الله على عباده وبحججه على أوليائه. إن مقام الإمام علي عليه السلام قد أشار إليه الرسول صلى الله عليه وآله كثيراً، إذ قال: مثله كمثل بيت الله يزار ولا يزور، ومثله كمثل القمر إذا طلع أضاء الظلمة، ومثله كمثل الشمس إذا طلعت أنارت الدنيا..

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: سلوني عن أسرار الغيوب فإني وارث علوم الأنبياء والمرسلين.

قال له بعض أصحابه: لقد أعطيت علم الغيب يا أمير المؤمنين! فضحك ﷺ، وقال للرجل وكان كلبياً: يا أخا كليب ليس هو بعلم الغيب، إنما هو تعلم من ذي علم، وإنما علم الغيب: علم الساعة، وما عدده الله سبحانه فهذا علم الغيب الذي لايعلمه أحد إلا الله، وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيه فعلمنيه، ودعا لي بأن يعيه صدري، وتضطم عليه جوانحي.

وقال عن مدى علمه بالمغيبات: والله لو شئت أن أخبر كل رجلٍ منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت.

سئل عن العالم العلوي فقال: صور بريئة من المواد، خالية من القوى والاستعداد تجلى لها فأشرقت وطالعها بنوره فتلألأت، فألقى في هويتها مثاله وأظهر عنها أفعاله. وخلق الإنسان ذا نفس نا طقة إن زكاها بالعلم والعمل فقد شابهت جواهر أوائل عللها وإذا إعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شاركت بها السبع الشداد.

قال ابن أبي الحديد في شرحه: إن علياً أبو علم الكلام في الإسلام، فواصل بن عطاء كبير علماء المعتزلة تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وأبو هاشم تلميذ أبيه وأبوه تلميذ علي بن أبي طالب (رضي)

وأما الأشاعرة فإنهم ينتمون إلى أبي الحسن علي بن أبي الحسن علي بن بشر الأشعري وهو تلميذ أبي علي الجبائي، وأبو علي الجبائي أحد مشايخ المعتزلة الذين علمهم واصل بن عطاء.

أما الفقه فإمامه الأكبر ابو حنيفة قرأ على جعفر الصادق حتى ينتهي الأمر إلى علي ﷺ. وقد قرأ مالك بن أنس على ربيعة الرأي، وقرأ ربيعة على عكرمة وقرأ عكرمة على عبد الله بن عباس وقرأ إبن عباس على علي(رضي) وقيل لابن عباس: أين علمك من علم إبن

عمك؟ فقال: كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط.

وقد تواتر أن أبا الأسود الدؤلي شكا شيوع اللحن على ألسنة العرب إلى الإمام فقال له: اكتب ما أملي عليك، ثم أملاه أصولاً، منها: أن كلام العرب يتألف من اسم وفعل وحرف، فالإسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس بإسم ولا فعل، وإن الأشياء ثلاثة: ظاهر ومضمر، وشيء ليس بظاهر ولاً مضمر وإنما تتفاوت العلماء في معرفة ما ليس بظاهر ولا مضمر - يعني اسم الإشارة على قول بعض النحاة - ثم قال لأبي الأسود: أنحُ هذا النحو يا أبا الأسود ...

فعرف العلم باسم النحو من يومها، وبهذا نجد الكثير من أصحاب الطرائق والحقائق وعلماء الأصول وأرباب الفقه وصناع الكلام وفنون الآداب والتصوف، تنتهي بغايتها إلى أمير المؤمنين علي ﷺ.

وقيل إن المتنبي سئل لماذا لا تمدح أمير المؤمنين علياً ﷺ فأجاب:

وكتمت مدحي للوصي تعمداً ... إذ كان نوراً مستطيلاً شا ملا
واذا استطال الشيء قام بنفسه ... وصفاتُ نور الشمس تذهب باطلا

معرفة أمير المؤمنين بالنورانية

قال روى محمد بن صدقة، أنه سأل أبو ذر الغفاري سلمان الفارسي ، فقال: يا أبا عبد الله، ما معرفة أمير المؤمنين عليه السلام بالنورانية؟

قال: يا جندب فامضِ بنا حتى نسأله عن ذلك. قال: فاتيناه فلم نجده قال: فانتظرناه حتى جاء. قال صلوات الله عليه: ما جاء بكما؟ قالا: جئناك يا أمير المؤمنين نسألك عن معرفتك بالنورانية.

قال عليه السلام: مرحباً بكما من وليين متعاهدين لدينهما لستما بمقصرين، لعمري إن ذلك الواجب على كل مؤمن، ثم قال عليه السلام: يا سلمان ويا جندب، قالا: لبيك يا أمير المؤمنين.

قال: إنه لا يستكمل أحد الايمان حتى يعرفني كنه معرفتي بالنورانية، فاذا عرفني بهذه المعرفة امتحن الله قلبه للإيمان، وشرح صدره للإسلام، وصار عارفاً مستبصراً، ومن قصر عن معرفة ذلك، فهو شاك مرتاب. يا سلمان ويا جندب، قالا: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: معرفتي بالنورانية معرفة الله ، ومعرفة الله معرفتي بالنورانية، وهو الدين الخالص الذي قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [سورة البينة، الآية: ٥].

يقول ما امروا إلا بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وهو دين الحنفية المحمدية السمحة، وقوله ويقيموا الصلاة، فمن أقام ولايتي فقد أقام الصلاة، وإقامة ولايتي صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب، أو نبي

مرسل، أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، فالملك إذا لم يكن مقرباً لم يحتمله، والنبي إذا لم يكن مرسلاً لم يحتمله، والمؤمن إذا لم يكن ممتحناً لم يحتمله.

قلت: يا أمير المؤمنين من المؤمن، وما نهايته، وما حدّه حتى أعرفه؟

قال عليه السلام: يا أبا عبد الله، قلت: لبيك يا أخا رسول الله.

قال: المؤمن الممتحن هو الذي لا يرد من أمرنا إليه شيء إلا شرح الله صدره لقبوله، ولم يشك ولم يرتد، اعلم يا أبا ذر: أنا عبد الله، وخليفته على عباده، لا تجعلونا أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم، فإنكم لا تبلغون كنه ما فينا، ولا نهايته، فإن الله قد أعطانا أكبر وأعظم ممّا يصفه واصفكم، أو يخطر على قلب أحدكم، فإذا عرفتمونا فأنتم المؤمنون.

قال سلمان، قلت: يا أخا رسول الله، ومن أقام ولايتك أقام الصلاة؟ قال: نعم يا سلمان، تصديق ذلك قوله تعالى في كتاب العزيز: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾؛ فالصبر رسول الله عليه السلام والصلاة: إقامة ولايتي، فمنها قال الله تعالى، وإنها لكبيرة، ولم يقل وإنهما لكبيرة، لأن الولاية كبير حملها إلاّ على الخاشعين، والخاشعون هم الشيعة المستبصرون، وذلك لأن أهل الاقاويل من المرجئة والقدرية والخوارج وغيرهم من الناصبة يقولون لمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوة ليس بينهم خلاف وهم مختلفون في ولايتي منكرون لذلك جاحدون بها إلا القليل وهم الذين وصفهم الله في كتابه العزيز، فقال: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾. وقال تعالى في موضع آخر في كتابه العزيز في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وفي ولايتي ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾، فالقصر محمد صلى الله عليه وآله والبئر المعطلة ولايتي، عطلوها وجحدوها ومن لم

يقر بولايتي لم ينفعه الاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وآله لأنهما مقرونان وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله نبي مرسل وهو إمام الخلق، وعلي من بعده وصيه وإمام الخلق، كما قال له النبي: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي وأولنا محمد وأوسطنا محمد وآخرنا محمد، فمن استكمل معرفتي فهو على الدين القيم، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [سورة البينة، الآية: ٥] وسأبين ذلك بعون الله وتوفيقه.

يا سلمان ويا جندب، قالا: لبيك يا أمير المؤمنين، قال كنت أنا ومحمد نوراً واحداً من نور الله فأمر الله تبارك وتعالى ذلك النور أن ينشق فقال للنصف كن محمداً، وللنصف كن علياً ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني إلاّ علي، وقد وجه أبا بكر ببراءة إلى مكة فنزل جبرئيل، فقال: يا محمد، قال: لبيك، قال: إن الله يأمرك أن تؤدي أنت أو رجل منك، فوجهني في استرداد أبي بكر فرددته فوجد في نفسه وقال: يا رسول الله، أنزل فيّ قرآن؟ قال: لا ولكن لا يؤدي عني إلا علي.

يا سلمان ويا جندي، قالا: لبيك يا أخا رسول الله، قال: من لا يصلح لحمل صحيفة يؤديها عن رسول الله، كيف يصلح للإمامة؟

يا سلمان ويا جندب، فأنا ورسول الله كنا نوراً واحداً، صار رسول الله المصطفى وصرت أنا وصيه المرتضى، وصار محمد الناطق، وصرت أنا الصامت، وإنه لا بد في كل الأعصار أن يكون فيه ناطق وصامت.

يا سلمان صار محمد المنذر وصرت أنا الهادي وذلك قوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [سورة الرعد، الآية: ٧] فرسول الله المنذر وانا الهادي: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [سورة الرعد، الآية: ٨]. ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [سورة الرعد، الآية: ٩] ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [سورة الرعد، الآية: ١٠] ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٧ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد] قال فضرب بيده على الأخرى وقال صار محمد صاحب الجمع وصرت صاحب النشر وصار صاحب الجنة وصرت صاحب النار أقول لها خذي هذا وذري هذا وصار محمد صاحب الرحمة وصرت أنا صاحب الهداة وانا صاحب اللوح المحفوظ ألهمني الله علم ما فيه يا سلمان ويا جندب صار محمد يس والقرآن الحكيم وصار محمد والقلم وما يسطرون وصار محمد طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى وصار محمد صاحب الدلالات وصرت أنا صاحب المعجزات والآيات وصار محمد خاتم النبيين وصرت أنا خاتم الوصيين وأنا الصراط المستقيم وأنا النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون ولا أحد اختلف إلا في ولايتي وصار محمد صاحب الدعوة وصرت أنا صاحب السيف وصار محمد نبياً مرسلاً وصرت أنا صاحب أمر النبي قال الله ﴿ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر، الآية: ١٥] وهو روح الله لا يعطيه ولا يلقي هذا الروح الا على ملك مقرب، أو نبي مرسل أو وصي منتجب، فمن أعطاه الله هذا الروح فقد أبانه من الناس وفوض اليه القدرة واحيا الموتى وعلم بها ما كان وما يكون وسار من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق في لحظة عين وعلم ما في الضمائر والقلوب وعلم ما في السموات والأرض. يا سلمان ويا جندب، وصار محمد الذكر الذي قال الله :

﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ [سورة الطلاق، الآية: ١٠] واني أعطيت علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب واستودعت علم القرآن وما هو كائن إلى يوم القيامة، ومحمد أقام الحجة وصرت أنا حجة الله جعل الله لي ما لم يجعل لأحد من الأولين والآخرين لا لنبي مرسل، ولا لملك مقرب.

يا سلمان ويا جندب، قالا: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: أنا الذي حملت نوحاً في السفينة بأمر ربي، وأنا الذي أخرجت يونس من بطن الحوت بإذن ربي، وأنا جاوزت بموسى بن عمران البحر بأمر ربي، وأنا الذي اخرجت إبراهيم من النار بإذن ربي، وأنا الذي اجريت انهارها وفجرت عيونها وغرست اشجارها بإذن ربي، وأنا عذاب يوم الظلة وأنا المنادي من مكان قريب قد سمعه الثقلان الجن والإنس وفهمه قوم واني

لأ سمع كل قوم الجبارين والمنافقين بلغاتهم، وأنا الخضر عالم موسى، وأنا معلم سليمان، وأنا ذو القرنين وأنا قدرة الله .

يا سلمان ويا جندب، قالا: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: أنا محمد ومحمد أنا، أنا من محمد ومحمد مني، قال تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾. [سورة الرحمن، الآية: ١٩].

يا سلمان ويا جندب، قالا: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: إن ميتنا لم يمت وغائبنا لم يغب وإن قتلانا لم يقتلوا.

يا سلمان ويا جندب قالا: لبيك يا أمير المؤمنين قال: أنا أمير كل مؤمن ومؤمنة ممن مضى وممن بقي وابدت بروح العظمة، وأنا تكلمت على لسان عيسى بن مريم في المهد، وأنا آدم، وأنا نوح، وأنا ابراهيم، وأنا موسى، وأنا عيسى، وأنا محمد اتقلب في الصور كيف أشاء... يا سلمان ويا جندب فهذه معرفتي بالنورانية فتمسك بها راشداً، فإنه لا يبلغ أحد من شيعتنا حد الاستبصار حتى يعرفني بالنورانية، فإذا عرفني بها كان مستبصراً بالغاً كاملاً قد خاض بحراً من العلم وارتقى

درجة من الفضل واطلع على سر من سر الله ومكنون خزائنه المصدر من (بحار الأنوار، وصحيفة الأبرار).

هذا الحديث يستوحشه وينكره الذين لا يؤمنون بأنّ هذا العالم له مبدأ خلق منه، وخلق لأجله ليستقرّ فيه، ثم هبط إلى الدار الدنيا ليستعيد طاقته بالتكليف، وينخلص من النقص والحيرة والتردد، ومن ثم يعود إلى وطنه، لقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٧٩]. فالحياة هنا هي صفاوة العيش بلا مزاج ولاكدر بل نور.

وأن الأنبياء أقرب إلى مبدأ النور لصفاءهم الذاتي وإن أختلفت أفرادهم، وهذا يجري على الإمام المعصوم لإتحاد أنوارهم في المبداء وهذا لايبطل الغيرية في الذاتية.

علم الغيب عند أمير المؤمنين

ما معنى لفظة «الغيب»: ما غاب عن الحس ولم يكن عليه علم يهتدي به المرء فيحصل به العلم. وعند الصوفية: كل ما ستره الحق عنك منك لا منه.

إذا الأمور الكلية البديهية. كالموت، والمرض، والجوع،، ،، تعتبر هذه قوانين تجري على الإنسان، فليس من الغيب ان تقول لفلان بأنك ستموت أو ستمرض أوستجوع، لأنّ ذلك أمرٌ واقعي، أما توقيتها بالإخبار عنها حين تطرأ وينبأ عن وقوعها ويحدد الوقت، فذلك الذي يدخل في علم الغيب وتحصل الدهشة للإنسان عند مطابقة النبأ أو الخبر في زمن الوقوع.

وعلم الغيب مسلم به بأنه خاص لله سبحانه وتعالى. ولكن وردت آيات كثيرة تدل على أن الله يطلع عباده على الغيب تأييداً لدعوتهم ومصداقية لولايتهم. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٤٤].

وقال سبحانه: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [سورة الجن، الآية: ٢٧].

هذه الآيات تدل على أن الله سبحانه وتعالى يوحي بالغيب لمن شاء من عباده. ليثبت حجته وصدق دعوته.

وهذا ما نراه في أمير المؤمنين ﷺ إذ نبأ بالغيب في كثير من الحوادث التي تأكدت واقعيتها، وأن ما جرى من علم الغيب للإمام لم يكن ذاتياً على جهة الإستقلالية، بل تشريف من الله سبحانه. قال الإمام: لو تعلمون ما أعلم ممّا طوي عنكم غيبه، إذاً لخرجتم إلى الصُعُدات.

وقد ورد في الهداية الكبرى، ما يدل على صحة ذلك.

عن إبن حسان العجلي، عن فتوى ابنة رشيد، قال: قلت أخبريني بما سمعت من أبيك، قالت: سمعته يقول أخبرني أمير المؤمنين فقال: يا رشيد كيف صبرك إذا أرسل إليك دعي بني أمية فقطع يديك ورجليك ولسانك؟

فقلت: يا أمير المؤمنين أليس خيراً من ذلك الجنة؟ فقال: بلى يا رشيد أنت معي في الدنيا والآخرة.

قالت فتوى: فوالله ما ذهبت الأيام والليالي حتى أرسل إليه عبيد الله بن زياد فدعاه إلى البراءة من أمير المؤمنين ﷺ: فأبى أن يبرأ منه فقال له الدعي: فبأي موتة قال لك تموت؟ قال اخبرني مولاي أمير المؤمنين أنك تدعوني إلى البراءة فلا أتبرأ منه فتقطع يديّ ورجليّ ولساني، فقال: والله لأكذبن قوله فيك فقطع يديه ورجليه وترك لسانه، فقلت يا أبت هل أصابك ألم؟ فقال: لا يا بنتي إلا هذا الزحام بين الناس، فلما احتملناه من داره بالكوفة اجتمع الناس من حوله فقال: ائتوني بصحيفة ودواة وكتب الناس عنه، وذهب الخبر إلى ابن زياد فأخبره أنه يحدث والناس يأخذون منه علم ما هو كائن إلى يوم القيامة فأرسل إليه ابن زياد لعنه الله، فقطع لسانه في تلك الليلة.

إن علم الغيب لدى الإمام جرى بالتشريف من الله سبحانه فأظهره الإمام على الناس ونبأ به ليكون مصداقاً لحجته وإثباتاً لصدق إمامته

الكلية التي هي منصوص عليها من الرسول الأكرم الذي لا ينطق عن الهوى، فعلم الغيب الذي أبرزه الإمام لا على جهة الاستقلالية والذاتية، إنما مصداق لقوله تعالى: ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك. وكان مولانا يقول: ألا إنّي لست بنبيّ ولا يُوحى إليّ، ولكن أعمل بكتاب الله وسنّة نبيّه ما استطعت، فما أمرتكم به من طاعة الله فحقٌّ عليكم طاعتي فيما أحببتم وكرهتم.

دلالة أخرى:

عن يوسف بن عمران قال: سمعت ميثم التمار يقول: دعاني أمير المؤمنين ﷺ فقال: كيف أنت يا ميثم إذا دعاك دعي بني أمية إلى البراءة مني؟ فقلت إذاً والله لا أبرأ منك يا مولاي، قال: ليقتلنك ويصلبنك، قلت: إذاً أصبر وذلك والله قليل في حبك. قال: يا ميثم إذاً تكون معي في درجتي.

وكان ميثم التمار يمر بعريف عبيد الله بن زياد فيقول له: يا فلان كأني بك وقد دعاك دعي بني أمية وابن دعيها يطلبني منك فتقول هو بمكة، فيقول ما أدري ما تقول، ولا بد لك أن تأتي به فتخرج إلى القادسية فتقيم بها أياماً، فإذا قدمت إليك ذهبت بي إليه حتى يقتلني وأصلب على باب دار عمرو بن حريث، فإذا كان اليوم الرابع ابتدر من منخري دم عبيط.

وكان ميثم يمر بالنخلة في السبخة فيضرب بيده عليها فيقول: يا نخلة ما غرست إلا لي ولا خلقت إلا لك، وكان يمر بعمرو بن حريث فيقول: يا عمرو إذا جاورتك فأحسن مجاورتي، وكان عمرو يروي عنه ويظن انه يشتري داراً ضيعة ويجاوره لذلك، فيقول: ليتك قد فعلت ذلك.

ولما خرج ميثم إلى مكة فأرسل الطاغوت عبيد الله بن زياد، عريفه إلى ميثم يطلبه منه فأخبره. أنه بمكة، فقال: لئن لم تأتني به قتلتك فأجّله أجلاً، وخرج العريف إلى القادسية ينظر ميثم حتى أخذه بيده فأتى به إلى ابن زياد. فلما أدخله قال: يا ميثم قال: نعم، قال: تبرأ من أبي تراب، قال: لا أعرف أنا أبا تراب. قال: تبرأ من علي بن أبي طالب، قال: لم أفعل؟ قال: إذاً والله أقتلك، قال: وايم الله انه قد كان يقول لي انك تقتلني وتصلبني على باب دار عمرو بن حريث فإذا كان اليوم الرابع ابتدر من منخري دم عبيط، فأمر ابن زياد بصلبه على باب دار عمرو بن حريث، فقال للناس: اسألوني وهو مصلوب قبل أن أقتل فوالله لأخبركم بعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة وبما يكون من الفتق، فلما سأله الناس حدثهم حديثاً واحداً، فأتى رسول من قبل عبيد الله بن زياد لعنه الله فألجمه بلجام من نحاس، فهو أول من ألجم بلجام وهو مصلوب حياً فمنعه الكلام فأقبل يشير إلى الناس بيده ويوحي بعينه وحاجبه ففهم الناس ما يقول فأمر ابن زياد بقتله وهو مصلوب على جذع النخلة التي كان يخاطبها إذا مر بها في سبخة الكوفة وكان في جوار عمرو بن حريث.

وجه الدلالة

إن ما نبأ به أمير المؤمنين علينا سلامه هو علم الغيب المكنون على الناس، المكشوف لأمير المؤمنين بما أطلعه الله عليه، هذا الغيب يزداد به أهل البصيرة إيماناً بصدق ولاية الإمام، وهو يؤكد صدق دعوته من هذا الاتجاه المطابق لما أخبر عنه، إن هذا العلم لا يضفي ازدياداً للإمام لانه كامل الماهية، إنما يزيد يقيناً وثباتاً لمن أراد الذكرى، إن علم الغيب لدى الإمام عليه السلام ليس على جهة الاستقلالية فيكون شركاً، إنما يجري تشريفاً من الله وعلماً من رسوله مازجه به، ومجلى صفاتي من الله سبحانه وتعالى، وهذا العلم الغيبي لدى الإمام هو من جهة الأكوان وما فيها، وليس من جهة الذات العلية تعالى الله أن يحيط به أحد، وليس يوجد تعارض في هذا الكلام.

فالآية: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [سورة هود، الآية: ١٢٣].

والآية: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٥٠].

بل يجب أن نزيل التعارض من جهة فهمنا للآيات بهذه الآيات: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [سورة التكوير، الآية: ٢٤].

ـ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك،

إذاً يسهل المفهوم لعلم الغيب بهذه الآيات التي تثبت بأن الله يطلع من يشاء على الغيب تشريفاً للعبد.

فهذا يجري مع قول الإمام علينا سلامه: أنا علم الله، وأنا قلب الله الواعي ولسان الله الناطق. وعين الله، وجنب الله، وأنا يد الله. (كتاب التوحيد).

(قلب الله) ليس حيث يذهب الفكر المتشعث من الاتحاد والحلول..

بل هذا يجري عند أهل التوحيد بمثابة القول: بيت الله، عبد الله، فانه يعني أمير المؤمنين عليه السلام بذلك أنه الحافظ لدين الله.

كما قال سبحانه: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [سورة الطور، الآية: ٤٨].

قال تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [سورة القمر، الآية: ١٤].

فقلب الإمام هو وعاء للعلوم النبوية وحافظ للوحي، ومظهر لعلم الله على جهة المغايرة وتعداد المظاهر بالأسماء والصفات هذا عبد وذاك رب، لقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [سورة طه، الآية: ٣٩]

وهذا ما فسره باقر العلوم عليه سلامه: هل هو عالم قادر إلا لأنه وهب العلم للعلماء والقدرة للقادرين».

إذاً هذه الصفة كالعلم والقدرة لا بد من قيامها بالموهوب له ليكون أعظم مظهر لهذه الصفة المقدسة وآكد في العيان لأن المدح من جهة السلب والوهم ضعيف الأثر في النفوس، أما المدح من جهة الإيجاب والمصداق أبلغ وآكد في النفس تأثيراً وترسيخاً. وعلى هذا ترى الاقتباس والاصطلاء من الإمام والنبي صلى الله عليه وآله. ومن هذا الباب نقول أن

النبي والإمام مظهر علوي لقدرة الله فلا مشاحة في التعبير: عين الله. وقدرة الله. ويد الله .....

والأحاديث القدسية تدعم ما نتجه به واليه: «ما وسعني أرضي ولا سمائي، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن فانه يتقلب معي وبي. ....

وورد في الحديث: إن قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن، يقلبها كيف يشاء.. فالأصابع بمعنى الصفات الفعلية التي هي من جهة الخلق: كالرحمة والغضب، والضار النافع، والمنعم والمنتقم .....

فالأصبعان شعلتان من آثار الفيض الرحماني، نازلتان على النفوس البشرية احداهما تدعوه إلى فعل الخير والأخرى تدعوه إلى فعل الشر،

وفي الجامع الصحيح: عن أنس، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكثر أن يقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك». فقلت: يا رسول الله، آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟

قال: (نعم) إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء..

الإمام وسماً ورسماً واسماً

قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [سورة الكهف، الآية: ٦٥].

العبد: هو من عبد طريق عبادته إلى الله، فخضعت جوارحه لارادته. وولج باب الصفات فكان سالكاً العبودية، ومجتازاً العقبات وهي «عندنا، لدنا». ف«عندنا» صورة ورسم، لحضور المسافة بين الناظر والمنظور، لتصحَّ الرؤية ويثبت العيان، و«لدنا» صفة واسم فالصفة حجاب العقول، والإسم للقيد والدلالة، فالصفة قدرة والإسم قادر، فتغيب الصفة في صفاء الذات ويبقى الإسم في الإستجلاء أس البناء، فتقول في محراب المخاطبة العيانية: إياك نعبد وإياك نستعين، يا قادر يا عليم ارحمني.

وأما الوسم وهو ما رأينا من أفعال ومثل وآداب، لأنها علاقة المماثلة والمشابهة لتصح البلغة العلمية والتفقه عن المولى، وتثبت الحجة على الناس، فبهذا يكون الإمام كاملاً بذاته، لأن كماله بالنبوة لقوله ﷺ: أنا من علي وعلي مني. أنا وعلي كهاتين وجمع بين إصبعيه، والرسول كله من نور الله، ففي هذا بلاغ لمن تدبر، فالكامل بالكامل كمال، وهذا دليل على العصمة والطهارة واذهاب رجس الخيال وحبس المادة المهملة السافطة بنفسها عن استيعاب الخطاب، وبهذا يتبين معنا أن الرسم هي نسب عدمية، والاسم هو من المعاني الوجودية كالعصمة والطهارة، واللدنية، والوصاية، والولاية، والرسم كما قال ﷺ: الحسن

والحسين إماماً قاما أو قعدا. فالحكومة السياسية هي نسبية سواء كانوا بالخلافة أم لم يقوموا بها، فهذا لا يزيدهم ولا ينقصهم، لأنهم لا يتكاملون بالأدنى وهذا يجري على كافة الناس باستثناء الأنبياء والمرسلين والأئمة المعصومين، فعلى هذا المفهوم ننتزع من المحسوسات الألطافية، قواعد مثلى وأسس عليا علينا أن نسلكها ونقتدي بها.

الصلاة

قال الإمام عليه السلام: صل الصلاة لوقتها المؤقت لها، ولا تعجل وقتها لفراغ، ولا تؤخرها عن وقتها لاشتغال، واعلم أن كل شيء من عملك تبع لصلاتك.

كانت العبادة والتقوى عند الإمام هي المحور ـ ولذلك فانه يعتبر طلب العلم عبادة وطلب الحلال عبادة والخدمات الإجتماعية عبادة، فالناس لايستوون في فهم العبادة بل يختلفون في ذلك ـ لا السياسة، فالصلاة هي الأهم، لا الزعامة، كانت حكومته سياسته خاضعة للخشوع والتقوى، إذ قاتل الناس لكي يؤمنوا بالله ويعبدوه، لا ليتأمر عليهم، فلذلك قال: الصلاة قربان كل تقي. ومعراج كل مؤمن.. وقال: كان رسول الله لا يؤثر على الصلاة عشاء ولا غيره، وكان إذا دخل وقتها كأنه لايعرف أهلاً ولاحميماً، ففي معركة صفين افترش النطع فصلى عليه ويؤدي ورده والسهام تتساقط بين يديه وتمر على صماخه يميناً وشمالاً، فلا يرتاع من ذلك. ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته. إن أصول جميع الأثار المعنوية والأخلاقية والإجتماعية في العبادة هي ذكر الله على كل حال، قال عليه السلام: إلهي ما عبدتك حين عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتك، بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك.

سوانح وموانح

إن الشخصية العظيمة هي الخط المستقيم الذي به يستقيم المسار

وتسمو بسموه الأفكار، وهي المقياس في تقييم الناس، والعودة إليه عند حدوة وقدّة وبمقدار ما تكون الأخلاق مطلوبة، تكون العجرفة وسوء الخلق مذمومة، في شرح النهج (لابن أبي الحديد): استعدى رجل على عليّ بن أبي طالب عليه السلام عمر بن الخطاب وعليٌّ جالس، فالتفت عمر إليه فقال: قم يا أبا الحسن! فاجلس مع خصمك، فقام فجلس معه وتناظرا، ثم انصرف الرجل ورجع عليٌّ عليه السلام إلى مجلسه، فتبين عمر التغيّرَ في وجهه، فقال: يا أبا الحسن! ما لي أراك متغيراً؟ أكرهت ما كان؟ قال: نعم، قال: وما ذاك؟ قال: كنيّتني بحضرة خصمي، وناديته باسمه، هلاّ قلت: قم يا عليُّ! فاجلس مع خصمك.

عن الشعبي قال: وجد عليٌّ عليه السلام درعاً له عند نصراني فجاء به إلى شريح يخاصمه إليه ... ثم قال عليٌّ عليه السلام: إنّ هذه درعي لم أبع ولم أهب، فقال شريح للنصراني: ما يقول أمير المؤمنين؟ فقال النصراني: الدرع درعي، وما أمير المؤمنين عندي بكاذب، فالتفت شريح إلى عليٍّ فقال: يا أمير المؤمنين! هل من بيّنة؟ قال: لا، فقضى بها للنصراني، فمشى هُنيئةً ثم أقبل فقال: أما أنا فأشهد أنّ هذه أحكام النبيين، أمير المؤمنين يمشي بي إلى قاضيه وقاضيه يقضي عليه! أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله، الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين، لقيتها حينما انبعث الجيش وأنت منطلق إلى صفين، فخرّت من بعيرك الأورق، فقال له: أما إذا أسلمت فهي لك.

وقد ورد أن أمير المؤمنين عليه السلام ولّى أبا الأسود الدؤلي القضاء ثم عزله، فقال له: ولم عزلتني وما خنت وما جنيت؟ فقال عليه السلام: إني رأيت كلامك يعلو كلام خصمك.

قال عليٌّ عليه السلام: في عهده للأشتر: فلا تكونَنّ عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فالناس صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظيرك في الخلق.

قال معاوية: فاقتلْ من لقيته ممن ليس هو على مثل رأيك، وانهب أموال كل من أصبت له مالاً ممن لم يكن له دخل في طاعتك.

وروي أن أمير المؤمنين عليه السلام كان إذا قطع يد السارق قطع أربع أصابع وترك الكف والراحة والإبهام، وإذا قطع الرِجْلَ قطعها من الكعب وترك العقب، فقيل له: لِمَ هذا يا أمير المؤمنين؟ قال إني لأكره أن لو تداركته التوبة فيحتجُّ عليَّ عند الله إني لم أدع له من كرائم بدنه مايركع به ويسجد. عن عبد الله بن سنان، قال: سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام فقلت: الملائكة أفضل أم بنو آدم؟ فقال: قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: إن الله ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركب في البهائم شهوة بلا عقل، وركّب في الإنسان كلتيهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خيرٌ من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شرٌّ من البهائم.

جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: إن بلالاً كان يناظر اليوم فلاناً فجعل يلحن في كلامه وفلان يعرب ويضحك من بلال، فقال الإمام: يا أبا عبد الله إنما يراد اعراب الكلام وتقويمه لتقويم الأعمال وتهذيبها، ما ينفع فلاناً وتقويمه لكلامه إذا كانت أفعاله ملحونة أقبح لحن وما يضرُّ بلالاً لحنه في كلامه إذا كانت أفعاله مقومة أحسن تقويم ومهذبة أحسن تهذيب.

عن عبدالله بن مسعود قال دخلت يوماً على رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت يا رسول الله أرني الحق حتى أتبعه؟ فقال صلى الله عليه وآله: يا ابن مسعود لجّ المخدع فولجت فرأيت أمير المؤمنين راكعاً ساجداً وهو يقول عقيب صلاته: اللهم بحرمة عبدك محمد ورسولك اغفر للخاطئين من شيعتي، قال ابن مسعود فخرجت لأخبر رسول الله بذلك فوجدته راكعاً وساجداً وهو يقول: اللهم بحرمة عبدك عليّ إغفر للخاطئين من أمتي.

قال ابن مسعود: فأخذني الهلع حتى غشي عليّ، فرفع رأسي النبي وقال: أكفرٌ بعد إيمان؟ فقلت معاذ الله، ولكني رأيت علي يسأل الله تعالى بك ورأيتك تسأل الله تعالى به!

فقال يا ابن مسعود إن الله خلقني وعلياً والحسن والحسين من عظمته قبل الخلق بألفي عام حين لا تسبيح ولا تقديس وفتق نوري فخلق منه السموات والأرض، وأنا أفضل من السموات والأرض وفتق نور علي فخلق منه العرش والكرسي وعلي أجل من العرش والكرسي وفتق نور الحسن فخلق منه اللوح والقلم والحسن أجل من اللوح والقلم وفتق نور الحسين فخلق منه الجنان وحور العين والحسين أجل منهما، فأظلمت المشارق والمغارب فشكت الملائكة الله الظلمة وقالت: اللهم بحق هؤلاء الأشباح ألا ما فرجت عنا هذه الظلمة فخلق الله روحاً وقرنها بأخرى فخلق منهما نوراً، ثم أضافه إلى الروح فخلق منهما الزهراء ﷺ فمن ذلك سميت الزهراء فأضاء منها المشارق والمغارب.

يا ابن مسعود إذا كان يوم القيامة يقول الله لي ولعلي: أدخلا النار من شئتما وذلك قوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [سورة ق، الآية ٢٤].

فالكفار من جحد نبوّتي، والعنيد من عاند علياً وأهل بيته.

وفي مروج الذهب للمسعودي بحذف الإسناد: عن أمير المؤمنين ﷺ: قال: إن الله حين شاء تقدير الخلقية وذرء البرية وابداع المبدعات، نصب الخلق في صور كالهباء قبل دحو الأرض، ورفع السماء، وهو في انفراد ملكوته وتوحد جبروته، فاساخ نوراً من نوره فلمع، وقبساً من ضيائه فسطع، ثم اجتمع النور في وسط تلك الصورة الخفية، فوافق ذلك صورة نبينا محمد ﷺ.

فقال الله عز من قائل: أنت المختار المنتجب، وعندك استودع

نوري، وكنوز هدايتي، ومن أجلك أسطح البطحاء، وأرفع السماء وامزج الماء، وأجعل الثواب والعذاب والجنة والنار، وأنصب أهل بيتك بالهداية، وأوتيهم من مكنون علمي ما لا يخفى عليهم دقيق علمي، ولا يغيب عنهم خفي، وأجعلهم حجة على بريتي، والمهيمن على علمي ووحدانيتي.

ثم أخذ الله سبحانه الشهادة للربوبية والاخلاص بالوحدانية، فبعد أخذ ما أخذ من ذلك شاء ببصائر الخلق انتخاب محمد ﷺ وأراهم أن الهداية معه، والنور له، والإمامة في أهله تقديماً لسنة العدل، وليكون الاعذار متقدماً.

ثم أخفى الله الخلقية في غيبه وغيبها في مكنون علمه، ثم نصب العوالم وبسط الزمان، ومزج الماء، وأثار الزبد، وأهاج الدخان، فطفى عرشه على الماء وسطح الأرض على ظهر الماء، ورفع السماء، ثم استجابهما إلى الطاعة فاذعنتا بالاستجابة. ثم إنشاء الملائكة من أنوار ابتدعها، وأنوار اخترعها، وقرن بتوحيده نبوة نبيه محمد ﷺ فشهرت نبوته في السماء قبل بعثه في الأرض. فلما خلق الله آدم، أبان له فضله للملائكة، وأراهم ما خصه به من سابق العلم من حيث عرفهم عند استنبائه اياه أسماء الأشياء، فجعل الله آدم محراباً، وكعبة، وقبلة أسجد اليها الأنوار والروحانيين والابرار، ثم نبه آدم على مستودعه، وكشف له خطر ما ائتمنه عليه بعدما سمّاه إمامه عند الملائكة، فكان حظ آدم من الخير بنا ونطقه بمستودع نورنا، ولم يزل الله تعالى يخبيء النور تحت الزمان إلى أن فصل محمداً ﷺ في ظاهر القنوات، فدعى الناس ظاهراً وباطناً، وندبهم سرّاً واعلاناً، واستدعى التنبيه على العهد الذي قدمه إلى الذر قبل النسل، ومن وافقه قبس من مصباح النور المتقدم اهتدى إلى سرّ واستبان واضح أمره، ومن البسه الغفلة استحق السخطة.

ثم أنتقل النور إلى غرائزنا، ولمع مع ائتمنا، فنحن انوار الأرض،

فبنا النجاة، ومنّا مكنون العلم والينا مصير الأمور وبنا تقطع الحجج ومنّا خاتم الأئمة ومنقذ الأمة، وغاية النور، ومصدر الأمور. فنحن أفضل المخلوقين وأكمل الموجودين وحجج رب العالمين فيتهنأ النعمة من تمسك بولايتنا وقبض بعروتنا. بإسناده عن المقدام بن شريح بن هاني، عن أبيه، قال: إن أعرابياً قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ فقال «يا أمير المؤمنين! أتقول إن الله واحدٌ»؟ قال: فحمل الناس عليه وقالوا «يا أعرابي! أما ترى ما فيه أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ من تقسم القلب؟!».

فقال أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ «دعوه! فإن الذي يريده الأعرابي هو الذي نريده من القوم» ثم قال «يا أعرابي! إن القول في أن «الله واحدٌ» على أربعة أقسام: فوجهان منها لا يجوزان على الله ، ووجهان يثبتان فيه؛ فأما اللذان لا يجوزان عليه، فقول القائل: (واحدٌ) يقصد به باب الأعداد، فهذا ما لا يجوز لأن مالا ثاني له، لا يدخل في باب الأعداد، أما ترى أن الله قد كفر من قال: (ثالث ثلاثة): وقول القائل: (هو واحد) من الناس، يريد به النوع من الجنس، فهذا ما لا يجوز عليه لأنه تشبيه، وجل ربنا عن ذلك وتعالى: وأما الوجهان اللذان يثبتان فيه، فقول القائل: (انه واحدٌ) ليس له في الأشياء شبه، كذلك ربنا؛ وقول القائل «انه أحدي المعنى يعني به انه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم كذلك ربنا ».

وقد جاء في الخبر: أن أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال له: طمشٌ طاح فغادر شبلاً، لِمَنْ الشب؟ فقال صلى الله عليه وآله: للشبل مميطاً. فلما جاء عليٌّ عليه السلام ذكر له النبي لفظ الأعرابي، فأجاب عليٌّ بما أجاب النبي صلى الله عليه وآله فقال النبي عند ذلك: أنا مدينة العلم وعلي بابها.

مفردات الخبر:

الطمش: بمعنى الواحد من الإنسان، طاح: بمعنى هلك، غادر: أي ترك، والشبل: ولد الأسد، والنشب: المال، والمميط: الدفع، فيكون بمعنى المال المدفوع .ومعنى الخبر: أنه مات إنسان وترك ولداً، لمن يكون المال بعده؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: المال للولد يُدفع إليه.

ورد في الصحيفة: كان أمير المؤمنين عليه السلام قاعداً على سطح بيت يأكل رطباً، وهو إذ ذاك إبن سبع وعشرين، وسلمان قاعد في صحن الدار يرقع خرقة له فرماه عليٌّ بنواة من الرطب فقال سلمان: تمازحني يا عليٌّ وأنا شيخ كبير وأنت شاب حدث السن، فقال عليٌّ عليه السلام: حسبت نفسك كبيراً ورأيتني صغيراً، أنسيت دشت ارزن ومن خلصك هناك من الأسد؟ ولما سمع ذلك فزع وقال: أخبرني كيف ذلك؟ فقال عليٌّ عليه السلام: إنك كنت واقفاً في وسط الماء فزعاً من الأسد فعند ذلك رفعت يديك بالدعاء، وسألت الله أن ينجيك منه فاستجيبت دعوتك، وقد كنت أنا إذ ذاك أمرُّ في تلك الصحراء، فأنا ذلك الفارس الذي كان درعه على كتفه والسيف بيده، فجردت السيف وضربت الأسد فقسمته نصفين وخلصتك منه، إن لذلك علامة أخرى؟ قال: فمد أمير المؤمنين يده وأخرج من كمه طاقة ورد طري وقال: هذه هديتك التي أهديتها لذلك الفارس في ذلك المكان، فلما رأى سلمان ذلك ازداد تحيراً وإذا بهاتف يناديه: يا شيخ امض إلى رسول الله واقصص عليه قصته، وتقول: يا رسول الله إني قرأت نعتك في الإنجيل ورسخ حبك في قلبي وتركت جميع الأديان الاّ دينك، وكنت أخفي ذلك من أبي، ولما وقف على ذلك مني أراد قتلي، ولكن منعه من ذلك إشفاقه على أمي، وكان يدبر الحيلة في قتلي فكان يكلفني الأعمال الشاقة ويأمرني بها، ففررت منه لذلك إلى أن وقعت في بادية أرزنة فنمت بها ساعة، وعرض لي إحتلام ولما إنتبهت سرت الى عين هناك ونزعت ثيابي ودخلت الماء لأغتسل من الجنابة، وإذا أنا بأسد

طلع من ناحية وجاء حتى وقف على ثيابي، ولما رأيت ذلك فزعت منه وجعلت أتضرع وأسأل النجاة من الأسد، وإذا أنا بفارس قد طلع وضرب الأسد بسيفه فقدّه نصفين، فخرجت من الماء وانكببت على ركابه أقبله، وكان فصل الربيع والصحراء تشتمل على الورد والرياحين، فعمدت الى طاقة من ورد وأهديتها له، ولما أخذ مني غاب عنّي، فلم أر منه بعد ذلك أثراً ولا عيناً، وقد جاءت على هذه الواقعة بضع وثلاث مائة سنة، ولم أقصصها عند أحد وقد أخبرني بذلك ابن عمك علي بن أبي طالب فقال رسول الله ﷺ:

يا سلمان إنه ليس بعجب من أخي، فإني رأيت أعجب من ذلك، يا سلمان لما أسري بي الى السماء وبلغت سدرة المنتهى، تخلّف عني جبريل فعرجت الى عرش يحيى، فبينا أناجي الله ويناجيني فإذا أنا بأسد واقف قدامي فنظرت وإذا هو علي بن أبي طالب، ولما رجعت الى الأرض سلّم عليّ وهنأني بمواهب ربي وعنايته لي، ثم جعل يخبرني بجميع ما جرى بيني وبين ربي من الكلام، إعلم يا سلمان أنه ما أبتلي أحد من الأنبياء والأولياء منذ آدم إلى الآن ببلاءٍ إلاّ كان عليٌّ هو الذي نجاه من ذلك.

إن هذه الرواية برفضها من أوقف فهمه للعالم بصورةٍ تدريجيةٍ لاتنتقل إلاّ ضمن قنوات المادة وسلطتها، وحصر الفهم على المحسوس وما ألفه من حواسه فإذا قرأ أمثال هذه الرواية إستوحشها ورمى بها إلى الغلو أونسبها إلى المدسوسات أو إلى الأساطير، مع العلم أنّ كثيراً من الأحاديث والروايات تثبت السبق للنفوس لهذا العالم الأرضي، وأن العوالم الملكية والملكونية تتصور في أي عالم شاءت بصوره، وتؤكد الروايات والأحاديث أن النفوس والأرواح الواهيّة العلقة بالشعاع العقلي دارت في الهبوط إلى دار الدنيا، لقول الرسول ﷺ الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر. فالسجن مرحلة متأخرة للإنسان ولا يكون السجن إلاّ نتيجة

لجرم، وهذا يدل على القصاص في هذه الدار، لتتمّ الحياة وتخلص من سكرات الذنوب وحجب الظلمة. قال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٣٦]. فالمهبوطون من بني آدم هم الذين ترجحت مواقفهم الظنيّة على اليقين الجلوائي فأصابهم الشك والحيرة من ظلمة عدمهم، فكان التلبس بالهبوط لإتمام الحكمة ـ الذين تهافتوا عن أسبابها وما استطاعوا أن يأخذوا القرار الحاسم ساعة الرئس واصطباغ الذراري ـ وتصفية نفوسهم من لصوقهم بعالم الإمتزاج الملتهب بشظايا النار والنحاس، فكان التخلص من المزجة بإقامة التكليف، والجد في السلوك والإجتهاد في العبادة، أما الأئمة الطاهرون فهم كاملو الكينونة في عالم الثبوت، وما إعتراهم النقص او إعترضهم الخطأ في عالم الإثبات، لأن هذا منافي لمقتضى الغرض لمفهوم إثبات الحجة للإمامة والعصمة القديمة الثابتة في القرآن ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٣٣]، وهذا يدلُّ على نورانيتهم في الأصل والبدو، وأن حضورهم في عالم الهيولى والعناصر هو حضور بشرٍ سويٍّ، يتحكم بالزمان والمكان، بمشيئة الله سبحانه. وقد تقدم في الأحاديث الإشارة إلى نورانيتهم، لأنهم لا يدخلون بمقاييس الناس، لأنّ البشر تلبّسوا في الكثائف لنقصٍ ما، ليكملوا ما استقفوه وأوقفوه في عالم المثال، فهم خاضعون للحدود والطبائع والقوانين السفلانية، أما الأنبياء والأئمة فهم مهيمنون على الحدود، فيظهرون بما يشاءون، يقول الإحقاقي الحائري في صحيفته، حيث يؤكد كلامنا قال: فهم (الأئمة) في حال كونهم نطفاً في الأصلاب والأرحام إن شاءوا ظهروا في آنف مكان من غير أن تخلوا منهم تلك الأصلاب الطاهرة والأرحام المطهرة، لأن تلك الحدود خلقت من فاضل أنوارهم، فلا يجري عليهم ما هم أجروه، فلا يكونون مأمورين

في أسر قيد واحد بحيث لا يقدرون على فكه، لأن جميع القيود بيدهم ولأنهم يد الله الذي بيده ملكوت كل شيء، والملك يتصرف في ملكه كيف يشاء. وبالجملة وجودهم ﷺ بالنسبة إلى تلك الحدود وجود هيولاني غير مقيد بصورة مخصوصة، لا يتعداها إلى غيرها كما هو حال سائر المخلوقين الواقعين تحت أسر تلك الحدود، ولذا كان يحضر أمير المؤمنين بعد موته عند جنازته مع كون السرير غير خال منه، وما كان ذلك بجسد مثالي على المعنى الذي زعمته طائفة من أهل الظاهر، فافهم وتبصّر ولا تقدر عظمة الله بقدر عقلك فتكون من الهالكين. فالجهال فلا يزيدون بسماع أمثال هذه الكلمات إلاّ وحشة ونفوراً لقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [سورة المدثر، الآية: ٥١].

ثم قال:

عليّ نحت القوافي من مواضعها وما عليّ إذا لم يفهم البقر

وبالإسناد عن جابر بن عبد الله: إن مروان بن الحكم في خلافته صعد منبر رسول الله وخطب وسبَّ علياً ﷺ فخرجت من القبر الشريف يدٌ، كل من حضر عرف أنها يد رسول الله ﷺ مكتوب عليها: يا عدو الله ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾، هو والله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين وسيد الوصيين، ثم عدّ بيده ثلاثاً وعشرين، فما لبث مروان الاّ ثلاثاً وعشرين ليلة ثم مات. (المسائل للإحسائي)

وبالإسناد عن داوود بن سليمان عن علي الرضا عن أبيه عن أبائه عن علي ﷺ قال: قال رسو ل الله ﷺ: التوحيد نصف الدين واستنزلوا الرزق بالصدقة». التوحيد نصف الدين لأن الشرائع: إما إعتقادات أومعاملات. فالإعتقادات نصف الدين، فالعقيدة بالله الواحد الذي منه إبتداء الخلق وإليه مصير كل شيء، لقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ

أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٨٥].

«سرّ واستنزلوا الرزق بالصدقة»

فقد ورد في المستفيض من الأخبار، في شرح كتاب (التوحيد للصدوق): هو أن الله يأخذ الصدقات بيده سبحانه كما هو مقرر بمقتضى الآيات والأحاديث، ومن المستبين عند العقل أن السافل لايفيض على العالي شيئاً ولا يكتسب العالي منه أمراً، فإعطاء العبد الصدقة وأخذ الله منه إياها إنما هو بمعنى إعطاء من الله العبد إستعداداً وقبولاً من الله ذلك الإستعداد ولما كانت سنّة الله جارية على أن يعطى كل مستعدٌ ما يستعدُّه، ويوصل كل مستحق إلى مايستحقه ولا شك أن إعطاء العبد إذا كان إستعداداً فهو استعداد لإعطاء الله إياه، كما كان إذلاله لأولياء الله استعداداً لإذلال الله إياه، وهكذا كل ما يكون من هذا القبيل، فلا محالة يكون إعطاء الصدقة جالباً لإعطاء الله إياه الرزق فالصدقة علة قابلية لنزول الرزق إذ قد ثبت في مدارك العقول الصافية عن الشك والشبهة، أن الموجب للشيء في الأمور المادية ليس إلا العلة القابلية وأما الفاعل فهو الجواد المفيض إن جاد فبفضله وإلاّ فلا يجوز في حكمه. انتهى.

الأخلاق

يستدل على الشيء بآثاره، والشخصية العظيمة توسم بالأخلاق العالية، فلذلك تذوب الذات في صفاء الفعل، فلا تستطيع أن تستعمل المقياس التعبيري بل تكتفي قائلاً: وانك لعلى خلق عظيم.

إذ بالأخلاق تصنف أهل المكر والخداع، وأهل الغدر والختر، فلا يستلبك الانتصار ولا الرئاسة ولا الزعامة، لأن المقياس بالفضيلة والأخلاق، لأنه: ما ظفر من ظفر الإثم به، والغالب بالشر مغلوب، قال ﷺ: ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق.

سئل الإمام: من أدوم الناس غماً فقال: أسوأهم خلقاً، الإمام أقام دولته وسياسته على دعائم مكارم الأخلاق، ليقيم العدل ويحقق للناس المساواة، ويدفع الظلم، فالإمام يرى صلاح الغاية بإصلاح الوسيلة وغايته مصلحة الأمة، فالإمام قرآن ناطق، وهو ربيب الوحي وتربى بأخلاق النبوة فكان رباني الأمة. انظر إلى هذه الحادثة واستخلب العبرة!

لما بارز عمرو بن العاص علياً، فما هي إلا ثوان حتى طعنه علي فصرعه، ثم برق سيفه كأتون النار فوق هامة ابن العاص، فأدرك بأنه هالك فكشف عن عورته وهو يتخبط، فصرف الإمام وجهه عنه، وتركه يسرع هارباً.

فصرخ أصحابه: أقلت الرجل يا أمير المؤمنين، فقال: تلقاني

بعورته فصرفت وجهي عنه. إذاً تعرف مكارم الأخلاق حينما تتناقض مصالح المرء مع مبادئه وقيمه مع رغبته. قال ﷺ: إذ سئل عن الخير ما هو؟ ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك، وأن تباهي الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله، ولا خير في الدنيا إلاّ لرجلين: رجل أذنب ذنوباً فهو يتداركها بالتوبة ورجل يسارع في الخيرات. قال الإمام:

وذي سفهٍ يواجهني بجهلٍ ... فأكره أن اكون له مجيبا
يزيد سفاهة وأزيد حلماً ... كعود زاده الإحراق طيباً

قال كميل بن زياد النخعي: قبض أمير المؤمنين على يدي وقال: يا نخعي قل لأهلك يروحوا في كسب المكارم، ويدلجوا في حاجة من هو نائم، فوالذي وسع الأصوات سمعه ما من أحد أودع قلباً سروراً إلاّ خلق الله من ذلك السرور شخصاً، فإذا نزلت به نائبة جرى إليها كالماء في إنحداره، والنجم في إنكداره، وطردها عنه كما تطرد غريبة الإبل.

اليقين

لا تحتاج أيها الأخ أن تبحث في المعاجم والقواميس عن معنى هذه المفردة، وقد عرفها الإمام ﷺ: لا تجعلوا يقينكم شكاً ولا علمكم جهلاً، فإذا علمتم فاعملوا، وإذا تيقنتم فاقدموا.

في هذه الحكمة نرى التقابل: اليقين إلى شك. والعلم ينقلب إلى جهل لماذا؟ لأنك علمت فما عملت، وأيقنت فما أقدمت. كان الإمام يجادل أعداءه لكي يهديهم الطريق ويرشدهم السبيل.

الإمام كالمطر يصيب الجميع ليروي الكل فالطيب يزداد طيباً، والنتن يزداد نتانة، قال ﷺ: اني قد راقبت هؤلاء القوم كي يرعووا، أو يرجعوا، ووبختهم بنكثهم فلم يستحيوا.

إن المتيقن لا تزعزعه التقلبات ولا الهزيمة. وهذا ما فسره عمار بن ياسر إذ قال للناكثين: والله لو ضربتمونا حتى بلغتم بنا سعفات هجر: لعلمنا أنا على حق، وأنكم على باطل، وان قتلانا في الجنة، وان قتلاكم في النار..

الإنسان المرتبط بالقوى الكبرى في هذا الكون والمهيمنة على كل الوجود، تجعل الإنسان مرتبطاً يقيناً بالقادر القاهر، فأية قوة في الأرض لا تسقطه ولا ترهبه، لأنه تشبع باليقين فصلب عوده في الطاعة، وقوي على مصارعة الباطل. كان أمير المؤمنين يقول: لا يجد عبد طعم الإيمان، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وإن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وإن الضار النافع هو الله تعالى.

الزهد

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: الزهد كله في كلمتين من القرآن قال الله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [سورة الحديد، الآية: ٢٣] ومن لم يأس على ما فاته من الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه.

أوحى الله إلى نبيه: يا أحمد: إن أحببت أن تكون أورع الناس فازهد في الدنيا وارغب في الآخرة.

وقال الإمام لا تأسف على مفقود، لا يرده إليك الفوت، ولا تفرح بموجود لا يتركه في يديك الموت.

فالزهد يجعل الإنسان نشيطاً في العبادات، قوياً على تحمل المكاره، متخلقاً بالآداب مع الناس، ملتزماً بالعدل، لأنه لا يرغب في مصلحة حتى يلف ويدور من أجل اكتسابها، وقد روي أنه كان يخصف نعله ذات يوم بذي قار فدخل عليه تلميذه عبد الله بن عباس فتعجب ابن عباس منه كيف يخصف نعله بنفسه وهو يحكم نصف الأرض، والناس عباس منه كيف يخصف نعله بنفسه وهو يحكم نصف الأرض، والناس قد اجتمعوا خارج خيمته ليسمعوا منه. فقال لابن عباس: ما قيمة هذه؟ قال: لا قيمة لها. فقال الإمام: والله لهي أحب اليّ من إمرتكم إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً.

قال عليه السلام: اللهم انك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من

دينك، وتظهر الإصلاح في بلادك. فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك.

لم يكن الإمام بالذي يرغب في الرئاسة ولا تنعشه المناصب ومتع الدنيا، ولم يكن عنده ردات فعل من يفوز بالانتخاب فيفرح للفوز، ويرتاح للنجاح. كان الهدف بنظره من المنصب إحقاق الحق وإماتة الباطل، كان أمير المؤمنين يأكل خبز الشعير وتطحنه إمرأته بيديها، وكان يختم على الجراب الذي فيه دقيق الشعير، وإذا سئل عن هذا؟ فيقول: لا أحب أن يدخل بطني ما لا أعلم». وعمر بن عبد العزيز وهو من أسرة أموية تبغض علياً، وتخلق له السيئات وتخفي له الحسنات قال: أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب. وهذا سفيان الثوري قال: إن علياً لم يبن آجرة على آجرة ولا لبنة على لبنة ولا قصبة إلى قصبة..

لقد تحدث عن زهده المحبون والمبغضون وتأسّى به الأقربون والأبعدون، وهذه الرواية تدفعك إلى شعور يمسك عليك التفكير ويأخذك إلى بعيد، حتى كأنك تتحسس الماورائيات بل تدرك أنك خلقت لتشف لا لتسف، ولتعف لا لتذل، ولتُسعد لاتشقى.

روى النضر بن منصور عن عقبة بن علقمة، قال:

دخلت على علي عليه السلام فإذا بين يديه لبن حامض آذتني حموضته وكسرٌ بابسة، فقلت: يا أمير المؤمنين، أتأكل مثل هذا؟ وأنت الخليفة وكل شيء تحت يديك؟!!

فالتفت إلي وقال: يا أبا الجنوب كان رسول الله يأكل أيبس من هذا، ويلبس أخشن من هذا ـ وأشار إلى ثيابه ـ فإن لم أخذ بما به خفت ألا ألحق به».

وهو الذي قال حينما جاءوه للبيعة بعد مقتل عثمان: دعوني والتمسوا غيري فانا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب

ولا تثبت عليه العقول، وان الآفاق قد أغامت والمحجة قد تنكرت.

وروي أنه أتى سوق البزازين فقال لرجل: بعني ثوبين، فقال الرجل:

يا أمير المؤمنين عندي حاجتك، فلما عرفه مضى عنه، فوقف على غلام فأخذ ثوبين أحدهما بثلاثة دراهم والآخر بدرهمين.

فقال: يا قنبر خذ الذي بثلاثة.

فقال قنبر: أنت أولى به يا مولاي، أنت تصعد المنبر وتخطب الناس. فقال: أنت شاب ولك شرة الشباب، وأنا أستحي من ربي أن أتفضل عليك، ولقد

سمعت رسول الله ﷺ يقول: ألبسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما تأكلون». فأخذ قنبر الثوب الذي بثلاثة دراهم وأخذ الإمام علي الذي بدرهمين.

ـ ولاحظ أحد أصحابه أنه يلبس قميصاً جديداً ولكنه يضع عليه رداءً قديماً فسأله عن ذلك؟ فقال الإمام ضاحكاً: إنما ألبس هذا الرداء ليكون أبعد لي عن الزهو والكبر..

ورئي عليه إزار خلق مرقوع فقيل له في ذلك، فقال: يخشع له القلب وتذل به النفس، ويقتدي به المؤمنون، إن الدنيا والآخرة عدوان متفاوتان وسبيلان مختلفان، فمن أحب الدنيا وتولاها أبغض الآخرة وعاداها، وهما بمنزلة المشرق والمغرب وماش بينهما كلما قرب من واحد بعد عن الآخر وهما بعد ضرّتان.

وكان يحمل التمر والملح بيده ويأخذ الطعام إلى عياله، وينشد:

لا ينقص الكامل من كماله ... ما جر من نفع إلى عياله.

وكان في السوق هو الذي يشتري، ويحمل ما اشتراه في طرف ردائه، وذات مرة رآه الناس فتبادروا إليه وقالوا:

يا أمير المؤمنين: نحن نحمله.

فقال: ربّ العيال أحقُّ بحمله».

هناك ظلمات في العقائد، كذلك توجد ظلمات في السلوك والتربية تجعل المرء مقيداً بها واسيراً لها فلا يستطيع الخروج منها لأنّ الإنسان في هذه الناحية أسير بيئته، والنبوّة مهمّتها لتخرج الناس من الظلمات إلى النور، والإمامة وظيفتها أن تجعل الناس تتحرك عملياً بالنور لساناً وتطبيقاً في الحياة العملانية، وتحررها من شياطين المزجة الكدرة وتدفعها إلى عالم الوعي والإرادة، وهذا ما قاله أمير المؤمنين: إنما أنا وأنتم عبيدٌ مملوكون لربّ لاربّ غيره، يملك منّا ما لا نملكه من أنفسنا، وأخرجنا ممّا كنّا فيه إلى ما صلحنا عليه ....

ماذا نشيم من أفعال المولى، هو أن الزهد ليس عبارة عن ترك الدنيا إلاّ في المحرمات والشبهات، وأما في المباحات فالزهد عبارة عن أن لا نملكك الدنيا مانستفيده من أبعاد الزهد هو أنه يقرّبُ إلى الحرية والتحرر، وبين الزهد والحرية روابط قديمة، فالحاجة والإفتقار ميزة ظاهرة ولانهاية لها، والإستغناء ميزة الحرية، فزادُ الأحرار القناعة، ليقللوا بذلك من حوائجهم المادية فيطلقوا أنفسهم من أسر الأشياء والأشخاص وقيودهما، هذا المفهوم من الزهد، يدفعنا إلى إجابة الشوق الروحي الذي يتمثل بالتخلص من أخطر القيود على الإنسان وهي الأمور النفسية من رغبات وأهواء لاحد لها، التي تعمل على أن تجره من إطاره الداخلي إلى إطارها الغريب، وبهذا الهبوط في الأهواء النفسية يستولي الشيطان على نوافذ الروح، ويضيق عليها با لأغلال فتستثقل ذكر الله وتنسى عالمها الأعلى، فتقبل على التجمل والتكيس بكماليات الحياة للحصول على القوة والقدرة بما يرضي إرادته، فينشأ من هذا الإرضاء إعجاب بالنفس فيعشقها، ويعمل بالمحافظة على هذه المكتسبات فيصبح ذليلاً لها عاجزاً أمامها، فتنقلب صورة المطلوب، وحينئذٍ يتحول ما كان

سبباً لقوته، إلى سبب ضعفه وسقوطه في دخيلة نفسه فيصبح عبد النفس والجشع قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [التين].

أما الأمور الخارجية التي تحمل على الإنسان بصورة قسرية كسياسة الأمر الواقع أو السلطة الجائرة، وأمثال ذلك، ليست خطراً حقيقياً وإن حدّت من حريته شيئاً، فالذي يتقيد بالزهد يتبع فطرته، لأن الإنسان يميل إلى فطرته وصف الصحابي أبو سعيد الخدري رسول الله ﷺ: إنه كان قليل المصارف يستطيع العيش بالقليل.

عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال: سمعت أمير المؤمنين يقول: الزهد في الدنيا قصر الأمل، وشكر كل نعمة، والورع عمّا حرم الله عليك.

وفي الكوفة رفض السكن في دار الإمارة، بل بنى إلى جنبها داراً متواضعاً، من ثلاثة غرف، وسكن فيه. ولا تزال آثار قصر الإمارة، وآثار مسكنه المتواضع إلى جنب القصر. هذا الخليفة العظيم كان يرقع ثوبه عند ولده الحسن الذي هو الإمام بعد أبيه، ليعلمه ويربيه على التواضع والزهد في متاع الدنيا الذي ينفس به الملوك والأمراء، وقد قال الإمام كلمته المشهورة:

والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها، ولقد قال لي قائل: ألا تنبذها يا أمير المؤمنين؟ فقلت: اغرب عني!، فعند الصباح يحمد القوم السرى». وكان يذكر الناس دوماً: ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعامه بقرصيه ألا وانكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهادٍ وعفةٍ وسداد. . .

إن الإعطاء وعمل الخير من المواساة، لذلك نرى الإمام زهد في حياته في الخلافة أكثر من أي وقت، وكان يقول: إن الله افترض على ائمة العدل:

أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كي لا يتبيغ بالفقير فقره.

فقد شكى اليه العلاء بن زياد الحارثي أخاه عاصم بن زياد، فقال له وما له؟ قال: لبس العباءة، وتخلى عن الدنيا! قال: عليَّ به، فلما جاء قال له: يا عُديّ نفسك! لقد استهام بك الخبيث! أرحمت أهلك وولدك؟ أترى أحلّ الله لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها؟ أنت أهون على من ذلك .! فقال: يا أمير المؤمنين! هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك؟

فقال: ويحك! إني لست كأنت، ان الله فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس.

وفي الكافي: عن أمير المؤمنين ﷺ قال: إن الله جعلني إماماً لخلقه ففرض عليَّ التقدير في نفسي ومطعمي ومشربي وملبسي كضعفاء الناس، كي يقتدي الفقير بفقري ولا يطغى الغني غناه.

وإذا تتبعنا الأوضاع التي كان فيها الإمام، كان الحاكم وبيت المال وكنوز الدنيا تحت يده ولكن ليعلم الناس كيف تلتف القاعدة الشعبية بقناعتها حول الحاكم، وترغب في حكومته فتتأسى الجماهير بأفعاله وتقتدي بأقواله قال: ولو شئت لا هتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز. ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطاناً وحولي بطونٌ غرثى وأكبادٌ حرّى . .

بهذا يعلّمُ الإمام أن القيمة التي يملكها الحاكم هي التي يتغنّى بها التاريخ ويتفوه بها الناس على مر الدهور، لا الذي يستأثر به الحاكم والمسؤول فيحتفظ من جنى الحكم والقيادة أموال الناس. أو يستبقي صوراً تذكاريةً واستعراضات رسمية ببروزها في الصالة ويتباهى بالمناظر

أ وينحتها عند شاهد قبره، والناس تلعنه كيف عاملهم وخاتلهم وسرقهم أو أنف من خدمتهم أو كره إستقبالهم.

قصة هارون الرشيد مع البهلول

كان الرشيد في طريقه إلى الحج فوجد قرب الكوفة بهلول المجنون، راكباً على قصبة وهو يعدو، وخلفه يعدو الصبيان يطاردونه.

فقال: من ذلك؟ قالوا بهلول المجنون.

قال: أشتهي أن أراه، فأتوني به غير مروع، فجاءوا به.

فقال: السلام عليك يا بهلول، قال: عليك السلام يا أمير المؤمنين. قال: كنت إليك في اشتياق. .قال البهلول لكني لم أشتق اليك. . .

قال: عظني. قال: وبما أعظك؟ هذه قصورهم وتلك قبورهم.

قال: أحسنت . . قال: يا أمير المؤمنين من رزقه الله مالاً وجمالاً، فعفّ في جماله، وواسى في ماله، كتب في ديوان الأبرار.

قال: قد أمرنا أن يقضى دَيْنُك، قال: بهلول: كلا لانقضي ديناً بدَين اردُدّ الحق إلى أهله، واقض دين نفسك بنفسك، يا أمير المؤمنين أتظن أن الله يعطيك وينساني؟ ثم عدا على قصبته راكضاً.

تواضعه

التواضع صفة رفيعة، ورصعة ملكوتية، وحالة روحانية طيبة، تسيطر على الإنسان تظهر ـ نتائجها في مفردات حياته في جلوسه ومشيه ومعاملته مع الآخرين لأنه يرى نفسه بعين الله، فالمستعين بالله يقول_ إياك نعبد وإياك نستعين ـ فالخطاب الحضوري للإنسان بإياك نعبد، بعين الله، هذه الرؤية تبعث الخشوع الدائم والتواضع المستمر لأنه زكاة الخشوع والحضور.

وروي عن الأئمة: دخل رجلان المسجد أحدهما عابد والآخر فاسق، فخرجا من المسجد والفاسق صدّيق والعابد فاسق، وذلك أنه يدخل العابد المسجد مدلٌّ بعبادته يدلُّ بها، فتكون فكرته في ذلك، وتكون فكرة الفاسق في التندم ويستغفر الله ممّا صنع من الذنوب.

قال الإمام: فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة، ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادرة، ولا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنوا بي إستثقالاً في حق قيل لي، ولا إلتماس إعظام لنفسي، فإنه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه.

خرج أمير المؤمنين ذات مرة وهو راكب على فرسه، فمشى البعض خلفه، فالتفت إليهم وقال لهم: ألكم حاجة؟ فقالوا: لا يا أمير المؤمنين، ولكنا نحب أن نمشي معك؟ فقال لهم: إنصرفوا، فإن مشي الماشي مع الراكب مفسدة للراكب ومذلة للماشي!.

وركب ذات مرة فمشوا خلفه، فالتفت إليهم وقال ﷺ: انصرفوا، فإن خفق النعال خلف أعقاب الرجال مفسدة لقلوب النَوْكى (الحمقاء).

كان الإمام يحب المتواضعين ويجالسهم ويفيض عليهم من هديه ولينمي هذه الخلة في الآخرين، ويكره المتكبرين ومجلستهم لأنها مفسدة للضعفاء وممية للقلب، ويمدح النبي سليمان ﷺ لتواضعه ويقول: كان سليمان إبن داؤود إذا أصبح تصفح وجوه الأغنياء والأشراف حتى يجيء إلى المساكين ويقعد معهم، ويقول: مسكين مع المساكين . . .

لقد أصبحنا والألم يحزّ في نفوسنا لأننا صرنا في زمن كادت تختفي فيه القيم الروحية السامية ومكارم الأخلاق.

أما المتكبر كلما بولغ في مدحه إزداد فرحاً، وانتشت نفسه طرباً مما يسمع، وتلفّت في أعطافه، ليمشي وقد أخذ منه الزهو مأخذه، ولا يكلف هذا الفعل سوى التدجيل والنفاق وسحر بعض النفوس البريئة بكلمات، والناس لا تطبل وتزمر إلا لمن ترى منفعتها عنده وتمرير مصالحها لديه، هذا الإبتناء من الإستيصال بينهما يولد النفاق ويزداد بوار الأخلاق وتفقد الثقة، لأن التواصل ابتنى على إقدحْ لي أضئ لك، أو ماذا أنتفع في هذه الفرصة قبل ذهابها، وبهذا تنمو الآثار الجاهلية، وتكبر الذنوب حقداً. كما تشكل احتراقاً للطاعات، وتحيّناً للإنقلاب على هذا التقاطع المشترك، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [سورة الفرقان، الآية: ٢٣].

الجود والسخاء والعطاء

كان الأمام أسخى الناس ما قال لسائل «لا». حتى إعترف بذلك عدوه ومبغضه الذي يجتهد في البحث عن عيبه.

ولما سأل معاوية أبا محجن الثقفي فقال له: جئتك من عند الغبي الجبان البخيل ابن أبي طالب، فقال معاوية: ويحك كيف تقول؟ أتدري ما تقول؟ أما قولك: إنه الغبي، فوالله لو أن ألسن الناس جمعت فجعلت لساناً واحداً لكفاها لسان عليّ، وأما قولك إنه جبان، فثكلتك أمك، هل رأيت أحداً قط بارزه إلاّ قتله؟ وأما قولك إنه بخيل، فوالله لو كان له بيتان أحدهما من تبرٍ والآخر من تبنْ، لأنفد تبره قبل تبنه، وهو الذي يكنس بيت المال ويصلي فيه والذي قال: يا صفراء ويا بيضاء، غري غيري. وهو الذي لم يخلف ميراثاً وكانت الدنيا كلها بيده إلا ما كان من الشام.

فقال الثقفي: فعلامَ تقاتله إذاً؟ قال: على دم عثمان وعلى هذا الخاتم الذي من جعله في يده جادت طينته، وأطعم عياله وادخر لأهله. فضحك الثقفي والتحق بعليّ..

وقال الإمام: الكريم يرى مكارم أخلاقه ديناً عليه يقضيه، واللئيم يرى سوالف إحسانه ديناً له يقتضيه...

فلذلك إن الكريم يبحث عن ذوي الحاجات والعوز ليعطيهم، كما يبحث أحدنا عن الجوهر، فالسخاء عند الإمام يزرع المحبة، ويثمر

الصفاء، ويزين الأخلاق وهو ثمرة العقل. أما البخل عند الإمام: جامع لمساوئ العيوب، وهو زمام يقاد به إلى كل سوء. وبالبخل يشقى المجتمع وتسوده نوازع الحسد والبغضاء والكيد، من أجل ذلك دعت الشريعة إلى عمل الخير كالسخاء والكرم والعطاء، فيسعد المجتمع ويتذوق حلاوة السلام ويستشعر الفقير والغني روح التعاطف، لأن الكرم وابتاء الحقوق صمام أمان في المجتمع وضمان صفائه، فالموسرون المتقاعسون عن إسعاف الناس أبعد الناس عن الإسلام.

قال النبي ﷺ: من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم.

قال الباقر: شاب سخي مرهق في الذنوب أحب إلى الله من شيخ عابد بخيل.

ـ جاء سائل إلى علي ﷺ فنظر إليه وقد تغير وجهه من الحياء، فقال له: اكتب حاجتك حتى لا أرى ذل المسألة في وجهك. فكتب:

لم يسل لي شيء، يباع بدرهم ... يغنيك حالة منظري عن مخبري
إلا سفيه ماء وجهِ صيانه ... أن لا يباع ونعم أنت المشتري

فأمر الإمام بحملٍ يحمل وفيه من الذهب والفضة، ثم قال:

عاجلتنا فأتاك عاجل برنا فلا ... ولو أمهلتنا لم تقتر
فحد الفليل وكن كأنك لم تبع ... ما صنته وكأننا لم نشتر

❀ ❀ ❀

ـ كان الإمام يعاتب من لا يشجع على الكرم، أو يدعو إلى البخل، وقد روي: أن أمير المؤمنين ﷺ بعث إلى رجل بخمسة أو ساق من تمر، فقال له رجل: والله ما سألك فلان، ولقد كان يجزيه من الخمسة أوساق، وسق واحد، فغضب ﷺ وقال له: لا كثّر الله في المؤمنين مثلك، أعطي أنا وتبخل أنت.

فالبخل سجية خسيسة، ولؤم نفسي يمحق الخلال الحميدة، ويزعزع اليقين ويحرك الشك والنزعات المقيتة والعروق البغيضة. وعن الصادق ﷺ عن أبائه: أن أمير المؤمنين ﷺ سمع رجلاً يقول: إن الشحيح أغدر من الظالم،

فقال: كذبت إن الظالم قد يتوب ويستغفر، ويردّ الظلامة عن أهلها، والشحيح إذا شحّ منع الزكاة والصدقة وصلة الرحم وقرى الضيف، والنفقة في سبيل الله تعالى، وابواب البر، وحرام على الجنة أن يدخلها شحيح.

وقال الإمام الصادق ﷺ كان علي أشبه الناس برسول الله، كان يأكل الخبز والزيت، ويطعم الناس الخبز واللحم.

وقد روى ابو الطفيل عامر بن واثلة قال: اشترى علي ﷺ ثوباً فأعجبه، فتصدق به وقال: سمعت رسول الله يقول: من آثر على نفسه آثره الله يوم القيامة بالجنة، ومن أحب شيئاً فجعله لله قال الله تعالى يوم القيامة: قد كان العباد يكافئون فيما بينهم بالمعروف وأنا أكافيك اليوم بالجنة.

وللشاعر بولس سلامة:

يا أمير الإسلام حسبي فخراً ... أنني منك مالي؟ أصغريا
جلجل الحب في المسيحي حتى ... عُدّ من فرط حبه علويا
يا سفير الا له من بعد طه ... ما أرى الكون مثله آدميا
ولئن لم يكن علي نبياً ... فلقد كان خلقه نبوياً
يا سماء اشهدي ويا أرض قري ... وأخشعي أنني أحب علياً

❀ ❀ ❀

الوفاء

الوفاء فضيلة، والغدر رذيلة. ذلك لأن الوفاء شرف الكرام والغدر سلاح اللئام. وما أحوج الذين لهم مكانة في المجتمع، من الزعماء والحكام وأصحاب المناصب إلى التزام الوفاء وأداء الأمانة، لتستمر زعامتهم ولكنهم إغتصبوها بالحيل والمكر وبإذلال الناس من خلال العمل على تجهيلهم وتفقيرهم. حتى رأينا من عادات أصحاب المناصب والمراكز والتيجان. الغدر والخيانة وكأنها وسيلة مشروعة لإرتقاء سلالم الحكم، معتبرين ذلك من الحيل الكيسة التي يجوز التوسل بها في السياسة لأن الغاية تبرر الوسيلة، والحق والباطل بنظرهم ما يدور مع مصلحتهم، وكان الإمام يعتبر الغادر والخائن ممن لا يجوز الوفاء معه فمن كسر حرمة الوفاء، فلا بد من الموقف تجاهه بالشدة.

من الطبيعي أنه في ظل حكومة الجبابرة والجهلاء واستعباد الناس والأمراء، تتوفر الأرضية لنمو غدّة الفساد والفحش بين الفئات غير الصالحة والفاسقة، فيتحول الفاسقون الّذين يمثلون حزب الشيطان إلى عملاء للنظام وجواسيس للحكّام ويقفون بوجه الصالحين ويزرعون المؤامرات والبغضاء بين الناس، وخاصة توزيع الشبهات والتهم، ولأنّ الأرضية مهيأة لنمو الفساد وانتشاره فمن الطبيعي أن تصبح الأجواء العامة للمجتمع أجواء مسمومة وفاسدة، يُقضى فيها على أرضية نمو الفضيلة، وانتشارها، وهذه الكارثة (تؤول إلى مسخ النفوس). إذ للحكام أثر بليغ في حياة الأمم والشعوب، وحالاتها، رقيا وتخلفا، سعادة

وشفاء، تبعا لكفاءة الحكام، وخصائصهم الكريمة، أو الذميمة فالوفاء من الحكام ينزع الناس إلى تقليد القيادات والحكام والعظماء تشبهاً بهم ومحاكاة لهم، ورغبة في جاههم ومكانتهم.

ولذلك قال مولانا ﷺ: والله لا يزالون حتى لا يدعو لله محرماً إلا استحلوه، ولا عقداً إلا حلّوه، حتى لا يبقى بيت مدرٍ ولا وبرٍ إلا دخله ظلمهم ونابه سوء رعيهم، وحتى يقوم الباكيان يبكيان: باكٍ يبكي لدينه، وباكٍ يبكي لدنياه.

وهكذا تتحول الأحكام والشرائع والقوانين إلى لعبة تتحكم بها الرغبات الدنيّة والأهواء النفسيّة تبعاً لمصالح الطبقة الحاكمة وبذلك تنتهك الحرمات، ولذلك حذّرنا مولانا من التسامح معهم والتغاضي عنهم.

قال ﷺ: الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله، والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله. وقال ﷺ: لا أداهن في ديني، ولا أعطي الدنيئة في أمري.

يقول العقاد: الخلاف بين مبادئ الخلافة الدينية ومبادئ الدولة الدنياوية وضرورة الفصل بين هاتين الخطّتين. وان كان في ظاهره فصلاً بين رجلين . . .

إنه لم يكن طبيعياً أن يصمد الناس على سنة النبوة أكثر من جيل واحد، ثم تثوب بعده الطبائع إلى فطرتها من نشأ خلال الخلافة النبوية، وهي في إبان النضال والحمية الدينية، فتنسى المطامع وتسمو عن الحزازات، وتستعذب الألم والفداء إلى مدى الطاقة الإنسانية. ولكنها تبلغ مدى الطاقة الإنسانية بعد حين، وتفتر عن النهوض من قمة إلى قمة. فتركن آخر الأمر إلى الأرض السواء حيث لا حافز ولا مستنهض، إلا مجاراة الطبيعة في مجاريها التي لا تشق عليها، وإن المصلحين

ليرضون غاية الرضا إذا هي حفظت من إصلاحها عند ذلك وازعاً يهديها بعد ضلالة عمياء، ويردعها بعد جماح مريد، ويكفكف من غلوائها ما كان من قبل منطلقاً بغير عنان . . . انتهى.

ولكن الإمام أسس قاعدة تبعث على الإطمئنان والصلابة في الرؤية التي لا تزيغ، قال الإمام ﷺ: علامة الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك، وألا يكون في حديثك فضل على علمك، وأن تتقي الله في حديث غيرك . . .

الأمام في مطعمه وملبسه

إن من يعمل للآخرة لا تسقطه الدنيا، ومن استيقن بالنهاية زهد بالبداية، ومن تذكر الموت والبلى عمل الخير واستهدى، وشتان ما بين من انشغل بالصلاح، ومن انشغل باللذات وجعل الدنيا آخرته ومنتهى بصره، لأنه يدخر الأموال ليحسن موقعه بالنفاق والغدر وبالوسائل النفعية الضيقة ولأن الدنيا صارت محطة ترحاله ومنتهى أحلامه، فهذا النوع لا يرضيه شيء، كلما نال شيئاً إستطال إلى آخر، وينقضي عمره لاهثاً وراء البريق واللميع. ومن أراد النجاة وكيف يبصر الدنيا وعيوبها وتموجاتها فليأتِ ساجداً إلى فناء الإمام عليه السلام عن سويد بن غفلة، قال: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام القصر فإذا بين يديه فعب فيه لبن أجد ريحه من شدة حموضته، وفي يده رغيف ترى قشار الشعير على وجهه وهو يكسره ويستعين أحياناً بركبته، وإذا جاريته (فضة) قائمة على رأسه. فقلت لها: يا فضة أما تتقون الله في هذا الشيخ لو نخلتم دقيقه؟ فقالت: إنا نكره أن يؤجر ونأثم، وقد أخذ علينا أن لا ننخل له دقيقاً ما صحبناه، فقال علي عليه السلام، ما يقول؟ قلت: سلْه؟ فقلت له: قلت لها: لو ينخلون دقيقك فبكى، ثم قال: بأبي وأمي من لم يشبع ثلاثاً متوالية من خبز بر حتى فارق الدنيا ولم ينخل دقيقة. - يعني «رسول الله صلى الله عليه وآله».

عن ابن المسيب: قال خرج أمير المؤمنين يوماً من البيت، فاستقبله سلمان فقال له: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟ قال أصبحت يا مولاي في غموم أربعة! فقال له: وما هنّ؟ قال غم العيال يطلبون الخبز

والشهوات، والخالق يطلب الطاعة، والشيطان يأمرنا بالمعصية، وملك الموت يطلب الروح، فقال له يا أبا عبد الله: دخلت على رسول الله: فقال لي يا علي كيف أصبحت؟ قلت: أصبحت وليس في يدي شيء غير الماء وأنا مغتم لحال فرخي الحسن والحسين، فقال لي يا علي: غمُّ العيال سترٌ من النار، وطاعة الخالق أمان من العذاب، والصبر على الفاقة جهاد، وأفضل من عبادة ستين سنة، وغم الموت كفّارة من الذنوب، واعلم يا علي أن أرزاق العباد على الله وغمّك لهم لايضرُّ ولا ينفع غير أنك تؤجر عليه وأن أعمَّ الغم غمُّ العيال.

وعن معاوية بن عمار، قال حدثنا جعفر بن محمد ﷺ: قال ما اعتلج على علي أمران قط، إلا أخذ بأشدهما، وما زال عندكم يأكل مما عملت يده يؤتى به من المدينة، وكان يأخذ السويق فيجعله في الجراب ثم يختم عليه مخافة أن يزاد فيه من غيره، ومن كان أزهد في الدنيا من علي ﷺ. وهذا ما أشار به إلى نفسه قائلاً: أأقنع من نفسي بأن يقال هذا أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش؟ فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها، أو المرسلة شغلها تقممها، تكترش من أعلافها... إلى أن قال: أتمتلئ السائمة من رعيها فتبرك وتشبع الربيضة من عشبها فتربض، ويأكل علي من زاده فيهجع، قرت إذاً عينه، إذا إقتدى بعد السنين الطوال بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعية...

وقد زاره رجل من أصحابه فطلب الطعام، ولم يكن أمير المؤمنين موجوداً، فأخرج إليه أبناؤه قصعة فيها مرق الحبوب، فقال: تطعمون من هذا وأنتم أمراء الناس! قالوا: كيف لو رأيت طعام أمير المؤمنين!!

كان ملبسه الإقتصاد، وكان يرقع ثوبه عند ولده الحسن، وقد قال كلمته الشهيرة: والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى إستحيت من راقعها ولقد قال لي قائل: ألا تبذلها؟ فقلت: اغرب عني، عند

الصباح يحمد القوم السرى وقيل له: لم ترقع ثوبك؟

فقال: ليخشع القلب، ويقتدي به المؤمنون.

أما عن بساطة ثيابه فقد روي أنهم رأوه يحمل تمراً في ردائه، فقيل له: أعطنا نحمل عنك؟ فقال: ومن يحمل عني أوزاري يوم القيامة؟ فانطلق للبيت، ثم رجع مرتدياً الشملة ذاتها، وفيها قشور التمر، فصلى بالناس فيها الجمعة.. بينما الأمراء والحكام يلهثون وراء المال ويتكالبون على عظام الدنيا من سلطة ونساء ونهب لأموال الناس، قد إغتروا بالمال والثروة والخراج يجبى إليهم، حتى في عصرنا من الناس ممن يدعي الإسلام ولبوسه (فيه روح الدهقنة والبكوات والرئاسة تفتح لها مناخيره وذكرها يطربه)، ومنهم إذا رأى صورته في الشارع أو موزعة في البزارات، ويذكره الناس بأنه مرشح للنيابة أو البلدية أو ..أو.. هشّ وبشّ والتفت في أعطافه، متقصياً الأخبار ماذا يقول عني الناس هل هم من أزلامي وهل أصواتهم بجيبتي، ويعدد عيوب منافسيه أو الذين سبقوه وإذا وصل إرتمى في طنجرة البخار، وتعجرف في تعامله، وطبخ الحصى للأيتام والفقراء وياللأسف صرنا في سوق النخاسة ومزارع الفراريج وقريباً في مزارع الحناكليس وبرك الضفادع، وما أدراك ما نقيقها إنه التصفيق والتطبيل لحياته واستمرار عظمته وصنميّته، وهذا يعود لبعدنا عن الله وإلى فضل النظام الإستعماري ولكن هل تعلم أنّ لفظة إستعمار هي من الإعمار إلاّ أننا ما عشناها إلاّ ذلاً وإراهاباً وقمعاً ودماراً، والفضل يعود إلى أصحاب البطون المتدلقة، والبنوك الربوية، والزناة وأنصاف الساسة والسماسرة الذين تمرسوا في البيع والشراء بأصوات الناس ولو للشيطان، وكأن كل شيء عندنا على طاولة القداح والنرد، فالغلبة لمن ظفر بالجوكر أو واتاه الزهر، ويا للأسف حتى المتسلفين الصغار يتراكضون ليلتحقوا بموكب الدجالين، ويتاجروا بضمائر الناس، ويتمردوا على الأمة والبسطاء، إنها حملات المكور والفجور يطيش بها

الناس في شباك الأماني والأحلام، وكل ذلك من جراء بعدنا عن الله وعن الإسلام، وإبتعاد أهل الخبرة والدين عن مواجهة المتاجرين والعشارين، ليكشفوا دجلهم.

تعال يا أخي واقرأ لمن كان يحكم نصف الأرض وأمره نافذ وقوله لا مرد له روي: أنه ﷺ كان يطوف الأسواق، مرتدياً برداء ومعه الدرة، كأنه إعرابي، فطاف مرة حتى بلغ سوق الكرابيس، فاشترى من غلام كان هناك قميصاً بثلاثة دراهم، فلماجاء أبو الغلام، وعرف أن ولده باع أمير المؤمنين القميص بثلاثة دراهم، جاء الرجل ليرد للإمام درهماً، فقال الإمام: ما هذا؟.

قال الرجل: يا مولاي إن القميص الذي باعكه إبني كان يساوي درهمين. فلم يأخذ الإمام الدرهم، وقال: باعني برضاي، وأخذ برضاي».

أمير المؤمنين وقائد المسلمين يلبس ثوباً بثلاثة دراهم، ويأكل الجشب ويلبس الخشن، والإمبراطوريتان الفارسية والرومانية سقطت بأيدي المسلمين، وهو الذي يقول: لو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفّى العسل، ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة....

وكثير من الصحابة والتابعين قد اغتروا بجمع الثروة والضياع، أما الإمام رفض ترك البساطة في الحياة ويعتبر البساطة والمواساة قيمة وقدرة، أشار إلى ذلك: فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً، ولا ادخرت من غنائمها وفراً، ولا حزت من أرضها شبراً، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً، ولا أخذت منها ـ الدنيا ـ إلا كقوت أتان دبرة، ولهي في عيني أوهى وأوهن من عفصة مقرة..

لقد حكم الناس خمس سنين تقريباً ما وضع آجرة على آجرة ولا لبنة على لبنة، ولا قصبة إلى قصبة، ولا أورث بيضاء ولا صفراء...

قال ﷺ: علم النفس بالقنوع وإلا طلبت منك فوق ما يكفيها

العدل عند الإمام

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [سورة النساء، الآية: ٥٨].

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٥٢].

قال ﷺ: كفي وكف علي في العدل سواء، ويدي ويد علي بن أبي طالب في العدل سواء.

قال امير المؤمنين ﷺ: أفضل الولاة من بغى بالعدل ذكره، واشهده من يأتي بعده.

قال الإمام علي ﷺ: من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم.

لو حذفنا العدالة من الحياة فأي قيمة للحياة، وأي مزية للوجود، فالحكم الذي ليس فيه عدل ينتج العداوة والبغضاء والمزيد من إراقة الدماء، من أين يأتي الظلم؟ من حيث يبخس العدل، فالعدل كالوجود لا يتحقق الموجود إلا بتعينه الوجودي، فالعدل مطلوب في كل شيء ومن كل أحد، وفي كل المواقع لأنه «فضيلة الإنسان» ومن دونه يفقد الإنسان كرامته وتسلب إنسانيته. وهو قوام الملك وبه نجاح الولاة لأنه

مطلوب من الولاة أكثر من أي شيء آخر، وأولاهم بالتحلي به، فالعدل أبلغ أثراً في حياة الناس.

قال عليه السلام: العدل قوام الرعية وجمال الولاة.

العدل في الخلق عبارة عن ملكة نفسانية، مصدرها الحكمة والعفة والورع،

إن عدالة الإمام علي التي كان يطبقها حتى مع أقرب أفراد أسرته بشكل صارم، ناشئة من زهده وتقواه المنقطعة النظير.

ورد في الآثار أن صبيين ارتفعا إلى الحسن بن علي عليه السلام في خط كتباه وحكماه في ذلك ليحكم أي الخطين أجود؟ فبصر به علي عليه السلام فقال:

انظر كيف تحكم فإن هذا حكمٌ والله سائلك عنه يوم القيامة.

نستوحي من كلامه عليه السلام الدقة في كل حكم وهذا في الخط! فكيف الحكم بالأنفس أو الحقوق، مع العلم أن الحسن إمام ابن إمام لايحكم إلا بالعدل. فماذا يريد الظالمون سوى الدنيا، وطلبها الذي يشي بالدناءة ثم يؤول الأمر إلى الطمع وقبول الرشوة والفساد في الأرض والترفع عن عامة الناس وتجاهل مطالبهم، والإستماع لشكواهم، لعدم الإنتفاع والكسب منهم، فعند ذلك يعم الجور والظلم والطغيان، وخصوصاً إذا كانت هذه الأمور تصدر من الحكام وأهل النفوذ والسلطة؟.

قال الإمام لإبنه: يا بني إجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فأحبّ لغيرك ماتحب لنفسك، واكره له ماتكره لها، ولا تظلم كما لاتحب أن تظلم، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك، وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك، ولا تقل ما لا تعلم وإن قلّ ما تعلم، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك.

جميع المظالم والرذائل تنبع من حبّ الشهرة والمال واللّذة والرئاسة وأمثال ذلك، أما الإنسان الّذي يرى في الدنيا تسابقاً إلى عمل الخير ومضماراً، ليفوز بالمعاد ويكسب رضا الله والخلاص من عذابه، فيرى خدمة الناس من الواجبات ولا يدرك ذلك إلا من لم ينطفء مصباح عقله، ومن طهّر نفسه من الجشع والزلل.

قال عليه السلام: وإنّ أفضل قرّة عين الولاة استقامة العدل في البلاد وظهور مودة الرعية، وإنه لا تظهر مودّتهم إلا بسلامة صدورهم، ولا تصحّ نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاة الأمور وقلة استثقال دولهم، وترك استبطاء انقطاع مدتهم...

لو اتبع مسؤولو البلاد أسلوب العدالة مع الشعوب فسوف تنجذب إليهم القلوب بالمودة، وتحلّ منها العقد، وهذا ما يضمن تعزيز أركان الدولة وتوطيد أواصرها بالشّعب.

إذ حينما يتأكد الشعب بوجود محور الحق والعدل، فسوف يسلك الطريق المنطقي، في حين أن اليأس من العدالة يجرّ الناس إلى المكائد والاستغلال الخاطيء والرشوة والمخالفة، وتصبح الأخلاق والمعنويات في المجتمع عرضة للضربات والأضرار.

فسياسة الإمام في الحكم، قال: الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له، والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه.

الناس لا تنظر إلى الحاكم لهيبته وأولاده وأمواله، بل يريدون منه عدله، ومراعاة حقوقهم وتأمين حاجاتهم.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أول من يدخل النار أمير متسلط لم يعدل، وهو رابع أربعة من أشد الناس عذابا يوم القيامة: إبليس، وفرعون، وقاتل النفس ورابعهم الأمير الجائر.

قال أمير المؤمنين ﷺ: ليس أمري وأمركم سواء، وإني أريدكم لله وأنتم تريدونني لأنفسكم، وايم الله لأنصحن للخصم، ولأنصفن للمظلوم.

وقال ﷺ: إن في العدل سعةً، ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيق.

هذا الكلام قاله الإمام ﷺ وذلك أن ميزان العدل مال في عهد عثمان بن عفان لمصلحة عشيرته وحفنةٍ من المتزلفين الذين ظلموا العباد، وأشاعوا الفساد، وصادروا أموال العامة، وذلك أن الخليفة الثالث لما ولي أمر المسلمين، أطلق يدي الأقارب والأعوان في كل الموارد والمصادر في النجاء والثروة، منقاداً الخليفة الثالث بذلك إلى آراء بطانة السوء. ولما صحح الإمام علي ﷺ ميلان ميزان الخليفة عثمان، قال ابن عباس، فقال عثمان: لك العتبى، وافعل وأعزل من عمالي كل من تكرهه ويكرهه المسلمون». ثم إفترقا، فصده مروان ابن الحكم عن الحكم عن ذلك، وقال: يجترئ عليك الناس فلا تفعل ولا تعزل أحدا، ففعل عثمان ما أوصاه مروان.

سنتنج أنّ عثمان كان محكوماً بعصبيته ومشورتهم وإلاّ لمَ خالف عثمان الإمام علي ﷺ واستمع إلى مروان. والمعروف أنّ عثمان كان يقول: لو أنّ بيدي مفاتيح الجنّة لأعطيتها بني أمية حتى يدخلوا الجنة عن آخرهم. وظهرت مطامع بني أمية بعد أن فتح الباب على مصراعيه، وهذا ماعبّر عنه أبو سفيان في جمع ضمّ بني أمية في دار عثمان، إذ سأل: أفيكم أحد من غيركم؟ فما إستيقن صفاء الجو، حتى راح يقول:

قد صارت إليكم بعد تيم وعديّ، فأدرها كالكرة. واجعل أوتادها بني أمية. فو الذي يحلف به أبو سفيان مازلت أرجوها لكم. ولتصيرنّ إلى صبيانكم وراثةً ، وإنما هو الملك، ولا أدري ما جنّة ولا نار. ثم

ينجه إلى قبر الحمزة، ليطفئ لهبةً من الحقد، لا تزال تستعر في داخله وها هي اليوم بنظره تنطفئ، فركل القبر برجله وفحّ صوته البغيض: يا أبا عمارة إنّ الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف، أمسى في يد غلماننا يتلعبون به.

أحاط بنو أمية بعثمان ووصلوا إلى تحقيق مآربهم وأطماعهم بإسمه من حيث لايدري.(تاريخ الطبري): فكانوا سبباً مباشراً للمشاكل التي تعرض لها والتي أدّت إلى مقتله. وذكر الطبري: إنّ أول من إعتدى على عثمان بالمنطق السيئ: جبلّة بن عمر الساعدي واتهمه بالتحيز لبطانته من الأمويين وعلى رأسهم مروان ومعاوية وعبد الله بن أبي سرح. وكان الإمام من جملة من لاموا عثمان على تقريبه بني أمية وتسليطهم على رقاب الناس.

ولما تولى الإمام علي ﷺ الخلافة قال: وايم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه، ولأخذن الظالم بخزامته حتى أورده منهل الحق وإن كان كارهاً».

وقد سئل الإمام مرةً: أي ذنب أعجل عقوبة؟ فقال: ظلم من لا ناصر له إلا الله، وجاور نعمة الله بالتقصير، واستطال بالبغي على الفقير.

ولما أمر الإمام كاتبه عبد الله بن أبي رافع تقسيم المال بالسوية، قال له: ابدأ بالمهاجرين فنادهم وأعط كل رجلٍ، فمن حضر ثلاثة دنانير، ثم ثنّ بالأنصار فافعل معهم مثل ذلك، ومن يحضر من الناس كلهم الأحمر والأسود فاصنع به مثل ذلك.

فقال سهيل بن حنيف: يا أمير المؤمنين هذا غلامي بالأمس، وقد أعتقته اليوم، فقال: نعطيه كما نعطيك، فأعطى كل واحدٍ منهما ثلاثة دنانير، ولم يفضل أحداً على أحد.

وخطب الإمام: أيها الناس إن آدم لم يلد عبداً ولا أمةً، وان الناس كلهم أحرار، ولكن الله خوّل بعضكم بعضاً، فمن كان له بلاء فصبر في الخير فلا يمنّ به على الله تعالى، ألا وقد حضر شيء ونحن مسوون فيه بين الأسود والأحمر، فقال مروان لطلحة والزبير: ما أراد بهذا غيركما، قال: فأعطى كل واحدٍ ثلاثة دنانير، وأعطى رجلاً من الأنصار ثلاثة دنانير، وجاء بعده غلام أسود فأعطاه ثلاثة دنانير، فصاح الأنصاري: يا أمير المؤمنين!! هذا عبد أعتقته بالأمس تجعلني وإياه سواء؟

فقال عليه السلام: إني نظرت في كتاب الله فلم أجد لولد إسماعيل على ولد إسحاق فضلاً، روى أبو إسحاق المدائني: أن إمرأتين أتتا علياً عليه السلام إحداهما من العرب والأخرى من الموالي، فسألتاه فدفع إليهما دراهم وطعاماً بالسواء، فقالت احداهما: إني إمرأة من العرب وهذه من العجم؟ فقال: إني والله لا أجد لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلاً على بني إسحاق

وإذا سبر المرء الروايات في سيرة الإمام يجد في سيرته العدل والخير والقدرة على إعطاء كل ذي حق حقه، وجميع المكارم والفضائل، والصفات الكمالية التي تنفتق من وهج شخصيته ولو إتسع له الناس والزمان لأودعهم صفاتٍ إلهية وعلوماً كثيرة، مما يبهر العقول ويدك به النفوس في طاعة الله، وهذا دليل على أن الكمال من ماهيته، فبه عرف الحق والباطل وفيه إمتاز الخلق. وإليه هفت القلوب في الأظلة والأشباح أجانه.

عـلـيٌ حـبـه جـنـة ... قـسـيـمُ الـنـار والـجـنـة
وصـيُ الـمـصـطـفـى حـقـاً ... إمـام الإنـس والـجـنـة

وكان الإمام تأخذ منه الخلائق والكائنات ما استطاعت. ومن أبعد من هذا أن أعدائه وجاحديه كانوا يسترزقونه ويستدرونه حوائجهم.

فقد ورد: أن أمير المؤمنين دخل ليلة بيت المال يكتب قسمة الأموال، فورد عليه طلحة والزبير، فأطفأ السراج الذي بين يديه، وأمر بإحضار سراجٍ آخر من بيته، فسألاه عن ذلك؟ فقال: كان زيته من بيت المال، لا ينبغي أن نصاحبكم في ضوءه.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما ولي علي عليه السلام صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إني والله، لا أرزؤكم من فيئكم درهما ما قام لي عذ ق بيثرب، فلتصدقكم أنفسكم أفتروني مانعاً نفسي ومعطيكم؟ فقام إليه عقيل فقال له: أتجعلني وأسود بالمدينة سواء؟ فقال: اجلس، أما كان ههنا أحد يتكلم غيرك؟ وما فضلك عليه إلا بسابقةٍ أو بتقوى».

إن الإمام لم يكن عنده سكرتير أو مدير مكتب يتمتع بصلاحية مطلقة بلا رقابة ولا حساب، فيسجل مواعيد المقابلة على رغبته، فيتمرد على الناس ويعبس في وجوه الوفود لأنه وراء طاولة والقبول والرفض بيده، ويستغل مركزه عند الإمام فيجعل نهمه ورشوته على حساب مركزه، أبدا بل كان بابه مفتوحاً وصورته مرئية للجميع، وقريبة من كل الناس، هذه الصفات الكريمة كانت لطفاً وأنساً لكل الناس، فاستجابت للكل، فقد اشتكى بعض العمال من غير المسلمين إلى الإمام أحد عماله، وكان لا يتورع عن إلحاق الظلم بهم، فكتب الإمام إلى واليه، يقول:

اتق الله ولا تبع أهل الفبلة، ولا تظلم أهل الذمة، فإن الله لا يحب المتكبرين، «واعلم أن من آذى إنجيليا فقد آذاني».

يقول العقاد: يجب الرفق بالرعية على كل والٍ فلا إرهاق ولا إستغلال حتى ولو كانت الحكومة هي صاحبة الحق في المال - ومثال ذلك أن تتراكم الضرائب المالية للحكومة على أي إنسان ويعجز عن الوفاء لسببٍ أو لآخر - فلا يسوغ وهذي الحال أن يسجن أو يصادر

شيء مما يضطر إليه في حياته وحياة من يعول. ومن وصيته ـ الإمام ـ لولاته: أنصفوا الناس من أنفسكم واصبروا لحوائجهم ... ولا تحمسوا أحداً عن حاجته ولا تحبسوه عن طلبته». هذا هو التعريف الجامع المانع للعدالة الإجتماعية القائمة على سد الحاجات لجميع الناس وقضائها بغض النظر عن عقائدهم وصفاتهم ومؤهلاتهم.

هذا العدل لدن الإمام اطمأن إليه العبيد والأسياد، والجواري والخدم والملوك. فكان أعداؤه لا يخافون جوره، بينما كان أصحابه يخافون جور أعدائه، كان الإمام كالقرآن كل يطمئن إليه ويأخذ حاجته، ولاينفد ما عنده

فقد روي في معركة صفين وفي ليلة الهرير، حيث كاد أصحاب الإمام أن يهزموا جيش معاوية، ففي تلك الليلة كان معاوية يضع رجله في ركاب فرسه ليفرّ وينجو بنفسه.. فنزل وقال: إنما هي الليلة حتى يغدو عليها بالفيصل! فما ترى ياعمرو؟ قال: عمرو بن العاص وقد برحت الهزيمة: إن رجالك لا يقومون لرجاله، ولست مثله! هو يقاتلك على أمر وأنت تقاتله على غيره. أنت تريد البقاء، وهو يريد الفناء، وأهل العراق يخافونك إن ظفرت بهم، وأهل الشام لا يخافون علياً إن ظفر بهم..

إن العدل لم تتوفر حقيقته إلا في أمير المؤمنين ﷺ فاندكت الصفة الإلهية في الذاتية العلوية فقام علي بالنورانية إذ أجمع الناس من أهل الوبر والمدر على عدله ورأفته. ونطق له ما دب ودرج وما يبس وصلد بأنه عدل كله، لا العاطفة تأخذه بشيء ولا القرابة ولا الوجاهة تأخذ منه شيئاً.

ودليل ذلك. ترك التفضيل لنفسه وولده على أحد من أهل الإسلام، إذ دخلت عليه أخته أم هاني بنت أبي طالب، فدفع إليها عشرين درهما، فسألت أم هاني مولاتها العجمية، كم دفع إليك أمير المؤمنين؟ فقالت:

عشرين درهماً، فانصرفت مسخطة إليه! فقال لها: إنصرفي ـ رحمك الله ما وجدنا في كتاب الله فضلاً لإسماعيل على إسحاق).

وبعث إليه من البصرة من غوص البحر، بتحفةٍ لا يدرى ما قيمتها، فقالت ابنته أم كلثوم لأبيها: أحبُّ أنْ أتجمل بها وتكون في عنقي؟ فقال: يا أبا رافع لا تدخلها إلى بيت المال. ليس إلى ذلك سبيل، حتى لا يبقى امرأة من المسلمين إلا ولها مثل ذلك.

وإذا التفتنا إلى دقة الصراط والحدّ من شفرة العدل لو جدنا هذا الصراط في الكمال العلوي الذي ينساب من فمه الشريف لقوله: والله لو أعطيت الأقاليم السبعة ـ بما تحت أفلاكها ـ على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته، ما لعليٍّ ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى؟ نعوذ بالله من سبات العقل، وقبح الزلل وبه نستعين.

وخير دليل على دقة عدله ما حدث في صفين حين استولى جيش معاوية على الماء. وحرموا منه علياً وجنده وهم يقولون له: ولا قطرة ماء حتى تموت عطشاً واستطاع جيش علي أن يتغلب على جيش معاوية، ويستولي على الماء فقال لأصحابه: خذوا من الماء حاجتكم، وارجعوا إلى عسكركم وخلوا عنهم، فأن الله قد نصركم عليهم بظلمهم وبغيهم».

لقول الإمام ﷺ: الإستصلاح للأعداء بحسن المقال، وجميل الأفعال، أهون من ملاقاتهم ومغالبتهم بمضيض القتال..

ومن كلام له وقد سمع قوماً من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حرب صفين: إني أكره لكم أن تكونوا سبابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم: اللهم أحقن دماءنا ودماءهم وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الباطل والغي والعدوان من لهج به.

وعلى كل حال فإن أهم ما يجب أن يتمتع به المرء هو العدل قولاً وفعلاً مع الخصم والعدو، وعدم الإنجرار وراء الغضب والتشفي في مواجهته، أليس الإمام هو القرآن الناطق، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٨].

يا أخي فلو إفترضنا أن العدو لا يلتزم بالأخلاق ولا بأصول العدل، ولا بأية قيمة، فإن علينا أن نلتزم بها حيث أن ذلك جزء من إحترامنا لقيمنا وتعاليم ديننا، فلا نتجاوز العدل حتى مع اللدود، ولا نتنازل عن الأخلاق حتى في مواجهة من يدوس عليها. لقوله عليه السلام: كفى بنصر الله لك، أن ترى عدوك يعمل بمعاصي الله فيك.

هذا هو الحق يدور مع علي وعلي يدور مع الحق، لا أحد كان يخاف لقاء الإمام إلاّ أهل الشراء والظلم، وطلاب الدنيا، وعبدة الشهوات، واللاهثون خلف المنافع.. إذاً هذا العدل عند الإمام فوجدناه يعطي كل ذي حق حقه، بالميزان والسوية، ولا يظلم أحداً.

وقال عليه السلام: ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلةٍ سواء فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة والزم كلاً منهما ما ألزم نفسه.

إن الإمتزاج الإكتداري في الطينة يشوش على النفس أن ترى رؤيةً كاملة، فلذلك عمل الإمام على إعطاء الدواء الشافي واوضح السبيل للسالك لكي يتخلص من خسّة النفس وثقلها. قال الإمام عليه السلام: ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها، وأصبحت أخاف ظلم رعيتي... أنلو عليكم الحكم فتنفرون منها، وأعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها.

الإمام الميزان لكل الناس
لا عاطفة وتسامح مع الأقرباء

يميل الناس بطبعهم إلى حب الظهور والتمسك بأسباب القوة والجاه، فعند كل زعيم يحاول أقرباؤه الحصول على مآربهم بأية طريقةٍ ممكنة، ويعتبرون حظوتهم لديه حقاً من حقوقهم لا يجوز لأحدٍ أن ينافسهم عليه، وكذلك الزعيم يميل بطبعه إلى قراباته، بحكم المحبة من جهة، وبحكم الصداقة والدم من جهةٍ أخرى، ويعطيهم ما يمنعه عن الآخرين.

وهكذا تتحول عشيرة الرجل وصداقاته إلى طبقةٍ تستغل مركزه وتتحكم في مصير البلاد، وتصبح قراباته آفة تأكل خيرات العباد، فلا ينال الناس من حقوقهم إلا القليل وقد يكون الحرمان والسلب والتسلط سيد الساحة، وبهذا يخسر الناس حقوقهم الاجتماعية والسياسية والإقتصادية لتحكّم هؤلاء فيها واحتكارهم للموارد والمصادر، فإذا لم يضع حكام العدل، منذ البداية حداً لتصرفات القرابة والمقربين والأزلام فسرعان ما يبتلي الحاكم والمسؤول ويصبح أذناً لهم ويجرّونه من ذات اليمين وذات الشمال، حتى يرد زعيمهم إلى الإفلاس الشعبي وينتهون بأمره إلى الدمار. لذلك في القرآن تجد الأنبياء شددوا على أهل الباطل ولو كانوا أبائهم أو أبنائهم وإخوانهم، ويأخذون بالشدة أكثر من غيرهم، ولا يسمحون لهم بالتعدي على القانون، وهذا ما قاله أحدهم لقريب له: إن الحسن من كل أحد حسن، ومنك أحسن، وإن القبيح من كل أحدٍ

قبيح، ومنك أقبح لقربك منا، وقال النبي ﷺ: يقول الله تعالى خلقت الجنة لمن أطاعني ولو كان عبداً حبشاً، وخلقت النار لمن عصاني ولو كان سيداً قرشياً، ولقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يوصي ولاته وأصحابه بعدم السماح للقرابات بتعدي الحدود، بل أكبر من ذلك يقول: لا تجعلن شغلك بأهلك وولدك، فإن يكن أهلك وولدك من أولياء الله، فإن الله لا يضيع أولياءه، وإن يكونوا أعداء الله فما همك وشغلك بأعداء الله.

والإمام طبق هذه التعاليم على أولاده والمقربين من نسبه قبل غيرهم، عملاً بقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة، الآية: ٢٢].

ومن ذلك روي أنه نزل عند الحسن ضيف، فاشترى الحسن خبزاً وإحتاج لإدام، فطلب من قنبر غلام أبيه أن يفتح له زقاً من زقاق العسل، جاءتهم هدية من اليمن، فأخذ منها ما أطعم ضيفه، فلما جاء أمير المؤمنين، وطلب الزقاق ليفحصها قال: يا قنبر أظن أنه حدث بهذا الزق حدث؟ فأخبره، فغضب وسأل الحسن: ما حملك على ما أخذت منه قبل القسمة؟ قال الحسن: إن لنا فيه حقاً فإذا أعطيناه رددناه. قال الإمام: وإن كان لك حق، فليس لك أن تنتفع به قبل أن ينتفع المسلمون بحقوقهم، ثم دفع إلى قنبر درهماً، وقال: اشترِ به خير عسل تقدر عليه، ليقسم مع ما في الزقاق.

روي أنه دخلت إحدى زوجاته عليه قالت: جئت علياً وبين يديه قرنفل مكتوب في الرحبة، فقلت: يا أمير المؤمنين هب لإبنتي من هذا القرنفل لأضعه قلادة لها. فقال: هاكِ ذا خذي ونفد بيده إليّ درهماً،

فإنما هذا للمسلمين أولاً، فاصبري حتى يأتنا حظنا منه، فنهب لإبنتك قلادة...

وروي أن رجلاً رأى الحسن والحسين يأكلان خبزاً وبقلاً وخلاً فقلت لهما: أتأكلان من هذا وفي الرحبة ما فيها؟

فقالا: ما أغفلك عن أمير المؤمنين عليه السلام!.

كان الإمام شديد المراقبة في أهله، حتى لا يأخذوا أكثر من حقوقهم، ولا يطمع القريب ولا الصديق في الحقوق، فتسقط العدالة وتضيع حقوق الناس، فينعكس ذلك على الدين فيستخف بدين الله ويهان الضعيف ويجوع الفقير. والحبل جرار، فمن عظمة الإمام وعدله الشامل، كيف يلحظ الخفايا وهو مغمور في الحروب وفي الحكومة. وفي الدعوة، وفي القيادة التوجيهية والتربوية.

فقد روي عن علي بن أبي رافع قال: كنت على بيت مال علي بن أبي طالب عليه السلام وكاتبه وكان في بيت المال عقد لؤلؤ كان قد أصابه يوم البصرة فأرسلت إليّ بنت الإمام فقالت لي: بلغني أن في بيت مال أمير المؤمنين عقد لؤلؤ وهو في يدك، وأنا أحب أن تعيرنيه أتجمل به في أيام عيد الأضحى؟ فأرسلت إليها وقلت: عارية مضمونة يا بنة أمير المؤمنين، فقالت: نعم عارية ومضمونة مردودة بعد ثلاثة أيام، فدفعته إليها. ثم إن أمير المؤمنين رآه عليها فعرفه، فقال لها: من أين صار إليك هذا العقد؟ فقالت: استعرته من ابن أبي رافع، خازن بيت مال أمير المؤمنين لأتزين به في العيد ثم أرده.

فبعث إليّ أمير المؤمنين عليه السلام فجئته فقال: أتخون المسلمين يا بن أبي رافع؟

فقلت له: معاذ الله أن أخون المسلمين. فقال: كيف أعرت بنت أمير المؤمنين العقد الذي في بيت مال المسلمين بغير إذني ورضاهم؟

فقلت: يا أمير المؤمنين إنها ابنتك، وسألتني أن أعيرها إياه تتزين به، فأعرتها إياه، عارية مضمونة مردودة، وضمنته في مالي وعليَّ أن أرده مسلماً إلى موضعه.

فقال: رده من يومك، وإياك أن تعود لمثل هذا فتنالك عقوبتي ثم أولى بابنتي لو كانت أخذت العقد على غير عارية مضمونة مردودة، لكانت إذن أول هاشمية قطعت يدها في سرقة..

فبلغ مقالته ابنته، فقالت له: يا أمير المؤمنين أنا ابنتك وبضعة منك فمن أحق بلبسه مني؟ فقال لها: يا بنت علي بن أبي طالب لا تذهبي بنفسك عن الحق، أكل نساء المهاجرين تتزين في هذا العيد بمثل هذا؟ ليس إلى ذلك حتى لا تبقى امرأة من المسلمين إلا ولها مثل ما لك فقبضه ورده إلى موضعه..

هذا التشدد مع ابنته أم كلثوم، وكذلك مع أخيه عقيل مما يكون نهجاً لمن أراد أن يستقيم في مسؤوليته وينجح في حكمه ولكي لا يكون الحاكم هو من شجّع على التراخي في الضبط والتفلت من أداء الإدارة فتنعكس الفوضى عليه مباشرةً ويستخف بحكمه ولم يقدر حينئذٍ على لملمة مافرّط وانفرط.

جاء عقيل إلى بيت الإمام، ولما حضر العشاء فإذا هو خبز وملح! فقال عقيل في نفسه: ليس إلا ما أرى؟.

فقال الإمام عليه السلام: أو ليس هذا من نعمة الله وله الحمد كثيراً ؟

فقال عقيل: أعطني ما أقضي به ديني وعجل سراحي حتى أرحل عنك.

قال الإمام: فكم دينك يا أبا يزيد؟

قال: مائة ألف درهم.

قال الإمام: لا والله ما هي عندي ولا أملكها، ولكن اصبر حتى يخرج عطاؤنا فأواسيك ولولا أنه لا بد للعيال من شيء لأعطينك كله.

فقال عقيل: بيت المال في يدك وأنت تسوّفني إلى عطائك؟

وكم عطاؤك؟ وما عساه يكون ولو أعطتنيه كله؟

فقال عليه السلام: ما أنا وأنت فيه إلا بمنزلة رجل من المسلمين، ومع إصرار عقيل، قال له أمير المؤمنين: تقيم إلى يوم الجمعة فأؤدي في ذلك، فأقام عقيل عنده، فلما صلّى أمير المؤمنين عليه السلام الجمعة، قال لعقيل: ما تقول فيمن خان هؤلاء أجمعين؟

قال: بئس الرجل ذاك.

قال عليه السلام: فأنت تأمرني أن أخون هؤلاء وأعطيك.

نتعلم منه عليه السلام كيف نتعامل مع الأقربين والأبعدين بما شرع الدين، وتحت سقف واحد. لأن هذه المعاملة العادلة تعزّز الدين والثقة في النفوس، وأن نعتبر أن نعم الدنيا إن حيظت بما أمر الله ينعم صاحبها بالنعمتين، وإلا ذم بها، لأن التنعم بها لا ينبغي أن يصل إلى مستوى القرابات والتبعيات، والبخل بها عن حق الناس، والإبتعاد بها عن الخدمات الإجتماعية والسياسية للإسلام وللمسلمين والرعية، فيكون مخالفاً للسنّة الإلهية ومجلبةً لبغض الناس ونفورهم

لقوله عليه السلام: إن لله في كل نعمة حقاً، فمن أداه حفظها، ومن قصر عنه خاطر بزوال بنعمته.

السياسة

تعريف: السياسة هي فن ممارسة القيادة والحكم أو الدولة وأوجه العلاقة بين الحاكم والمحكوم. مصطلح آخر عند أرباب السياسة: هي النشاط الإجتماعي المدعوم بالقوة المستندة إلى مفهوم ما للحق أو للعدالة لضمان الأمن الخارجي والسلم الإجتماعية الداخلي للوحدة السياسية.

تعريف آخر: هي الجهد لإقامة النظام والعدل وتغليب الصالح العام والمصلحة الإجتماعية المشتركة في وجه ضغوط المصالح الفئوية.

المصطلح السياسي في الإسلام، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٤٨].

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة الحديد، الآية: ٢٥].

هذه الآيات تشمل الحكومة والخلافة في الأرض بقيادة الصالحين لإقامة الحكم الإلهي. وضرب المعتدين ولجم المتمردين، ولما تولى

الحكم المتسلطون والمحترفون للنهب والمتبعون أهوائهم، انفرزت على الساحة سياسة فصل الدين عن السياسة او الدولة؟ فالإسلام يرفض الحكومة بصفتها مقاماً دنيوياً يشبع الغرائز وحب الذات والجاه والتسلط في الإنسان، وبصفتها هدفاً للحياة، وعندئذٍ لاتساوي شيئاً في نظر الإسلام، لقول الإمام: أما الإمرة البرّة فيعمل فيها التقي، وأما الإمرة الفاجرة فيتمتع فيها الشقي إلى أن تنقطع مدته وتدركه منيته.

فابتلي الناس بمثل هذه الأسطورة السحرية .كما سنقرأ عن الخوارج والقاسطين، والناكثين. فالتفكير الخاطئ هو الذي أنتج فتنة الخوارج الذين قالوا: لا حكم إلا لله. وهذا يقابل عندنا كمسلمين ما يعمل به القائل بعدم تدخل الدين في السياسة الذي تحول اليوم إلى سلاح بأيدي الإستكبار العالمي وعملائه المرتزقة يهاجمون به كيان المسلمين ويجعلون بهذا التبني الخاطئ للمفهوم السياسي مصير المسلمين والإسلام بأيدي عملاء الشيطان في الشرق والغرب إذ يوجهونهم حيث شاءوا، ويحصرون رجال الدين في زوايا المعابد أو في تكايا الدروشة، وتقتصر دعوتهم فقط على الدعاء والصلاة وتفقد المعوزين وبهذا يتحول علماء الدين إلى موظفين وعملاء لمن يوظفهم، فيرتع الحكام والولاة في نهب الأموال وإشباع غرائزهم، لأنه لا مقياس شرعي يحاسبون عليه فيصبح الحكم دنياوياً، أما سياسة الحكم عند الإمام ﷺ حينما أرسل مالك الأشتر والياً على مصر، ذكّره أن مسؤولية الحفاظ على الشريعة المحمدية هي التي جرّته إلى ميدان السياسة والحكم، لا الرغبة في السلطة وحب الرئاسة، ولذلك قال أمير المؤمنين: ولكني آسى أن يلي أمر هذه الأمة سفهاؤها وفجارها فيتخذ مال الله دولاً والصالحين حرباً، والفاسقين حزباً، فإنّ منهم قد شرب فيكم الحرام، وجلد حداً في الإسلام.

هذا النوع من السياسيين، حينما يصلون إلى المسؤولية أو إلى

القيادة يتخذون عباد الله عبيداً، فيستلبون إرادتهم وإستقلالهم وحريتهم، ويكبلونهم بسلاسل الذل والحرمان الفردي والجماعي ويعملون على تعمية أفكار الجماهير ووعيهم، ويعملون على سياسة التجويع ممّا تصاب بكوارث المرض والأمية. حتى لايمكن كسر هذه السلاسل طوال قرون وأجيال إلاّ بثورة ربانية.

لذلك عمل الإمام في سياسة الحكم بينه وبين رعاياه على السياسة الداخلية كما نسميها اليوم. فارتسمت بعهد الإمام سياستان متناقضتان: السياسة الأولى التي تؤمن بحقوق الناس وإصلاحها مع الله والناس، والمساواة في الحقوق وأدناها رعاية الضعفاء، فالناس في الحقوق سواءٌ على سنّة المساواة، قال ﷺ: ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق».

وفرض الرفق بالرعية على كل والٍ، فلا إرهاق ولا إستغلال ولوكانت الحكومة هي صاحبة الحق في المال، قال الإمام في وصيته:

ولا تحسموا أحداً عن حاجته ولا تحبسوه عن طلبته ولا تبيعن للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف، ولا دابة يعتملون عليها ولا عبداً، ولا تضربنّ أحداً سوطاً لمكان درهم».

أما سياسة تحصيل الخراج والضرائب والصدقات، كيف جعل الأسلوب في تحصيلها من الأمة، قال: إمضِ إليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم. ولا تخدج بالتحية لهم، ثم تقول: عباد الله أرسلني إليكم ولي الله وخليفته لآخذ منكم حقّ الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم حقٌّ فتؤدوه إلى وليه؟ فإن قال قائل: لا، فلا تراجعه، وإن أنعم لك منعم فانطلق معه من غير أن تخيفه وتتوعده أو ترهقه . . . .

أمّا تحصيله الضرائب المفروضة على الناس كان تحصيلها بأسلوب

لا يؤذي الناس ولا يفقرهم، بل كان متجهاً إلى زيادة الإنتاج وكثرة العمل ومحاربة البطالة، دليلاً على ذلك قال: تفقد أمر الخراج بما يصلح أهله، فإنّ في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم ولا صلاح لمن سواهم إلاّ بهم، لأنّ الناس كلهم عيال على الخراج وأهله، وليكن نظرك في عمالة الأرض أبلغ من نظرك في إستجلاب الخراج، لأنّ ذلك لا يدرك إلاّ بالعمارة، ومن جلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلاّ قليلاً.

وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها، وإنما يعوز أهلها إسراف الولاة على الجمع.

أما دستوره فيمن يولي ومن يؤتمن على الناس فوضع مواصفاته للولاة والعمال لأنّ الذي يتصدر المسؤولية هو بمثابة وجه للنظام ومرآة يرى الناس فيها عيوب النظام أو يرون محاسن النظام، وهذا يدل على حرص الإمام للمحافظة على قيم الناس ومشاعرهم.

قال: أنظر في أمور عمالك، فاستعملهم إختباراً ولاتولهم محاباة، وأثرة، فإنهم جماع من شعب الجور والخيانة وتوخّ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام فإنهم أكثر أخلاقاً وأصحّ أعراضاً وأقلّ في المطامع إسرافاً، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً، ثم أسبغ عليهم الأرزاق، فإن ذلك قوة لهم على إستصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجة عليهم إن خالفوك أمرك أو ثلموا أمانتك ثم تفقد أعمالهم وابعث العيون من أهل الصدق والعيون عليهم فإن تعاهدك في السر لأمورهم حدوة لهم إستعمال الأمانة والرفق بالرعية...

إنّ الإمام يختص أقرباءه العدول وتلاميذه الأتقياء بالولايات، لنشر العدل وبسط الرزق والأمان، ويستعين بهم لتطبيق الشرع الحكيم، لأنهم

أهل للأمانة، وعونٌ له في الحكومة الصالحة.

أما السياسة النقيضة للإمام عليه السلام فهي سياسة الإستغلال والدولة الدنياوية التي تشد أزرها بالعصبية، وتزرع الخلاف بين الأجناس والفوارق بين الشعوب، وهذه السياسة التي توفرها معاوية وعمل على ممارستها، لأن قصارى ما يطمح إليه هو الكرسي والتأمّر على الناس، وإمضاء ولاته وعماله بما ينهبون من ثروات، ولو عطلوا الحدود وقتلوا النفس المحترمة، المهم أن يخلصوا له ولتنفيذ سياسته وأمره. ذكر المسعودي: أن عدي بن حاتم الطائي دخل على معاوية، فقال له معاوية: ما فعلت الطرفات؟ (يعني أولاده) قال قتلوا بين يدي علي، قال: ما أنصفك علي قتل أولادك وبقي أولاده، فقال عدي: ما أنصفت علياً إذ قتل وبقيت بعده، فقال معاوية: أما إنه قد بقيت قطرة من دم عثمان ما يمحوها إلاّ دمٌ شريف من أشراف اليمن، فقال عدي: والله إنّ القلوب التي أبغضتناك بها لفي صدورنا، وإنّ أسيافنا التي حاربناك وقاتلناك بها لعلى عواتقنا، ولو دنوت إلينا من الغدر فتراً لتدنوَنّ إليك من الشر شبراً، وإن حزّ الحلقوم وحشرجة الحيزوم لأهون علينا من أن نسمع المساءة في عليّ، فسلّم السيف يا معاوية لباعث السيف.

هذه الرواية تدلنا على الولاء والوفاء عند أصحاب الإمام في حياته وبعد مماته، لا يخافون من حاكم جائر ولا تأخذهم في الله لومة لائم، فلا تغريهم الأموال ولا تغيّرهم الحكومة الظالمة أو تسقطهم الأطماع، وهذا ما حاوله معاوية تجاه أصحاب علي عليه السلام بكل الأساليب الترغيبية والترهيبية، فكان يُفْتَضح بدسه ومكره أمامهم، فيسقط صاغراً. وهذه تدلُّ على ما حاك في صدورهم لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٤٩].

المعارك والغزوات

القوانين إما ثابتة، وإما متغيرة، وهذه تنطبق على الشخصيات الإنسانية كلها، حيث هناك أشخاص ثابتة شخصيتهم، وبعضها الآخر متغيرة على مرور الزمن وقد يصبح منسياً، ومنهم من يعيش لزمانه ويختص بعصره، ومنهم من يتجاوز عقوداً، ومنهم من يخلد ذكره. أما أن يبقى شخص يتألق في كل عصر وزمان ولا يزيده تجددُ الدهور إلا إستيضاحاً وتجدداً، فهذا ما ينطبق على شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. فمثله كمثل القرآن لاتخلقه الدهور إنما يزداد تألقاً وتجدداً.

قال الرسول صلى الله عليه وآله في شأن القرآن يجري كما يجري الشمس والقمر». فالشمس والقمر غير ثابتين في مكان معين ينيرانه فقط ولا يتجاوزانه، وكذلك القرآن لا يخص قوماً معينين ولا إقليماً معيناً ولا زمناً محصوراً، بل ينير دائماً في كل العصور والأزمان، ينبض بالحياة ما تعاقب الجديدان، وكذلك لا يبطل القرآن بموت أمة معينة، بل يُيسر الله له أقواماً يتلونه ويتدبرونه. كلما فسره قوم اكتشف الجيل الجديد أسراراً أخرى...

فعنوان هذا الباب يتعلق بأمير المؤمنين علي عليه السلام الذي لا يستوعبه مقال ولا يستهلكه كتاب ولا يفيه أحد حقه. فالكلمات والخطب التي بثها الإمام تتجدد لكل نشأةٍ كما قال: صحبوا الناس بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى. وقال الإمام عليه السلام: إنّ لله شراباً لأوليائه إذا شربوا

سكروا وإذا سكروا طربوا، وإذا طربوا طابوا وإذا طابوا ذابوا، وإذا ذابوا خلصوا، وإذا خلصوا طُلبوا وإذا طُلبوا وجدوا، وإذا وجدوا وصلوا، وإذا وصلوا اتصلوا، وإذا اتصلوا لا فرق بينهم وبين حبيبهم.

وقال عن نفسه: لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً.

وعلى هذا المفهوم الكلي للمعنويات، ننظر إلى الشخصية الثابتة، بثبات أفعالها لأنها أصبحت قوانين لمن يأتي بعدها، ويتخذها طريقاً في سيرته، فالبعد الثابت هو سابق في الزمان، ودليله النظام التوجيهي الدقيق والمحكم في المعارك والحروب، الذي لا يبلى مع كل العصور، ولذلك ننظر إلى المعارك والغزوات نظرة قانونية ثابتة إذ هي ظلال لعالم مثالي جرت حركته ورسمت خريطته في البدو، وتجوهرت كينونيته من خلال عالم الذر والإبتلاء، وقصة آدم وغواية حواء، وتزيين النصيحة ووسوسة إبليس وخلخلة التراكيب، في مساحة الأبدان، وساحات النفوس، تحت شعار: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة صّ، الآية: ٨٢].

حتى تسقط هذه الغزوات في الجسم الواحد، ومن ثم في الأنواع المتضادة التي تصطف مع تحمل من خزين فكري مقفل وأمشاج طينية مارجة. نبدأ تعريفنا بالسياق الزماني والمكاني لحكاية الغزو وقصة المعارك، فحجة النبوة والإمامة كما كانت في القدم كذلك في عالم الحدث الذي خضع لآصار المادة السفلى وطبيعتها المتمارجة من دخان ونار، إذاً حقيقة الصراع يبتدئ من حقيقة الطينتين أو عالم الجبلات، كما كان إبليس موسوساً وغاوياً في الملأ الإستفراغي حين النداء، كان في قريش بارزاً كأبي جهل وأبي سفيان ومعاوية ويزيد وابن زياد وجواهرهم المنتجة للعصيان والتكفير أثناء الدعوة الإسلامية.

ويؤيد هذا المفهوم قول الرسول ﷺ: أوصيكم بحب ابن عمي

وأخي علي بن أبي طالب. لا يحبه إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق. وهذا القول يفسره هذا: من أحب علياً فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغض علياً فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله.

ـ قال ﷺ: من أحبه فقد أحبني، ومن أبغضه فقد أبغضني، ومن أبغضني عذبه الله بالنار. هذه الأحاديث الشريفة حسمت التردد وقطعت الظن باليقين بأن حبه وبغضه يعود إلى أصل النشأة وإلى ماهية الطينة التي جبل منها، وفرض على الشاكة والموقوذة والمنخنقة دخولها في الإسلام، لتجيب الدعوة الأرضية إن كان فيها قابل وإلا تكون هذه النفوس مظلمة تبقى في طغيانها وجحودها للرسالة والإمامة، كما عصت هبولاها سابقاً، ولكن تهتبل بإسلامها المدخول غنائمها ونظرتها، وقد تواترت الأحاديث وصحت الأخبار بأن الرسول ﷺ قال: قاتلت الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله . . وقال أمير المؤمنين ﷺ لإبن عباس يوم صفين حينما رآه ابن عباس يشيم قرص الشمس لصلاة العصر: أولسنا نقاتلهم عليها هذه هي الدعوة لله وإصلاح النفوس، وليس الهدف هو الإنتصار وتحقيق المكاسب والرئاسة، وفرض شروط المنتصر، إنما لإستصلاح النفوس وإدخالها في الطاعة، إنّ وجوب الدخول في الإسلام واجب، كما كان إيجادهم في الكون نعمةً لهم، وهذا السر محتشى في جوف العنقاء فتدبر؟

وهذا يجري مجرى هذا الحديث ففي سنن الترمذي عن أبي عمير قال سمعت رسول الله يقول:

إنّ الله خلق خلقه في ظلمة فرشّ عليها من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأ ضلّ، فلذلك أقول جفّ القلم على علم الله.

فهذا الرشّ حدث عنه القبول والإعراض، والوهن في رذ

الجواب، وتنزل ينسحب على عالمنا. ومن تفكر بقول الحكيم أن الرأس صومعة الحواس، الألحس اللمسي فإنه مبثوث في الجسد كله لحكمة خفية على بصائر كليلة وهي ان أهم الحواس في الحيوان هو اللمس، وهو الفاصل بين عالم الحيوان وعالم النبات، فتبصر في آية طالوت وهي التابوت، الذي هو بمثابة الهيكل الضيق الإنسي وفيه سكينة من ربكم، وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون وهو النطق والتصديق بحقائق الأشياء، وهو ميراث الأنبياء والإقرار للمعصومين وبهذا يتضح معنى فكرة المهدي صاحب العصر والزمان، الذي به نقتل جالوت الملك الوهمي المعارض للملك الذي حشر له جنود الإنس والجن والطير فهم يوزعون، واذا تبصرت بكثافة البدن من لطيف النطف ومن لطافته كان القلب ومن لطافته تعلقت به الروح وتهيأت الناطقة لإستبكار النطق واستعشاشها تكميلاً لمعادها وإصلاحه بالفيض من أنوار الشموس من غير إنتقاص من واهبها، لتبينت حقائق الإمام ومركزية صاحب العصر والزمان(عج) لإملاء الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

التاريخ يعيد نفسه

إن هذا التاريخ المتجدد لن يحمل نفس السمات والخصائص الماضية من أشكال وإنفعالات بعينها في الغالب، ولكنه يحمل نفس النزعة وحقيقة الروح، فترى نفس الإعتراض وذات الجرأة على أشخاص الحق، ولذلك يخلق في المجتمع نفس الآثار التي كانت في الذرء الأول، ولكن في الكرّة تحمل أسماء جديدة وتقدم بمبررات حديثة لا تعدو أن تكون مجرد قشرة خادعة يستطيع المؤرخ والمدقق أن يكشف خلفياتها بمحازاة السنخية المتشابهة، فيرى العمق في الموقف القديم موجوداً في الواقع تحت الأشكال الجديدة، منها الظواهر التي برزت في الساحة الإسلامية كالصراع بين الحق والباطل إذ تشخص بين علي عليه السلام ومعاوية الذي جحد خلافة الإمام وأبى الطاعة، فاصطفت معسكران. وقد كانت عودة هذه الأشكال القديمة حاملةً مضمونها الرجعي فراية الباطل تنكر المثل الأعلى والقيمة القديمة التي تؤثر في حركة التاريخ ونتيجةً لضعف النفوس وقوّة المخالفين برزت حالات الشك والتردد، كما تجرأت الضامرات لما تحمل في حقيقتها الإنكار والجحود للطاعة، ولقد عادت إلى الظهور والفاعلية تلك المثل الجاهلية القديمة التي تمثلت بالرفض والإستكبار للإمام عليه السلام. وبدأت ترسم ملامح مجتمع وتوجهه بعكس ما أريد له وبرزت سياسة المكر والدهاء تأخذ طريقها في النفوس الرخوة، وهذه أنزلت مآسي كبرى بالأفراد والجماعات والمذاهب نتيجةً لإنبعاث الشرّ من جديد، وهذا ما عبّر عنه أمير المؤمنين عليه السلام: ذمتي بما

أقول رهينة وأنا به زعيم، إنّ من صرحت له العبر عمّا بين يديه من المثلات حجزته التقوى عن تقحم الشبهات، ألا وأنّ بليتكم قد عادت كهيئتها، يوم بعث الله نبيّه، والذي بعثه بالحق لتبلبلنّ بلبلةً، ولتغربلن غربلة ولتساطن سوط القدر حتى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم.

الإنكار والجاهلية والإعتمال النفساني ينتج عن أزمات نفسية متخزنة، وتولد ثورات، وكذلك عدم مناعة الأخر وضعفه عن الإلتحاق بصفوف الدعوة تكون حالته كالقدر التي تغلي على النار وتختلط فيها المواد، ولا يستقر على حال، ولا ينعم بالطمئنانية وإنما هو في قلق دائم واضطراب مستمر، وسيؤدي إلى الغربلة وتمييز المواقف وفرز الرجال، ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٧٩]. لأن المحن والأزمات تفرز الفئات الإجتماعية وتحدد سماتها، وهذا ما يعيق حركة الإجابة وإستجابة الدعوة والنداء، بل هددها كيان الجاهلية إذ تتغشى بشعارات إسلامية جاهلية بعثتها النزعة المادية التي عادت إلى الساحة وازدانت بلبوسها حتى إختلط المرئي على الناظر من جرّاء الوهن وعدم التملي من صاحب النجلي، او من دسيس هوى المصالح والرغبة إلى الغريزة، فإذا عرفت هذا اللحن الذي تناط به هذه الأحاديث تكشفت لك حقيقة التنازع وتمارج الطينتين بصور في الكتاب التدويني. فاستعن بهذا الحديث تعرف اللحن الذي نحن بصدده:

في أصول الكافي: عن محمد بن عبد الخالق وأبي بصير، قالا: قال أبو عبدالله عليه السلام: يا أبا محمد إنّ عندنا والله سرّاً من سرّ الله، وعلماً من علم الله أمرنا الله بتبليغه، فلم نجد له موضعاً ولا أهلاً، ولا حمّالة يحتملونه، حتى خلق الله له أقواماً خلقوا من طينة خلق منها محمد وآله وذريته، وصنعهم بفضل صنع رحمته التي صنع منها محمداً وذريته،

فبلغنا عن الله ما أمرنا بتبليغه، فقبلوه فاحتملوا ذلك فبلغهم ذلك عنّا فقبلوه، واحتملوه، فبلغهم ذكرنا فمالت قلوبهم إلى معرفتنا وحديثنا فلولا أنهم خلقوا من هذا لما كانوا كذلك، لا والله ما احتملوه.

ثم قال: إنّ الله خلق أقواماً لجهنم والنار، فأمرنا أن نبلغهم كما بلغناهم واشمأزوا من ذلك، ونفرت قلوبهم، وردوّه علينا ولم يحتملوه، وكذبوا به وقالوا ساحرٌ كذاب فطبع الله على قلوبهم وأنساهم ذلك، ثم أطلق الله لسانهم ببعض الحق، فهم ينطقون به وقلوبهم منكرة، ليكون ذلك دفعاً عن أوليائه وأهل طاعته، ولولا ذلك ما عبد الله في أرضه، فأمرنا بالكف عنهم، والستر والكتمان فاكتموا عمن أمر الله بالكف عنه، واستروا عمن أمر الله بالستر والكتمان عنه.

وبعد هذا العرض الإستدلالي، ننتقل إلى الساهرة، لنتفهم فقه الغزو والإعتراك، كما تداخلت النفوس في الطبائع، وتولد من التداخل في عالم الأبدان جنود للعقل وجنود للجهل، وحيث برزت الأشخاص الكونية، لتأخذ الميثاق المعهود، ولتجدد الدعوة، فكان البعث الأولي من الأنبياء والأئمة المعصومين.

دور الإمام في المعارك

لقد ثبت يقيناً أن بعلي عليه السلام تمكن النبي ﷺ من تبليغ الرسالة، وإظهار الدعوة، والصدع بالإسلام، ولولاه لم تثبت الملة ولا استقرت الشريعة، ففي العاشرة تقريباً من عمره وقفت قريش في وجه الدعوة، وبدأت قريش تؤذي الرسول وتغري به السفهاء وترميه بالحجارة، فنصب الإمام نفسه حارساً وأميناً على الرسول، وليلة الهجرة والسيوف تبرق منها البلايا والمنايا، بات الإمام على فراش الرسول، ليؤمن تغطية خروج الرسول حتى لا تعلم جبابرة قريش إلى أين ذهب، ويتبر ما مكروا ودبروا، وفي معركة بدر، كان الإمتحان الأول، والنداء الأرضي حيث مالت النفوس المدخولة إلى الإستسلام والخوف، لأن جنود الباطل أكثر عددا وعدةً في معركة الخندق قال تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا﴾. [سورة الأحزاب، الآية: ١٠].

مستظهرين بباطلهم، ولما نشبت الحرب كان سيف علي عليه السلام يخطف الأرواح من أشباحها، ففي بداية القتال في بدر تناول النبي ﷺ قبضة من الحصى فرمى بها وجوههم وقال: شاهت الوجوه». فما أحد منهم إلا أصابه من الرش فأبوا وجحدوا وولوا الدبر، وكان الفتح على يدي أمير المؤمنين، كما قال جل اسمه: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٢٥].

وفي معركة أحد، نكص الصحابة ولم يثبت القوم، وكسرت رباعية الرسول ﷺ ووقع الكسف في الشخصية النبوية، فأظهر أمير المؤمنين الغضب الإلهي، فتوزع مجلاه القهري على البقعة الإعتراكية. فحمل على القوم فأفرجوا، والرسول قد وقع على الأرض مغشياً عليه، فوقفت على رأسه، فنظر الرسول إلي وقال: ما صنع الناس يا علي؟ قلت: كفروا يا رسول الله، وولوا الدبر من العدو وأسلموك. وقد تعجبت الملائكة من قاهرية علي وسطوته، حتى صاح جبريل وهو يعرج:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي..

وفي معركة الأحزاب وتعرف بغزوة الخندق التي جند المشركون لها كل قواهم، وبرزوا بكل خيلائهم وشياطينهم، وقد ظهر الكفر والجحود في فارس الجزيرة العربية حينذاك «عمر بن ود العامري». وهو مقاتل فاتك غادر رأس الشرك والكفر». ولما برز له أمير المؤمنين عليه السلام إتخذ الرسول منظره وحه علي، وقال: برز الإيمان كله إلى الشرك كله. ولما تبارزا، قال جابر: فثارت بينهما قترة فما رأيتهما، فسمعت التكبير تحتها فعلمت أن علياً قد صرعه.. فاصترعت مظاهر الضد حتى طفرت خيولهم الخندق، فجعل المسلمون يرمونها، وينحرونها بشفرات القهر، وسمع المسلمون صوت الرسول يصيح: ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين.

ولما رأى جابر خيول الكفر تسقط وتهرب، قال جابر: فما شبهت قتل علي عمراً إلا بما قص الله تعالى من قصة داوود وجالوت حيث يقول جل اسمه: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٥١].

وفي غزوة خيبر، ظهر من فضائله ومعجزته ما تفرد بها، فقد عقد الرسول الراية للأول فانهزم، فأعطاها للثاني فكان كسلفه، فأظهر

الرسول النكير والمساءة، ثم قال: لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله، كراراً غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه» فأعطاها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فلما دنا من الحصن خرج أهله وعلى رأسهم فارسهم اسمه مرحب، وهو الذي شدّ بالسيف على الإمام حتى طرح الترس من يد الإمام، فتحصن الإمام بباب خيبر الثقيل، أي اتخذه ترساً حتى أهوى علي بسيفه على وجه مرحب، وأسر من فيه، وقال علي بن أبي طالب:

والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدية ولكن بقوة ربانية.

وقد ذكر ذلك حسان بن ثابت:

كان علي أرمد العين ينبغي دواءً فلما لم يحسن مداويا
شفاه رسول الله منه بتفلةٍ فبورك مرقياً وبورك راقيا
وقال سأعطي الراية اليوم صارماً كمياً محباً للرسول موالياً
يحب الإله والإله يحبه به يفتح الله الحصون الأوابيا
فأصفى بها دون البرية كلها علياً وسماه الوزير المواخيا

ولما استلم الإمام الخلافة أراد تطبيق العدالة وعلم أنها ستكون ثقيلة على نفوس المنتفعين، والوصوليين والانتهازيين الذين استغلوا الظروف السابقة وخاصة في زمن عثمان بن عفان، إذ نهبوا الأموال، وتمتعوا بالإمتيازات واكتنزوا، بسبب القرابة أو العشيرة أو التبعية.. عند هذه الفوضى والتراخي في الإدارة والشؤون كلها .انتهت خلافة عثمان. ولما بويع أمير المؤمنين بالخلافة، أمر عليه السلام بتطبيق العدالة ونهجه المساواة فلا ميزة بين حر وعبد، واسود وابيض، وعربي وعجمي، كما هو الخليفة عندهم جميعاً كذلك هم رعيته بالسواء، فارتفعت الأصوات محتجة على المساواة واعتبرها الوصوليون والمنتفعون مخالفة للنهج الذي ألفه الناس، فكان أولهم الزبير وطلحة بن عبيد الله، قال لهما الإمام ما الذي كرهتما من أمري حتى رأيتما خلافي؟ قالا: إنك جعلت حقنا في

القسمة كحق غيرنا وسويت بيننا وبين من لا يماثلنا فيما أفاء الله علينا بأسيافنا ورماحنا. . . .

فقال الإمام: لقد نقمتما يسيراً وأرجأتما كثيراً، ألا تخبراني أيّ شيء كان لكما فيه حق دفعتكما عنه؟ أم أيُّ قسم استأثرت عليكما به؟ أم أي حق رفعه إليّ أحدٌ من المسلمين ضعفت عنه أم جهلته، أم أخطأت بابه؟ والله ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية إربة، ولكنكم دعوتموني إليها، وحملتموني عليها، فلما أفضت إليّ نظرت إلى كتاب الله، وما وضع لنا، وأمرنا بالحكم به فاتبعته، وما استنَّ النبي فاقتديته، فلم أحتج في ذلك إلى رأيكما، ولا رأي غيركما، ولا وقع حكمٌ جهلته فأستشيركما. . . . . .

وهكذا تختلف المفاهيم والإتجاهات، وتبينت من النفوس المطامع لإهتبال الفرص والتسلل إلى المشاركة في السلطة، والبحث عن الدور للقيام به. لأنّ في إنتقال الحكومة إلى حكومة أخرى، تكون الفرص مؤاتية وهذا دأب الإنتهازيين في كسب الغنائم والصدارة المنتفخة. فالإمام يحكم بما أمر الله به ورسوله، بينما تنطلق المعارضة بما توحي إليها مصالحها. ودليل ذلك حادثة الكوفي صاحب الجمل في دمشق، إذ بلغ معاوية من إحكامه للسياسة وإتقانه لزيفها وأساليب حبائلها أن إجتذب قلوب خواصه وعوامه، ففي الحادثة أن الكوفي دخل على بعير له إلى دمشق في حال منصرفهم عن صفين، فتعلق به رجل من دمشق، فقال: هذه ناقتي أخذت مني بصفين، فارتفع أمرهما إلى معاوية وأقام الدمشقي خمسين شاهداً بينة يشهدون أنها ناقته. فوصل الخبر معاوية وأعجب بما جرى وسمع. فأمر باستحضارهما وقصا القصة. فقضى معاوية على الكوفي وأمره بتسلم البعير إليه. فقال الكوفي: أصلحك الله إنه جمل وليس بناقة! فقال معاوية: هذا حكم قد مضى! ودس إلى الكوفي بعد تفرقهم فأحضره وسأله عن ثمن بعيره فدفع إليه ضعفه وبره

وأحسن إليه وقال له: أبلغ علياً أني أقابله بمائة ألف ما فيهم من يفرق بين الناقة والجمل!». ولقد بلغ من أمرهم في طاعتهم له أنه صلى بهم عند سيرهم إلى صفين الجمعة في يوم الأربعاء وأعاروه جماجمهم عند القتال وحملوه بها . . . وهذا خبر شاهد على سياسة معاوية التي رسمها لينال تأييد الناس، فاجتمع له كل منتفع بهذا النظام، وقد قابل معاوية صيحات التمرد بإسكاتها، فمن أسكته المال جعل المال سلاحه معه، ومن كان مخلصاً في العبادة ولا يغريه المال، وجاداً في معارضته، إحتال على إبعاده ونفيه، كما فعل مع أبي ذر، وعبد الله بن سبأ، والكثير ممن احتجّ على سياسته وعصبيته، وكان معاوية من خلال تماشيه مع غرائز الجماهير وتأمين مصالح المنتفعين وتقريب الإنتهازيين والمداهنين حتى تحيزت له الشام جميعها وازداد رصيده من الرضا من قبل الجماهير، نأخذ على سبيل المثال صيحة أبي ذر الغفاري بالنكير، إذ طفق يطالب الأغنياء بالإنفاق في سبيل الله، حتى ولع الفقراء بصحيته ورددوا صيحته التي أقلقت النفعيين والوصوليين لأنها ذكرتهم بالنذير، إذ قال: وبشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاوٍ من نار، تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم. فأشفق معاوية من مغبة هذه الضجة التي وصلت صيحتها إلى كل قلب غني وانتهازي فما كان من معاوية إلا وأراد أن يلتف على صوت أبي ذر فأرسل إليه ألف دينار يسكته بها إن كان ممن يسكتهم الغنى عن الأغنياء، فما طلع النهار حتى كانت الدنانير في أيدي المعوزين الذين يلوذون بصاحب الصيحة ويحنون إليه. ثم صلى معاوية الصبح، وأرسل إلى الداعية رسوله الذي حمل إليه الدنانير فقال لأبي ذر: أنقذ جسدي من عذاب معاوية فأنه أرسلني إلى غيرك فأخطأت بك. فقال له: يا بني قل له: والله ما أصبح عندنا من دنانيرك دينار، ولكن أخرنا ثلاثة أيام حتى أجمعها». فعلم معاوية أن الرشوة لا تغني عن القسوة، فكتب إلى الخليفة أن أبا ذر

أعضل به فلا طاقة لي بالصبر عليه، فأتاه الإذن من عثمان، بنفي أبي ذر من الشام إلى المدينة، ثم ضاقت المدينة من صيحة أبي ذر التي صاخت أسماع المنحرفين عن العدل ولم يستطع الخليفة تحملها ولا حتى يسمع له دعاء، فنفاه إلى الربذة.

وصنع بعبد الله بن سبأ الذي أحدث الضجة في دمشق، فما نفعت معه كل وسائل الرشوة ولا أكياس الترغيب والمناصب. وكانت تزداد صيحته في دمشق حتى تأذى معاوية وأزلامه وجلاوزته من نداء الحقيقة الذي يطالبه بالإعتدال وأنّ الوصاية والخلافة حق لعلي بن أبي طالب. فداراه معاوية فأعياه عبد الله، وكان يردد قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [سورة الجن، الآية: ١٩].

فحاول معاوية ورسْله إرتشائه وشراءه وتهديده فكان أتوناً لا يزداد إلا ناراً فأجابهم: قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً. فلما يئس معاوية ورسْله منه ومن ترغيبه ومن ترهيبه ضيق عليه فخاف من ثورته التي كشفت سياسة المرتزقة والإستعمار الروحي، وأسقطت ما تستر به من أقنعة وذرائع ماكرة. فعمل معاوية متمحلاً على إقصاءه، وإبعاده من مملكته لأنه يعارض حكمه، فتلا ابن سبأ: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [سورة الجن، الآية: ٢٣].

هذه سياسة الوسيلة والإستيصال، التي كان يلتف بها معاوية على من أسماهم أهل الفتنة والفرقة، وهم من طلاب الإصلاح والتبديل فكتب في أمورهم إلى الخليفة يقول: إنه قدم عليّ أقوام ليست لهم عقول ولا أديان، أضجرهم العدل، لا يريدون الله بشيء ولا يتكلمون بحجة، إنما همهم الفتنة وأموال أهل الذمة، والله مبتليهم ومختبرهم ثم فاضحهم، وليسوا بالذين يتكون أحداً إلا مع غيرهم . . .».

ثم إحتال في إخراجهم من دمشق مستريحاً منهم بالإقصاء والنفي والتصفية، لأن دمشق مزرعة له لا تجوز الصيحة عليه بل يجب أن تكون له، حتى صارت دمشق متحيزة له، فتمكن معاوية من إجتلاب أسباب التمكين والتدعيم له واشترى الناس وأبعد الأحرار فاستقرت له دمشق، هكذا تشكلت الصفوف ومازت النفوس من خلال المعاملة وسوء التدبير والتسلط على المال والعباد، فأثرت الصيحات فانتفض العبيد والموالي والأعراب المحرومون حانقين متبرمين لا يرضون عن حظهم من العيش بعد أن علمهم الإسلام بأنهم أحرارٌ في دينهم ولهم الحقوق والمساواة، وشرع لهم شريعة الإنصاف فلا يسكتون لأن الإسلام أيقظهم على العز والكرامة، أما الصف الممتلئ ذهباً وفضةً وضياعاً ومواشي، غلب عليهم أصحاب الثروات أنهم أنصار الحالة القائمة المضادة في خلافة علي بن أبي طالب، فصاروا مشعليّ الثورة وأصحاب الإضطراب السياسي أو الإجتماعي، وأصبحوا قادة السخط والشكوى لأنهم عرفوا أنّ علياً لن يقرهم على ما هم فيه، وسيحاسبهم على ما جمعوه من المال لأنه مال الناس سلبوه بالقهر وباسم الحكومة.

وأمام هذا التنازع تشكلت جبهة شرسة ماكرة ومشكلة في تاريخ الخلافة من بقايا الحكومة والولاة الذين عيّنوا في عهد عثمان، وكان أغلبهم جائراً ومستبداً وغير أمين على أموال الناس وأرواحهم وأعراضهم، وهم في فرصة وامتياز، وأنّ عدالة عليّ بن أبي طالب وشدّة تمسكه بالإسلام ستحاسبهم وتعزلهم مما هم عليه، فحاولوا أولاً التفاوض لأجل البقاء في مناصبهم وإمتيازاتهم. فرفض بمدأبته المعهودة بعدم اللين مع الإنتهازيين. وقد وصل أحد المستغلين المترفين إلى دار الإمام وتقدم إليه بنصيحةٍ هي أنْ يبقي ولاة عثمان لمدة عام في مناصبهم، فإذا بايعوه إستتبّ الأمر، ومن ثَمّ يقوم بعزلهم، فردّ أمير المؤمنين أنه لايداهن ولا يساوم. . .

وقد عرض على الإمام ﷺ المغيرة أنْ يترك معاوية حاكماً في بلاد الشام، وفسّر ذلك أنّ لمعاوية جرأةً على الحق وأهل الشام يسمعون منه، فردّ الإمام قائلاً: لا والله لا أستعمل معاوية يومين أبداً....

فمسألة الإمام مع الذين وصلوا إلى الحكم واستبدوا وأفسدوا في الحكم لا تتغير ولا تتبدل فرفض الإمام رأي المغيرة وابن عباس وزياد بن حنظلة وهم من المشهورين بالحنكة وحسن السياسة، فانظر إلى الأسلوب الذي طرحه المغيرة بن شعبة بعد مبايعة الإمام ﷺ فقال له: إن لك حق الطاعة والنصيحة، وإن الرأي اليوم تحرز به ما في غدٍ، وإن الضياع اليوم تضيع به ما في غدٍ.

أقرر معاوية على عمله، وأقرر العمال على أعمالهم، حتى إذا أتتك طاعتهم وبيعة الجنود استبدلت أو تركت». فأبى الإمام ﷺ وقال:

«لا أداهن في ديني، ولا أعطي الدنية في أمري».

قال المغيرة: «فإنْ كنت أبيت عليّ فانزع من شئت واترك معاوية، فإن في معاوية جرأة وهو من أهل الشام يُسْتَمع له. وذلك حجة في إثباته. إذ كان عمر بن الخطاب قد ولاه الشام».

فقال علي: «لا والله لا أستعمل معاوية يومين».

ثم خرج المغيرة خائباً مخططه، ودخل عليه ابن عباس فقال له، لما علم برأي المغيرة: «إنه نصحك».

قال علي ﷺ: ولم نصحني؟.

قال: لأنك تعلم أن معاوية وأصحابه أهل دنيا، فمتى تثبتهم لا يبالوا بمن ولي هذا الأمر، ومتى تعزلهم يقولوا أخذ هذا الأمر بغير شورى، وهو قتل صاحبنا، ويزلون عليك فينتقص عليك أهل الشام وأهل العراق».

والسبب في رفض هؤلاء الولاة، إنّ أغلبهم كان ظالماً، وهم لا يصلحون أن يصلح بهم الأمة المتردية نتيجة أفعالهم، ومن ثَمّ تركه لهم مدة، وخلعه لهم فيما بعد، تكون المسؤولية على الإمام، والأخطر من ذلك يكون هؤلاء الفاسقون قد شكلوا سابقة خطيرة لأنهم أُعطوا الغطاء الشرعي من الإمام بحجة المصلحة الشرعية أو التكتيك السياسي، وهذا يعود بالضرر والإنقلاب على حكومة الإمام ﷺ.

وحينما فشلت ذرائعهم وعادوا بالسهم الأخيب، عملوا على التحريض وانبرى النفعيون للدفاع عن مصالحهم فكتب عمرو بن العاص إلى معاوية:

أمّا بعد فإنْ كنت صانعاً فاصنع، إذ قشرك إبن أبي طالب من كل ما تملكه، كما تقشر عن العصا لحاها....

فانطلق معاوية يثير الفتن، ويطالب بدم عثمان، ويؤجج النزعات القومية والعرقية ويحبي بذور الفتن، حتى لاحت الفتنة في الأفق، فحاول الإمام أن يستقدم معاوية إلى المدينة، فلم يستجب معاوية لدعوة الخليفة. وبدا معاوية ينشر قميص عثمان الدامي في مسجد الشام، وشعيرات من لحيته، وراح يستثير النهوض للثأر والإنتقام للخليفة عثمان، علماً أنّ عثمان حينما حاصره الثائرون إستنجد بمعاوية فخذله لأنّه كان يخطط للإستيلاء على الخلافة من خلال موقعه، وابتدأت الفوضى في الشام والبصرة تحرض على خلافة الإمام علي ﷺ، فكانت أول الحروب على الإمام هي معركة البصرة التي قادها بالتحريض طلحة والزبير حيث أقنعا عائشة بالخروج معهما إلى البصرة لقيادة عملية المعارضة، ولما علم الإمام بالخروج على طاعته، فبذل جهداً كبيراً لتحاشي الفتنة، وقد ناداهم أن يجيبوا دعوته ويلبوا حجته فأبوا وأنفوا الدعوة، واللطف العلوي يتنزل للجميع للعودة إلى الطاعة والإلتحاق بصاحب الدعوة، فكان الرفض وعدم القبول للّطف العلوي، فحجبهم

نور الإمامة بسبب هيجان ظلمتهم الكثيفة. وفي البصرة دعاهم الإمام ناصحاً إلى تلبية الدعوة والإقرار بالطاعة، وترك العصيان لله والرسول ولوليه فأبوا إلاّ نفوراً، ودعاهم من أجل حقن الدماء، فأبوا إلا الجحود والعصيان والتمرد على الإمام، فنكثوا العهود والمواثيق.

قال الإمام: ألا وأنكم نفضتم أيديكم من حبل الطاعة، وثلمتم حصن الله المضروب عليكم بأحكام الجاهلية، فإن الله امتنّ على جماعة هذه الأمة ـ فيما عقد بينهم من حبل هذه الألفة التي ينتقلون في ظلها، ويأوون الى كنفها ـ بنعمة لا يعرف أحدٌ من المخلوقين لها قيمة، لأنها أرجح من كل ثمن وأجلُّ من كل خطر.

إلا أن طلحة والزبير بعد قول الإمام، أغلظ طلحة الجواب بالباطل، ورقّ له الزبير، الذي تمثل في التردد، ويرجح يقينه بالإمام، ففي كتاب (الامامة لابن قتيبة): قال له علي: يا عبد الله ما جاء بك إلى هنا؟ قال: جئت أطلب دم عثمان، قال علي: تطلب دم عثمان، قتل الله من قتل عثمان، أنشدك الله يا زبير هل تعلم أنك مررت بي وأنت مع رسول الله (ص وهو متكئ على يدك فسلّم عليّ رسول الله وضحك إليّ ثم التفت إليك، وقال لك: (يا زبير إنك تقاتل علياً وأنت له ظالم)، قال: اللهم نعم، فقال علي: فعلامَ تقاتلني؟ قال الزبير: نسيتها والله، ولو ذكرتها ما خرجت إليك ولا قاتلتك. فانصرف علي إلى أصحابه، فقالوا: يا أمير المؤمنين مررت إلى الرجل في سلاحه وأنت حاسر قال علي أتدرون من الرجل؟ قالوا: لا، قال ذلك الزبير بن صفية عمة رسول الله ﷺ إنه قد أعطى الله عهداً أنّه لا يقاتلكم، إني ذكرت له حديثا قاله رسول الله ﷺ فقال: لو ذكرته ما أتيتك، فقالوا الحمد لله ما كنا نخشى في الحرب غيره، ولا نتقي سواه، إنه لفارس رسول الله ومن حواريه ومن عرفت شجاعته وبأسه بالحرب، فإذا قد كفانا الله فلا نعدُ من سواه إلاّ صرعى حول الهودج.

وفي (رواية أخرى) نشدتك الله يا زبير أما تذكر قول الرسول لك: يا زبير أتحب علياً؟ فقلت: وما يمنعني من حبه وهو ابن خالي. فقال لك: أما إنك ستخرج عليه وأنت ظالم له؟. فقال الزبير: اللهم بلى قد كان ذلك...

فقال الزبير للإمام: اللهم بلى، ولكني نسيت ذلك، وبعد أن ذكرتنيه لأنصرفن. فلبّى الزبير الإجابة والإذعان للّطف، وحسم الموقف، ثم قال لإبنه عبد الله عليك بحزبك، أما أنا فراجع إلى بيتي، فقال له ابنه عبد الله: الآن حين التقت حلقتا البطان، واجتمعت الفئتان؟ والله لا نغسل رؤوسنا منها، فقال الزبير لإبنه لا تعدّ هذا مني جبناً، فو الله ما فرقت أحداً في الجاهلية ولا في الإسلام، فما يردك؟ قال: يردني ما ان علمته لك (شرك)، فقام بأمر الناس عبد الله بن الزبير.

بهذه الأنفة، تحرك الكدر المظلم وتفوه من إبنه عبد الله الذي رفض الدعوة. وحرض أباه، بعد أن وصفه بالجبن، وهكذا تفجر الموقف واندلع القتال بين النشأتين التي تتحرك بأشخاصها في المعسكرين، وقد عبر الإمام عن إثبات الحجة والميثاق قال: اللهم إن طلحة والزبير أعطياني صفقة أيديهما طائعين، ثم نصبا لي الحرب ظاهرين، اللهم فأكفنيها بما شئت وكيف شئت..

وانكشف الصراع الساحق على خصوم الدعوة فأعلن بلطفه العفو العام لعلهم يذكرون، لقوله ﷺ: ألا لا يجهز على جريح، ولا يتبع مولٍ، ولا يطعن في وجه مدبر، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ولا يُستحلنّ فرج ولا مال، وانظروا ما حضر به الحرب من آنية فاقبضوه، وما كان سوى ذلك فهو لو رثتهن، ولا يطلبن عبد خارج من المعسكر، وما من سلاح أو دابة فهو لكم، وليس لكم أم ولد، والمواريث على فريضة الله، وأي امرأة قتل زوجها، فلتعتد أربعة أشهر وعشراً..

فقال بعض أصحابه: يا أمير المؤمنين تحل لنا د ماؤهم ولا تحل لنا نساؤهم؟

فقال ﷺ: كذلك السيرة في أهل القبلة.

هذا الموقف جسد فيه الإمام شريعة الله، فوق كل الإعتبارات، وواصل خطواته إزاء الناكثين، وقد أمر بإعادة عائشة إلى المدينة المنورة معززة رغم موقفها العدائي. وقتل في الحرب طلحة، أما الزبير فخرج من بين العسكر ونزل عند رجل ضيفاً، فذبحه في النوم، ولما وصل الخبر إلى الإمام فقال ﷺ: سمعت الرسول يقول وبشر قاتل ابن صفية ـ الزبير ـ في النار. وخمدت الفتنة وتغربلت النشأة لتنبئ عن إنفعال في النفوس جديد يتمثل في كيفية الإنكار والإستبكار.

وفي لون آخر من العصيان على اللطف العلوي، وهذا تمثل بما يلي: لما تم النصر للإمام في البصرة عاد إلى الكوفة، وبعد أن عزز جيشه للتوجه إلى الشام لتصفية القاسطين البغاة بقيادة معاوية ابن أبي سفيان، وسار الجيش وعلى رأسه الإمام، فوصلت الأنباء إلى معاوية، فقرر ملاقاة الزحف فتلاقى الصفان عند نهر الفرات، وبدأ الإمام يذكرهم بأيام الله وبالمواثيق والعهود ويكشف عنهم الغواية والرين المظلم على نفوسهم، ويريهم نوره ولطفه ليتوحد صفهم ويلتحقوا بصاحب الدعوة لينجوا بأرواحهم وتتعلق بأسبابها، فقسطوا: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [سورة سورة الجن، الآية: ١٥].

ولكن موقف الإمام لم يزد قوى الباغية إلا إصرارا وانكاراً. فقامت الحرب بين النشأتين المعسكرين أشد قيام لأنها ولادة عالم الهوية، كلٌ يقاتل لنصرة دعوته، حتى أن المدافعات بين الصفين دامت ثلاثة أيام بلياليها، بلا طعام ولا شراب، ولا راحة إلا بالتكبيرات إلى أن كانت ليلة الهرير، وياليها من ليلة ما أعظمها، فقد آل الأمر إلى

تلاحم المعسكرين إلى أن تكسرت الرماح ونفدت السهام وكلت الأيدي وقتل من المعسكرين في تلك الليلة ستة وثلاثون ألفاً، ثم قال لأصحابه: قال الله تعالى لقوم: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ١٦].

وايم الله لئن فررتم من سيف الدنيا لا تسلمون من سيف الآخرة. وتضرجت السيوف والحراب من مهج المسلمين، وتطايرت الرؤوس وخبطت الجثث، وقد ظهرت من الإمام صورة الغضب، فكانت صناديد العرب وأعلامها تهوى جثثاً من ذي الفقار، والتكبير يهز ساحة الوغى حتى غلب التكبير قرع السيوف واصطكاك الأسنة وصفير السهام وأزيزها، والإمام يجدد الدعوة ويسألهم الإجابة لعلهم يرجعون.

وقال جابر الأنصاري: لكأني أسمع علياً بعد ليلة الهرير بعد أن طحنت رحى الحرب بأمرٍ عظيم تشيب منه النواصي، حتى استقلت الشمس وقام قائم الظهيرة، وعلي ﷺ يقول: حتى متى بين هذين الحيين؟ قد فنينا وأنتم وقوف تنتظرون، أما تخافون مقت الله، ثم إنفتل إلى القبلة ورفع يديه إلى الله ونادى: اللهم إليك أفضت القلوب، ومدت الأعناق، ورفعت الأيدي وشخصت الأبصار، ونُقلت الأقدام، وطُلبت الحوائج، وأنضيت الأبدان، اللهم قد صرّح مكنون الشنآن، وجاشت مراجل الأضغان، اللهم إنا نشكو إليك غيبة نبيّنا وكثرة عدونا وتشتت أهوائنا، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين.

والإشتباك بين الجيشين يتسعر، والأبطال والفرسان تفصل رؤوسها بشفرة ذي الفقار، فعز ذلك على الإمام، فنادى بأعلى صوته ليثبت الحجة: ويحك يا معاوية، أبرز إليّ؟ فقال له عمرو بن العاص: إغتنمه وهو مُجهد فانه قد أثخن بقتل هؤلاء الصناديد!!، فقال له معاوية: والله لقد علمت أن علياً لم يقهر قط.. إنما أردت قتلي لتصيب الخلافة بعدي..

وكانت دعوة الإمام إلى معاوية والجيش تتكرر. وما لبى النداء إلا من قاتل بين يديه، وصورة اللطف وصورة القهر تتجلى ولكن هيهات أن يلبوا الدعوة لسبق الجحود في النفس، فحال بينهم العمه والإنكار فكانوا من المغرقين في أليم العذاب، فانكشف الفتح بأثاره، وبان الرهق والقتر في جيش معاوية. فأشار عمرو بن العاص على معاوية بالغدر والإحتيال برفع المصاحف على الرماح، فما نجم تغيّرٌ جوهري في جيش الإمام، فكثر اللغط وآثر الآلاف ترك الحرب، مع أن الإمام يعلم خلفيات رفع المصاحف وتمظهرهم بصورة الإسلام وطلب الحكم لكتاب الله، وإتخاذهم الدين غطاءً. فالإمام أمرهم بمتابعة القتال لأن النصر بات وشيكاً، إلا أنهم عصوا طاعة الإمام، وقبلوا بالتحكيم فنادت طائفة بالقتال، وقالت أخرى بالإحتكام إلى الكتاب، فعند ذلك توقفت الحرب ووضعت أوزارها، وألجأوا الإمام إلى الصلح مع معاوية وإلى نصب الحكمين، فخاطبهم مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: قد عصيتموني في أول الأمر بشير إلى التحكيم ووقف القتال ـ فلا تعصوني الآن، لا أرى أن تولوا أبا موسى الحكومة فانه بضعف عن عمرو ومكائده..

وكان نداؤه كالنداء في الأزل، قال عليه السلام: فوالله ما دفعت الحرب يوماً إلا وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي، وتعشوا إلى ضوئي، وذلك أحب إلي من أن أقتلها على ضلالها وان كانت تبوء بآثامها..

وبعد أن إنتهت معركة صفين وانخدع جمع من الناس بإسلوب الشياطين وتركوا طاعة رب العالمين ورسوله وحجته قال أمير المؤمنين عليه السلام: أما معصية الناصح المشفق العالم المجرب، تورث الحسرة وتعقب الندامة، وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري، ونخلت مخزون رأيي. لو كان يطاع لقصير أمرٌ، فأبيتم علي إباء المخالفين الجفاة، والمنابذين العصاة، حتى ارتاب الناصح بنصحه وضن الزند بقدحه.

يقول العقاد في عبقرية الإمام تحليلاً جيداً: وخذ لذلك مثلاً حجة معاوية حين علل ثورته باتهام في دم عثمان، وعلل اتهامه لعلي بتقصيره في القود من الثائرين وهم ألوف يحملون السلاح، وهو لم يسكن بعد إلى سلطان يعينه على القود من هؤلاء الألوف المسلحين، فماذا صنع معاوية بقاتلي عثمان حين صار الملك إليه ووجب عليه أن ينفذ العقاب الذي من أجله ثار واستباح القتال؟! إنه إتبع علياً فيما صنع، وأبى أن يذكر الثأر المقيم المقعد، وقد ذكروه به وألحفوا في تذكيره. ولقد كان أول ما سمعه يوم زار المدينة ودخل بيت عثمان صيحة عائشة بنت عثمان، وهي تبكي: ـ وأبتاه ـ فلم تزده هذه الصيحة المثيرة إلا إصراراً على الإغضاء والإعفاء، وقال لها يعزيها: يا بنة أخي: إن الناس أعطونا طاعة وأعطيناهم أماناً. وأظهرنا لهم حلماً تحته غضب وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد، ومع كل إنسان سيفه وهدى يرى مكان أنصاره، فان نكثنا بهم نكثوا بنا، ولا ندري أعلينا تكون أم لنا ولأن تكوني بنت عم أمير المؤمنين خيراً من أن تكوني إمرأة من عرض المسلمين ...

ولو كانت الثورة كلها من أجل عثمان لما إنتهت بهذا التسليم الهين ...

وخذ لذلك مثلاً؟ علة عمرو يصيح به من صفوف المسجد: إتقِ الله يا عثمان فإنك قد ركبت أموراً وركبناها معك، فتبْ إلى الله ..

ثم ترك عثمان بين المؤتمرين به ومضى إلى فلسطين، وسمعه الناس وهو يقول: والله إني كنت لألقى الراعي فأحرضه على عثمان ... انتهى

لقد تمثلت معارك الإمام بجود يحملون الوعي ويلبون الدعوة لأن أميرهم كان في عمق الإسلام ونور الرسالة، فكان الإلتحاق به يعبر عن شوق الأرواح إلى طاعة باريها، ورفضها لمن لا يؤمن بالإمامة وهذا

مصداق لحديث الثقلين: إني تاركٌ فيكم الثقلين، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض. وكذلك الصف الآخر معاوية وجيشه تمثلت بجنود لا يميزون بين الناقة والجمل كانوا يحملون في داخلهم الإنقياد الأعمى والطاعة الغبية، لأن قائدهم من عمق الجاهلية وأسلم بعد أن تروى قلبه من الوثنية، فكان جيش معاوية شامياً أسلم على يد معاوية ويزيد لذلك يرون في معاوية الأسوة والقدوة، ومعاوية كان حسياً ومادياً، تتناغم دعوته مع الغريزة والشهوة والإباحية، ولذلك تطابقت دعوته مع المكر والخديعة وإحياء البدع والضلالة، لتثبت الحجة بإلتحاق كل عنصر بعنصره يعني المطواعية لدعوته، وتدل على عمقهم السنخي لطينته، وانقيادهم لما يأتي به لهم، وقد تبين ذلك جلياً في إستسهال المخرج الشرعي الذي يكيفه بما تقتضيه المصلحة، فالذين يلوذون بمعاوية يقبلون منه كل مخرج شرعي ويتا بعونه على نقض أي حكم بلا نقاش ولا استثقال لقوله.

ومثالاً على ذلك حينما أسمع الرسول الصحابة عن عمار بن ياسر: تقتله الفئة الباغية». فلما قتله معاوية في معركة صفين، وخيفت الفتنة في جيش معاوية وسيطر الشك عليهم بأنهم هم الفئة الباغية ويلزمهم قتل عمار سنة البغي بشهادة الحديث، . فكان الإخراج الشرعي من معاوية قال: إنما قتله من جاء به إلى الحرب . . فشاع بينهم هذا التفسير العجيب فقبلوا جميعاً من دون إستثناء أحد. .

يقول ابن قتيبة في (الإمامة والسياسة): نادى عمار هل من رائح إلى الجنة، فخرج إليه خمسمائة رجل منهم أبو الهيثم وخزيمة بن ثابت، فاستسقى عمار الماء، فأتاه غلام له بإداوة فيها لبن، فلما رآه كبّر وقال: سمعت رسول الله يقول: (آخر زادك من الدنيا لبن) ثم قال عمار: اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه، ثم حمل عمار وأصحابه فالتقى عليه رجلان فقتلاه، وأقبلا برأسه إلى معاوية يتنازعان فيه، كل يقول أنا قتلته، فقال

لهما عمرو بن العاص: والله إن تتنازعان إلا في النار، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (تقتل عماراً الفئة الباغية) فقال معاوية: فبحك الله من شيخ! فما تزال تتزلق في قولك أو نحن قتلناه؟ إنما قتله الذين جاءوا به، ثم التفت إلى أهل الشام فقال: إنما نحن الفئة الباغية؟ التي تبغي دم عثمان، فلما قتل عمار إختلط الناس حتى ترك أهل الرايات مراكزهم، واقحم أهل الشام، وذلك من آخر النهار، وتفرق الناس عن عليّ، فقال عدي بن حاتم: والله يا أمير المؤمنين ما أبقت هذه الوقعة لنا ولا لهم عميداً، فقاتل حتى يفتح الله تعالى لك، فإن فينا بقية، فقال عليٌّ: يا عدي قتل عمار بن ياسر؟ قال: نعم، فبكى عليٌّ وقال رحمك الله يا عمار استوجب عمار الحياة الرزق الكريم، كم تريدون أن يعيش عمار، وقد نيف على التسعين.

أما دعوة الإمام تمثلت بالوعي والتعقل ومحاربة البدع والضلالة، والعمل على إعتدال المزاج، وكبح جماح الغريزة وإيقاظ النفوس، وهذه الدعوة تحتاج إلى تصميم وإرادة صادقة، وتخلي عن متع الدنيا، ولذلك قلَّ الذين أجابوا الدعوة ولبوا الطاعة، وتعالوا عن الحياة الدنيا، يقول الإمام في شأن المستوهنين: لله أنتم أما دين يجمعكم ولا حمية تشحذكم أو ليس عجباً أن معاوية يدعو الطغام الجفاة فيتبعونه على غير معونة ولا عطاء، وأنا أدعوكم وأنتم تريكة الإسلام وبقية الناس، إلى المعونة أو طائفة من العطاء فتفرقون عني وتختلفون علي. .؟

أفٍ لكم لقد سئمت عتابكم، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً، وبالذل من العز خلفاً. إذ دعونكم إلى جهاد عدوكم دارت أعينكم كأنكم من الموت في غمرة ومن الذهول في سكرة. لقوله تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [سورة الأحزاب، الآية ١٩].

وهكذا يستثير الإمام الهمم والعزائم ويحرك الكوامن فلا تنبض الهمة ولا تنهض العزيمة، لأن الشك وقع في التجلي العلوي، وفترت العزيمة عن الدعوة، وألفت النفس دار البوار، واستأنست مجاورة الخراب البلقع، والشك في القائد المخلص هو أخطر ما تمنى به الأمة التي يتزعمها هذا القائد.

وبعد واقعة التحكيم ومخالفة القائد المعصوم، عاد بجيشه إلى الكوفة فقام أربعة آلاف من العباد، معلنة تمردها على الإمام، وسلكت سبيلها حروراء، وهذه الطائفة هي التي أوقفت القتال ودعت إلى مصالحة معاوية في صفين. وخرجت تحت شعار: لا حكم إلا لله، لا نرضى بان تحكم الرجال في دين الله، قد أمضى الله حكمه في معاوية وأصحابه أن يقتلوا أو يدخلوا معنا في حكمنا عليهم، وقد كانت منا خطيئة وزلة حين رضينا بالحكمين، وقد تبنا إلى ربنا، ورجعنا عن ذلك، فارجع - يقصدون الإمام - كما رجعنا، وإلا فنحن منك براء..

فالتحق بهذه الطائفة الخارجة عن الطاعة ثمانية آلاف، فصار مجموعهم اثني عشر ألفاً.

فوعظهم الإمام وقال لهم إن الخلق الإسلامي يقتضي الوفاء بالعهد الذي أبرم بين المعسكرين، أو ليس الله يقول: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة النحل، الآية: ٩١].

إلا أن المعارضة مرقت ولم تصغ للطاعة، وأصروا على الحرب والكفر والعناد، لأنهم قوم قهرتهم اللجاجة فاستمرءوا الشقاق والعناد فمردوا على العصيان والمخالفة للإمام وأصروا على تكفير عليّ عليه السلام وأصحابه، وأن يعاملوهم في الحرب والسلم معاملة الكفار. ولكن رحمة الأمام وسعت كلّ الناس فاستبقى بعد هذا كله بقية للتوبة والمراجعة،

فرفع في الساحة راية ضم إليها ألفي رجل ونادى مسمعاً الجميع: من إلتجأ إلى هذه الراية فهو آمن ... وبدأوا يشكلون خطراً على الإسلام، فقتلوا الأبرياء كالصحابي عبد الله بن خباب، وبقروا بطن زوجه وهي حامل، وقتلوا نسوة من طي، فأرسل إليهم الحارث بن مرة، فقتلوه. فدعاهم الإمام إلى الطاعة، فأبوا جحوداً فحاربهم في النهروان، فهرب منهم تسعة نفرٍ وقتل جمعهم، ولم يقتل من أصحاب الإمام إلا سبعة، وهكذا قضى الإمام في حرب النهروان على المارقين حيث أشار علم الرسول السابق لهم. قال أبو سعيد الخدري. سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن قوماً يخرجون ويمرقون من الدين مروق السهم من الرمية.

وقال الإمام عليه السلام: ألا وقد قطعتم قيد الإسلام، وعطلتم حدوده، وأمتم أحكامه، ألا وقد أمرني الله بقتال أهل البغي والنكث والفساد في الأرض، فأما الناكثون فقد قاتلت، وأما القاسطون فقد جاهدت وأما المارقة فقد دوخت..

ولكن الذين توقفوا عن الدعوة أديلو من دولة الحق إلى دولة الباطل وجرت سنة الله على أن ينال أعوان الظالمين عقابهم، وكثيراً ما يأتي هذا العقاب على أيدي أقطاب الظلم أنفسهم، إذ أن هؤلاء لا يرحمون أحداً بعد تسلمهم السلطة.

إن اللامبالاة تجاه المنكر والبدع والمظالم من الأمور التي تؤدي إلى مسخ أخلاق الإنسان وتبدل قانونه وانحرافه النفسي، وهذه أعظم مصيبة تصيب شعباً معيناً، تكمن في عجزه عن إتخاذ المواقف الصحيحة في تعامله مع الحكام والمسؤولين. وقد أشار الإمام إلى هذا الموقف وحذر من الرضا به، ونبه على مغبته السوأى قال: ما أنتم بوثيقة يعلق بها، ولا زوافر عزّ يعتصم إليها، لبئس حشاش نار الحرب أنتم، أف لكم لقد لقيت منكم برحاً، يوم أناديكم ويوم أناجيكم، فلا أحرار صدقٍ عند النداء، ولا إخوان صدقٍ عند النجاء..

هذا الخطاب العلوي من الإمام لمن أراد أن يلتحق بالأسباب ويتحفز لإجابة الدعوة المستمرة لأنه قصر في الإجابة وتخاذل عن الإلتصاق بصف الحق أويلتحق به، وقد وصف الإمام الصف الثاني المتمثل بجيش وأشخاص النقيض السفلي: أيها القوم الشاهدة أبدانهم، الغائبة عقولهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلى به أمراؤهم، صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه، وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعون، ولوددت أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم فأخذ مني عشرة وأعطاني رجلاً منهم.

الحكمة الإلهية في الكون الأرضي لا تنالها الأوهام، ولذلك بقي الضد المتمثل بالكفر والنكران والخداع يتحرك بأشخاص ويحزب طائفته، وكان اللطف الإلهي يواصل تعبئة النفوس من أجل أن تنهي حركة البغي والفساد، وقد أشار أمير المؤمنين ﷺ إلى ذلك: الجهاد، الجهاد عباد الله!! ألا وإني معسكر في يومي هذا، فمن أراد الرواح إلى الله فليخرج.

ولكن فرص الإجابة والمبادرة واغتنامها يندر مكثه فمن وفقه الله أسرع ولبى. وبقي اللطف يباشر النفوس وينفحها بنسائم الأبد لتعيد سيرتها، وتتخلص من علقتها، ففي صحيفة الأبرار (ص٢٣): لكن الله خلق الخلق لإيصالهم إلى السعادة الأبدية ولا يكون ذلك إلا بالإستئهال وهو لا يحصل إلا بتكليفهم بما فيه فوزهم بتلك السعادة ولا يجوز التكليف إلا بالإختيار، لأن عمل غير المختار ـ كلا عمل. خلق سبحانه العباد وجعل فيهم آلة الإختيار الصالحة لكل من القبول والإنكار ثم حصرهم بالأمر والنهي بأن وضع لهم قانوناً ينتظم به أمر معاشهم ومعادهم ونصب لإجراء ذلك القانون فيهم «رؤوساء معصومين» وأيدهم بآيات باهرة وعلامات ظاهرة، قطعاً بحجج المخالفين وهم الأنبياء والأوصياء القائمون مقامه في الأداء، المعدّون لإجراء أحكام سلطانه بين

عباده ولكن لما كان ظهور هذه السلطنه على ما ينبغي يوجب الإلجاء في التكليف، لعدم تمكن النفوس الشريرة حينئذ من إبداء ما في كمونهم من المخالفة والعصيان، وفي ذلك بطلان التكليف الموجب لِلغويّةِ الإيجاد لفوات الغرض المطلوب منه، لما قررنا من توقف حصول ذلك الغرض على الإختيار، إقتضت مشيئة الله العرضية وحكمته الثانوية بالعرض أن يجعل للباطل دولة مقدمة على دولة الحق، كما جعل ظهور النفس الحيوانية المنهمكة في الشهوات الحسية في المولود مقدمة على ظهور العقل في قوس الصعود ـ فافهم ـ.

فبعث حججه في الناس لا بالسلطنة الإلهية الكلية بل على أن يبينوا لهم ما يتقون ببيان أوامره ونواهيه، أطاعوهم أم عصوهم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، بأن يقولوا لو أنك أرسلت الينا رسولاً لا تبعناك واتبعنا رسولك، ولا ريب أن هذا الوضع يقتضي أن يكون ظهور الحجج المبعوثين في الناس على حسب ما تقتضيه أحوال المكلفين وأوضاع الأزمنة والأمكنة من النضج والإستعداد وعدمهما وكثرة التابعين وقلتهم إلى غير ذلك من الأسباب الظاهرية، فقد يظهرون بالسيف والقهر، لكن بحيث لا يبلغ حدّ الإلجاء والإكراه في الدين وقد يظهرون بعكسه لكن بحيث لا يؤدي إلى كون الحق مغموراً ومستوراً بالكلية، بأن لا يتبين الرشد من الغي، فيكون المكلفون معذورين في ترك أوامره ونواهيه، ومن تفكر في أحوال مدينة الكون ومعاملة الله سبحانه مع الناس في بسط الرخاء وانزل البلاء.

وأما ظهور السلطنة الكلية فلا مطلقاً لأنه موجب للإلجاء إلى أجل مسمى، فهي مستورة إلى أن يظهر جميع ما في السرائر من الكامنات ويبلغ الكتاب أجله، وعلى هذا جرت سنّة الله في بعث الحجج من لدن آدم إلى يومنا هذا، كما لا يخفى على من تتبع أحوالهم وسيرتهم بين

الناس فمنهم من ظهر مظلوماً مقهوراً مقتولاً ومنهم من غاب عن قومه ثم ظهر كموسى وابراهيم ويونس وغيرهم، ومنهم من ظهر ببعض آثار القهر والسلطنة كسليمان وأما السلطان الحق الكلي فلم يقم أحدٌ منهم به إلى الآن، ولن تقوم حتى ينقضي مدة الباطل ويخرج ما في الأصلاب والأرحام من الودايع الكلية، فافهم.

ويدل على عدم ظهور سلطنتهم الحقة الأولية في هذه الدورة لأنها موقوفة لميقات يوم معلوم، وفي ذلك أخبار متواترة ....انتهى.

ولكن آصار الذنوب بثبط النفس ويقعدها عن الجهاد، فلا تلتفت إلى الأسباب المنجية إلاّ عند وقوع الأزمة، او يكون الغرض والمطلوب قد فات، وهنا الحسرة وضياع الفرص الألطافية على أثر ذلك يدفع الإنسان الثمن الباهظ وهو البقاء في عالم الأغلال والأقفال والرين، فتتسلط عليه هياكل الأضداد السفلية. ففي عام ـ ٤٠ ـ هجرية وصبيحة التاسع عشر من رمضان المبارك، إغتيل الإمام فيالها من محنة لاتقف دونها طامحات العقول، وهو في المسجد يصلي في محرابه، وبهذا خسرت الأمة الإسلامية مسيرة حضارة، ونبعاً يدفق شفاءً وموعظةً للأمة، وحبل نجاة وفاتت الفرصة لمن أراد الإلتحاق بعالم الصفاء، لقد بقي الإمام في العلة ما يقارب الثلاثة الأيام والنفوس معتكرة بهذا الليل، حتى انطفأ سراج الإمامة وإمارة المؤمنين، وانتقل النور الإلهي إلى الإمام الحسن السبط، ليمارس قيادته. وتولى الإمامة وقام باللطف الصوري ابنهُ الإمام الحسن المجتبى، وحملا الوديعة الحسن والحسين إلى الغري من نجف الكوفة ودفنا سرَّ والديهما ليلاً قبل طلوع الفجر ٠(سلام هي حتى مطلع الفجر)، وعفي أثر قبره بوصيةٍ منه وبقي مختفياً لا يهتدى إليه في دولة بني أمية حتى كشف عنه الإمام الصادق عليه السلام في دولة بني العباس.

وقد أوصى عليه السلام:

وصيتي لكم أن لا تشركوا بالله شيئاً، ومحمد لا تضيعوا سنته، أقيموا هذين العمودين، وأوقدوا هذين المصباحين. وخلاكم ذم ما لم تشردوا، أنا بالأمس صاحبكم. واليوم عبرة لكم وغداً مفارقكم، غفر الله لي ولكم، إنْ أبقَ فأنا ولي دمي، وإنْ أفنَ فالفناء ميعادي، وإن أعفُ فالعفو لي قربة، وهو لكم حسنة، فاعفوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم؟ والله ما فاجأني الموت وما فجئني من الموت وارد كرهته، ولا طالع أنكرته، وما كنت إلا كقارب ورد، وطالب وجد، وما عند الله خير للأبرار.

❀ ❀ ❀

وقد وجد هذا الشعر عند مشهده:

أيا علّة الإيجاد حار بك الفكر ... وفي فهم معنى ذاتك النبس الأمر
وقد قال قومٌ فيك والستر دونهم ... بأنك ربٌّ كيف لو كشف الستر

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الشيخ علي سليمان
طرابلس ـ جبل محسن
١٤/ت١/٢٠٠٦
الموافق ٢١/ رمضان/ ١٤٢٧

الفهرس

آية وهيئة ٥

نسبة وموضع ١١

أسرار في ولادته واصطفاء في تربيته ١٥

أول المسلمين والمؤمنين ٢١

علي في القرآن والقرآن في علي ٢٣

علي في السنّة النبوية ٢٩

شيخ البطحاء ٣٢

الإمام علي عليه السلام عند الصحابة ٣٩

الإمام عند مواليه ٥٤

اختصاص الإمام بـ (سلوني قبل أن تفقدوني) ٦٣

الكمال العلوي تنبجس منه الصفات ٦٧

الكتاب التكويني والكتاب التدويني ٧٠

ومن ألقابه أمير النحل ٧٥

متى سمي بأمير المؤمنين ٧٩

المعجزة عند أمير المؤمنين عليه السلام ٨٣
معجزة أرضية ٨٧
إحياء الميت عند أمير المؤمنين عليه السلام ٨٩
ولاية المعصوم مطلقة وواجبة على كل الأكوان والمخلوقات ٩٣
ومن الدلائل عليه ٩٥
ومن الدلائل السمائية ٩٧
أسرار دونها أسوار ١٠١
البيان والمعاني ١٠٩
الجلايا في مظهر الخفايا ١١١
الحجّة من عمق اللُجّة ١١٧
تعريف الولي والولاية ١٢١
تعريف الوصي والوصاية ١٢٣
تعريف الخليفة والخلافة ١٢٤
الولاية التكوينية ١٢٧
تطواء المسافات بكحص الكثافات ١٣١
العلم من ماهية أمير المؤمنين ١٣٩
دليل آخر ١٤٧
معرفة أمير المؤمنين بالنورانية ١٥٣
علم الغيب عند أمير المؤمنين ١٥٩

دلالة أخرى ١٦١
وجه الدلالة ١٦٣
الإمام وسماً ورسماً واسماً ١٦٧
الصلاة ١٦٩
سوانح وموانح ١٦٩
مفردات الخبر ١٧٥
الأخلاق ١٨١
اليقين ١٨٣
الزهد ١٨٥
قصة هارون الرشيد مع البهلول ١٩١
تواضعه ١٩٣
الجود والسخاء والعطاء ١٩٥
الوفاء ١٩٩
الأمام في مطعمه وملبسه ٢٠٣
العدل عند الإمام ٢٠٧
الإمام الميزان لكل الناس لا عاطفة وتسامح مع الأقرباء ٢١٧
السياسة ٢٢٣
المعارك والغزوات ٢٢٩
التاريخ يعيد نفسه ٢٣٣

دور الإمام في المعارك ٢٣٧
الفهرس ٢٦١

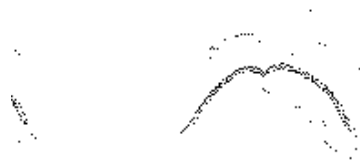

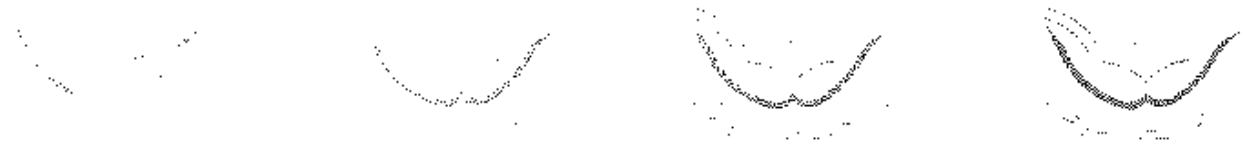

قال رسول الله (ص):

يا علي: لو أنّ أمتي صاموا حتى يكونوا كالأوتار، وصلّوا حتى يكونوا كالحنايا، ثم أبغضوك، لأكبّهم الله على وجوههم في النار.

قال أمير المؤمنين علي (ع):

سلوني عن أسرار الغيوب فإنّي وارث علوم الأنبياء والمرسلين.

وقال: الذليل عندي عزيزٌ حتى آخذ الحق له، والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه.

دار المحجة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

حارة حريك - شارع الشيخ راغب حرب - قرب نادي السلطان

هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - ٠١/٥٤١٢١١

ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ - E-mail:almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com / info@daralmahaja.com